السيد علي عاشور

عجائب قدرة آل محمد (ع) وولايتهم التكوينية

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م



للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد - خلف محطة دياب
تلفاكس : (+9611) 27 49 42 - (+9611) 55 29 00
جوال: (+9613) 80 01 49 ص.ب : 25/91 بيروت - لبنان
E-mail : dar_asafwa@hotmail.com

مدخل

سنحاول في هذا الكتاب إثبات الولاية المظهرية لأهل البيتعليهم السلام وبكل تفاصيلها وسعتها وشؤنها، وذلك بالأدلة الروائية المختلفة، مع ذكر الشواهد الفلسفية عليها ، وبذلك يكون بحث جديداً ، إضافة الى دقته ؛ حيث وجدنا بعض من تعرض لهذه الدراسة ، قد اشتبه عليه حقيقة الولاية المظهرية أو التكوينية حتى عبر عنها البعض بالولاية الطولية ، وبعضهم خلط بين مفهوم الولاية وحقيقة الدعاء والمعجزة .

معنى الولاية

أصل الكلمة من الوَلي وهو القرب، والولي الذي يدير الأمر .

قال تعالىٰ : ﴿ **هنالك الولاية لله الحق** ﴾ [١] وهي بالفتح الربوبية ، وأيضاً النصرة ، وبالكسر الامارة ، مصدر وليت ، ويقال هما لغتان بمعنى الدولة ، وفي النهاية: هي بالفتحِ المحبة ، وبالكسر التولية والسلطان [٢] .

هذا المعنى اللغوي للولاية .

أما الولاية في القرآن والأحاديث الشريفة بل وواقع الأمر فلا تخلو من ولاية محبة ونصرة ، وولاية تدبير وقيادة ، وولاية المحبة تارة تنسب الى الحق تعالىٰ فيكون: ﴿ **نعم المولى ونعم النصير** ﴾ [٣] .

---

١ - الكهف : ٤٤ .

٢ - لسان العرب : ١٥ / ٤٠٧ لفظة ولي، ومعجم مقاييس اللغة: ٦ / ١٤١، و مجمع البحرين : ١ / ٤٥٥ ـ ٤٦٢ لفظة ولي .

٣ ـ الأنفال : ٤٠ .

وأُخرى تنسب الى الباطل فيكون : ﴿ الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾[١].

وولاية التدبير والقيادة أيضاً تارة تنسب الى الحق فيكون : ﴿ إن وليي الله ﴾[٢].

وأُخرى تنسب الى الباطل فيكون : ﴿ الذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾[٣].

وكل من هذه الولايات لها وجودها الخارجي ، يجسده كل إنسان بما أوتيه من الهدى والضلالة أو اكتسبه منهما، ويمنحه الله لمن يشاء من عباده ويمنعه عمن يشاء.

والكلام سوف يقع تارة عن ولاية المحبة ، وأُخرى عن ولاية التدبير ، وولاية المحبة والقرب من الله تؤدي لأن يكون الإنسان ولياً لله يخرجه من الظلمات الى النور بسبب تقربه الى الله بالطاعات ، وكلما كان القرب أكثر كان حصول الولاية أزيد وأسرع، حتى يصل الولي الى قاب قوسين أو أدنى، ليقول للشيء كن فيكون، فيمنحه الله الولاية المظهرية أو التكوينية ﴿ إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير بإذن الله ﴾[٤].

وولاية التدبير والتقريب الى الله بتطبيقها على عباد الله اجمعين تؤدي بالإنسان لأن يكون ولي الله في الأرض ، وولي أمره على عباده ، وظل الله في أرضه، حكمه نافذ وأمره مطاع ، فيمنحه الله الولاية التشريعية .

وسنعرض فيما يأتي الولاية التشريعية لصاحب التشريع والمظهرية أو التكوينية للولي .

---

١ - البقرة : ٢٥٧ .

٢ - الأعراف : ١٩٦ .

٣ - الأنفال : ٧٣ .

٤ - آل عمران : ٤٩ .

معنى الولاية المظهرية

الأمور إما اعتبارية وإما حقيقية تكوينية ، والاعتبارية هي التي يطلقها الآمر، ومنها الولاية التشريعية الآتية نحو قوله تعالى :

﴿ اقيموا الصلاة ﴾ [1].

أما الحقيقية فهي التي تعتمد على وجود الله فقط ، والولاية المظهرية أو التكوينية كذلك فأمرها بيد المولى نحو قوله عزّ من قائل :

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ [2].

فهذا خطاب حقيقي ليس متفرعاً على وجود مخاطب ، بل هو بنفسه يخلق المخاطب ويوجده بعد الاعدام .

قال آية الله حسن زاده آملي في الفرق بين الأمرين : *يجب معرفة الفرق بين الأمر التكويني و بين الأمر التكليفي ، فإن الأول أمر بلا واسطة والثاني أمر بالواسطة، والواسطة السفراء الإلهية، وما كان بالواسطة فقد تقع المخالفة فيه؛ لذلك آمن الناس بالأنبياء وكفر بعض ، وممن آمن أتى بجميع أوامرهم بعضهم ولم يأت بعضهم .*

وما لا واسطة فيه ـ أي الأمر التكويني ـ فلا يمكن المخالفة فيه كقوله تعالى :

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ [3].

فالحقيقي يشمل كل الموجودات التي لا يكون عمل الإنسان الاختياري دخيلاً في وجودها وعدمها .

---

١ ـ البقرة : ٤٣ .

٢ ـ يس : ٨٢ .

٣ ـ عيون مسائل النفس : ٦٩٨ .

لذا عرّفت الولاية المظهرية أو التكوينية بأنها :

«*ولاية التصرف في الأمور التكوينية تبديلاً من حقيقة الى أُخرى* ، أو من *صورة الى غيرها* ، بغير أسباب *طبيعية* متعارفة ، مع علم *المتصرف بكل تفاصيل المتصرف وأسبابه* ، من غير تحدي ونبوة ، بحيث تكون *اختياراتها بيد المتصرف فيها من هذه الجهات* » .

ولاية الله التكوينية

فالولي الأول والاساس على الأمور الكونية هو الله وحده لا شريك له، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، فهو الذي يدير الكون بإعمال الولاية ويعمل ربوبيته باستمرار ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ (1).

وأبرز الله ولايته التكوينية لنا بقوله تعالىٰ: **﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي﴾ ـ﴿ واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ﴾** (2).

وقال: **﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾** (3).

وقال: **﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون ﴾** (4).

※ *وولاية الله على نحوين ولاية عامة وولاية خاصة* (5):

1 ـ *اما الولاية العامة*: فهي الشاملة لكل المخلوقات، المؤمن منهم والكافر

---

1 – الرحمٰن: 29.

2 – الشورى: 9 ـ الأنفال: 24.

3 – الروم: 24 ـ 25 ـ 26.

4 – الزمر: 67.

5 – العموم والخصوص باعتبار المتولى عليه لا باعتبار الله عزت ألاؤه.

على حد سواء ، قال تعالىٰ : ﴿ **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا** ﴾ (١) .

٢ ـ *اما الولاية الخاصة* : فهي المختصة بالمؤمنين ، وتكون عبارة عن التوفيق لسلوك طريق الحق تعالىٰ .

قال تعالىٰ : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا** ﴾ (٢) .

وهذه الولاية لها مراتب حسب السالكين الى الله، فحسب التوجه من قبل العبد يتوجه إليه المولى تعالىٰ ﴿ **ولكل وجهة هو موليها** ﴾ (٣) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله يرويه عن ربه قال : « ***إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً*** » (٤) .

حتى يصل العبد الى الفناء في الله تعالىٰ ، بغير اعدام كما كانت حالة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام فيما يصفها صادقهم عليه السلام : « ***العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله ، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه .. ولا مؤنس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلّا بالله ، لله من الله مع الله ، فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف فضله إليه متزود*** »(٥).

وحقيقة الولاية المظهرية أو التكوينية إنها غير متقومة بشيء ، لا بالزمان

---

١ ـ الاسراء : ٢٠ .

٢ ـ البقرة : ٢٥٧ .

٣ – البقرة : ١٤٨ .

٤ ـ ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ١٥ / ٥٩٥ كتاب التوحيد ـ باب ذكر النبي وروايته عن ربه ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٣ / ٦٢٦ ح ٧٥٣٦ كتاب التوحيد ـ باب ذكر النبي وروايته عن ربه .

٥ ـ بحار الأنوار : ٣ / ١٤ باب ثواب الموحدين ح ٣٥ ، والسير الى الله : ٧٧ ـ ٨٠ ـ ١٩٤ ، ومصباح الشريعة : ١٩١ باب ٩١ .

ولا بالمكان.

قال الحكيم السبزواري: والابتداع: اخراج الشيء من الليس الى الآيس دفعة واحدة سرمدية لا دهرية فضلا عن الزمانية والآنية: ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون** ﴾ وليس ذلك القول منه تعالىٰ قولاً تدريجياً زمانياً كما قال الإمام علي عليه السلام: إنما يقول لما أراد كونه: كن، فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع إنما كلامه سبحانه فعله »[1].

وأخرج الكافي بسند صحيح عن صفوان قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق؟

فقال عليه السلام: « *الإرادة من الخلق الضمير، وما يبدو بعد ذلك لهم من الفعل.*

وأما من الله تعالىٰ فإرادته احداثه لا غير، ذلك لأنه لا يروّي[2] *ولا يهم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق.*

فإرادة الله الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له »[3].

* *أقول*: ذكر الكليني بعد هذا الحديث ان الإرادة ليست من صفات الذات، وذلك انه لو كانت من صفات الذات لتعلقت الشرور والأعمال القبيحة بالله تعالىٰ وهو منزهٌ عنها. وقد تصدى جملة من العلماء لكلامه وأبرموه بما فيه الكفاية، جاعلين لله إرادتين، إرادة عين ذاته، وإرادة في مقام الفعل باعتبار التعينات حادثة زائلة بالعرض لا بالذات[4].

---

١ ـ شرح دعاء الصباح: ٢١٣ والحديث في نهج البلاغة الخطبة: ١٨٦.

٢ ـ رويت في الأمر: نظرت وفكرت ـ والاسم الروية.

٣ ـ أصول الكافي: ١ / ١٠٩ ح ٣ باب الإرادة، والتوحيد للصدوق: ١٥٧.

٤ ـ يراجع شرح دعاء الجوشن: ١٤١، وشرح دعاء السحر: ١١٦.

وقد شرح الفاضل المازندراني هذا الحديث ينبغي إيراده لأهميته:

قال: قوله في الرواية (أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق) سأل عن الفرق بين إرادة الله تعالى وإرادة الخلق وطلب معرفة حقيقتهما.

(قال: فقال: الإرادة من الخلق الضمير) أي تصوُّر الفعل وتوجّه الذِّهن إليه (وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل) «من» صلة ليبدو لا بيان لما، لأنَّ الفعل هو المراد دون الإرادة، اللّهم إلّا أن يراد بالفعل مقدَّمات الإرادة[1] مثل تصوُّر النفع

---

١ ـ قوله «مقدمات الإرادة» أول ما يبدو للمريد تصور المعنى فإنه إن لم يتصور المعنى لم يكن فاعلاً بالإرادة بل هو فاعل طبيعي بلا شعور، ثم أنه ليس كل من تصور المعنى يطلبه كشبعان يتصور الطعام بل لا بد من ضم صفة أخرى إلى التصور وهو الشوق ولكن ليس كل من تصور معنى واشتاق يطلبه كجائع يتصور الطعام ويشتاق إليه ولا يكون عنده الثمن ليشتريه مثلاً بل لا بد له وجود أسباب وفقد موانع حتى يعزم فإذا عزم لا بد أن يحرك عضلاته في طلبه فربما تطاوعه العضلات وربما لا تطاوعه فهذه مقدمات أربع يتخللها التصديق بحصول نفع أو دفع ضرر وهذا سبب حصول الشوق.

والإرادة في اصطلاحهم تطلق على ثلاثة أمور: الأول: هذا المعنى المركب من المقدمات الأربع التي تترتب عليه الفعل البتة، الثاني: مرتبة الشوق المذكور وهي في مقابل الكراهة ويستعملها الفقهاء كثيراً في هذا المعنى، ويمكن اجتماع الكراهة والإرادة بالنسبة إلى شيء واحد باعتبارين كصلاة في بيت مغصوب فإنها مطلوبة ومرادة باعتبار ومكروهة باعتبار ولا يمكن الاجتماع فيها بالمعنى الاول، الثالث: العلم بالنفع في اصطلاح المتكلمين.

فإن قيل إذا كان التصديق بجلب نفع أو دفع ضر يتخلل مقدمات الإرادة وكانت إرادة الله تعالى على ما ورد في الأخبار وتطابق عليه علماؤنا خالية عن هذه المقدمات مطلقاً بل ليست إلّا العلم بالنفع وصدور الفعل لزم كون أفعال الله تعالى خالية عن الأغراض والغايات كما يقول به الحكماء.

أقول خلو الأفعال عن الغاية مذهب المعطلة والملاحدة والقائلين بالبخت والاتفاق وأما الحكماء الإلهيون فأبطلوا قولهم وردوا عليهم كما مرَّ استشهاد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقول

والإذعان به والشوق إليه والعزم له وتحريك القدرة إلى تحصيل الفعل المراد والحاصل أنَّ إرادة الخلق عبارة عن تصور الفعل ثمّ تصوّر النفع سواء كان النفع عقليّاً أو خياليّاً أو عينيّاً أو دنيويّاً أو أُخرويّاً، ثم التصديق بترتّب ذلك النفع على ذلك الفعل والإذعان به إذعاناً جازماً أو غير جازم، ثمَّ الشوق إليه، ثمّ العزم الرَّاسخ المحرِّك للقوَّة والقدرة المحرِّكة للعضو إلى تحصيل الفعل على ما ينبغي فالفعل يصدر عن الخلق عن هذه المبادىء المترتّبة الّتي هي عبارة عن إرادتهم التامّة المستتبعة له .

(وأمّا من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك) يعني أنَّ إرادته بسيطة وهي إحداث الفعل وإيجاده على وجه يوافق القضاء الأصلي ويطابق العلم الأزلي من الكمال والمقدار والخواصّ والآثار لا مركّبة من الأمور المذكورة في إرادة الخلق ولا شيء منها (لأنّه لا يروّي) أي لا يفعل باستعمال الرويّة يقال: روّيت في الأمر تروية أي نظرت فيه ولم أتعجل والاسم الرَّويّة بفتح الرَّاء وكسر الواو وتشديد الياء (ولا يهمُّ) أي لا يقصده من هم الشيء يهمُّ بالضمِّ إذا قصده والاسم الهمّة (ولا يتفكر) ليعلم حسنه وقبحه والحاصل أنّه لا ينظر الى الفعل ليعلم نفعه ووجه حسنه ولا يهمّه بالشوق والعزم المتأكّد ولا يتفكّر ولا يتأمّل فيه ليعرف حسن عاقبته لتنزُّه قدسه عن استعمال الرأي وإجالة الهمّة وتحريك الشوق والعزم وارتكاب التعمّق في الأمور والتفكّر في أمر عاقبتها .

(وهذه الصفات منفيّة عنه) لأنّها من لواحق النفوس البشريّة وتوابع

=أرسطو في ردهم وفي الشفا أبواب وفصول في نقض مذهبهم وفي القانون أيضاً في باب منافع الأعضاء والتشريح اثبت العناية الإلٰهية في خلق كل عضو بل في مقداره وشكله وتركيبه وشقوقه وغير ذلك فراجع، وأما نفي الغرض فلأن اصطلاحهم وقع واستقر على ما يكمل به الفاعل وليس واجب الوجود يفعل ليكمل بل كماله سبب لفعله بخلاف الممكن فإن فعله سبب كماله. (ش)

الجهل ونقصان العلم وهو سبحانه منزَّه عن جميع ذلك (وهي صفات الخلق) لاحتياجهم في تحصيل مقاصدهم وتكميل أفعالهم على وفق مطالبهم إلى حركات فكريّة وهمّة نفسانيّة وأشواق روحانية وآلات بدنيّة بحيث لو فقدت إحداها بقوا متحيّرين جاهلين لا يجدون إلى وجه الصواب دليلاً ولا إلى طريق الفعل سبيلاً.

(فإرادة الله تعالى الفعل) أي الإيجاد[1] والاحداث (لا غير ذلك) من

١ - قوله «فإرادة الله تعالى الفعل أي الإيجاد» قال الشيخ المفيد رحمه الله: إن الإرادة من الله جل اسمه نفس الفعل ومن الخلق الضمير وأشباهه مما لا يجوز إلّا على ذوي الحاجة والنقص وذلك لأن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلّا بقلب كما لا يكون الشهوة والمحبة إلّا لذي قلب ولا يصح النية والعزم إلّا على ذي خاطر يضطر معها في الفعل الذي يغلب عليه الإرادة له والنية فيه والعزم ولما كان الله تعالى يجل عن الحاجات بطل أن يكون محتاجاً في الأفعال إلى القصود والعزمات وثبت أن وصفه بالإرادة مخالف في معناه لوصف العباد وأنها نفس فعله الأشياء، بذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى عليهم السلام إلى آخر ما قال وهذا عين مذهب الحكماء ألا ترى إلى قوله «بطل أن يكون محتاجاً في الأفعال إلى القصود والعزمات».

وههنا شبهات مبنية على عدم تدبر الأمور كما هي أو على الاختلاف في الاصطلاح منها أنه لو كان الإرادة هي العلم بالأصلح ولا شيء يزيد عليه من همّ وعزم لزم كون الحوادث الزمانية قديمة إذ العلم قديم وتعلق العلم قديماً بشيء يوجب كون ذلك الشيء ما دام العلم إذ لا يؤثر في وجود الشيء من الباري إلّا علمه، والجواب أن العلم مطابق للمعلوم فإذا تعلق علمه بوجود الشيء في الزمان المعين لم يحدث المعلوم إلّا في الزمان المعين ومنها أن العلم بالأصلح حاصل للباري تعالى بل هو عين ذات الباري فلزم وجوب ترتب الأصلح على ذاته وامتناع ترتب غير الأصلح وهذا يوجب كونه تعالى فاعلاً غير مختار كالطبائع يجب صدور ما يجب عنه ويمتنع ما يمتنع، والجواب ان للإمكان اصطلاحين الإمكان الذاتي والإمكان الوقوعي والأول صفة الشيء في ذاته والثاني صفته بالنظر إليه مع جميع ما يصحبه ويحيط به من الأوضاع مثلاً صدور المعصية عن الأنبياء غير ممكن بالنظر إلى عصمتهم واستلزام عدم حجية أقوالهم وأفعالهم وهذا نفي الإمكان الوقوعي ولا يوجب كونهم مضطرين إلى ترك المعصية حتى لا يكون هذا فضيلة، وكذلك نعلم أن =

الضمير المشتمل على المعاني المذكورة والفاء للتفريع لأنَّ مدخولها نتيجة للمقدَّمات السابقة، ثمّ أشار إلى كيفيّة إيجاده للأشياء وتنزُّهه عن صفات الخلق تأكيداً لما سبق بقوله (يقول له) لمّا أراد وجوده لعلمه بما فيه من المصلحة (كن فيكون) قوله «كن» إشارة إلى حكمه وقدرته الأزليّة ووجوب الصدور عن تمام مؤثريّته. وقوله «فيكون» إشارة إلى وجود ودلَّ على اللّزوم وعدم التأخر بالفاء المقتضية للتعقّب بلا مهلة.

(لا لفظ ولا نطق بلسان) أي يقول ذلك بلا صوت يقرع ولا نطق يسمع، لأنَّ اللفظ والنطق واللّسان من خواصّ الخلق المنزَّه قدسه عنها، وينبغي أن يعلم أنَّ إطلاق القول عليه كإطلاق الكلام فأمّا اللّفظ والنطق فلمّا كانا عبارة عن إخراج الحروف عن الآلة المعدَّة لهما وهي اللسان والشفة وغيرهما كانا لا يصدقان في حقّه تعالى لعدم الآلة هناك والشارع لم يأذن في إطلاقهما عليه لأنَّ دلالتهما على الآلة المذكورة أقوى من دلالة القول والكلام عليها.

(ولا همة) الهمّة ملكة تحت الشجاعة وهي العزم الجازم المتأكّد في تحصيل الإنسان ما ينبغي أن يحصّله من تعرف الأمور واختيارها والنظر في مصادرها ومواردها وتحديق البصيرة نحو الأمور المعقولة وإرسال الوهم

=الملحد الجائع في البيت الخالي والطعام حاضر لا يبالي بشهر رمضان ويفطر البتة ونقطع بذلك قبل الوقوع لعدم تطرق احتمال الصيام في حقه وهذا لا يوجب اضطراره إلى الإفطار مع عدم احتمال غير الإفطار منه فما يقال إن القادر المختار هو الذي يصح أو يحتمل أو يمكن صدور الفعل والترك منه مبنى على مسامحة ما إذ قد لا يصح أو لا يمكن بالإمكان الوقوعي منه إلّا شيء واحد الفعل أو الترك ومع ذلك هو فاعل مختار لا يختار إلّا الطرف الواحد، منها أن الفاعل المختار لا يمكن أن يكون فعله قديماً وهذا غير متصور لنا إذ يمكن أن تتعلق إرادته بان يكون في كل زمان له مخلوق من الأزل ولا ينقض إرادة الفاعل المختار بذلك وإنما يثبت حدوث العالم زماناً عند من ثبت بدليل آخر. (ش)

والخيال وسائر الحواسّ نحو المعاني والصور المحسوسة المعيّنة لدرك المقاصد والمطالب مع التألّم والغمّ والهمّ بسبب فقدها والله سبحانه منزّه عن هذه الأمور.

(ولا تفكّر) لأنّ التفكّر عبارة عن حركة القوّة المفكرّة في طريق مبادىء المطالب والأفعال والانتقال من ضمير إلى ضمير ثمّ الرجوع منها إلى تلك المطالب، وهي من خواصّ الإنسان، وأيضاً فائدة التفكّر تحصيل المجهولات والجهل على الله تعالى محال.

(ولا كيف لذلك) أي لإحداثه وإيجاده الذي هو من صفاته الفعليّة (كما أنّه لا كيف له) تعالى أي لله تعالى وإنّما الكيفيّات الممكنات الموجودة لا لإيجادها ولا لموجدها الواحد على الاطلاق [1].

أقول: وجدت رواية في توحيد الصدوق عن الفتح بن يزيد الجرجاني وكان يسأل فيه الإمام الرضا عليه السلام عن مسائل منها:

قال: قلت: جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق؟

قال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [2] فقد أخبر أن في عباده خالقين منهم عيسى ابن مريم خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله والسامري خلق لهم عجلاً جسداً له خوار.

قلت: إن عيسى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوته والسامري خلق عجلاً جسداً لنقض نبوة موسى عليه السلام وشاء الله أن يكون ذلك كذلك إن هذا لهو العجب.

فقال عليه السلام: ويحك يا فتح إن لله إرادتين ومشيتين إرادة حتم وإرادة عزم ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا

أبو عبدالله الأنصاري

---

١ - شرح أُصول الكافي: ٣ / ٢٦٦ ح ٣.

(٢) سورة المؤمنون: ١٤.

من الشجرة وهو شاء ذلك ولو لم يشأ لم يأكلا ولو أكلا لغلبت مشيتهما مشية الله وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشية الله عزّ وجلّ.

قلت: فرجت عني فرج الله عنك غير أنك قلت: السميع البصير سميع بالأذن وبصير بالعين.

فقال عليه السلام: إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع بصير لا بعين مثل عين المخلوقين وسميع لا بمثل سمع السامعين لكن لما لم يخف عليه خافية من أثر الذرة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء تحت الثرى والبحار قلنا بصير لا بمثل عين المخلوقين ولما لم يشتبه عليه ضروب اللغات ولم يشغله سمع عن سمع قلنا سميع لا مثل سمع السامعين...[1].

---

١ ـ التوحيد: ٦٤ ح ١٥ باب التوحيد و نفي التشبيه.

هل ولاية الله التكوينية قابلة للتفويض؟

بعد ان أثبتنا أن الولي والمتصرف الحقيقي في الكون هو الله تعالىٰ ، نريد أن نعرف أنّ هذه الولاية هل هي قابلة للمنح الرباني ، وإذا كانت كذلك فهل منحها الله لأحد من أوليائه؟

وإن كان فلمن للأنبياء والأئمة فقط أم لغيرهم ممن اجتمعت فيهم الشرائط الإلهية لذلك؟

أمّا قابلية التفويض في الولاية فهو أمر يعود الى صاحب السلطنة ، فإن قدرته شاملة لهذا الأمر الممكن عقلاً ، ويدل على الامكان الحديث القدسي المروي في صفة أهل الجنة : « *من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم الذي لا يموت ، أما بعد فإني أقول للشيء كن فيكون قد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون* » [١] .

نعم إنما الكلام في الوقوع وهو الهدف من هذه الدراسة المختصرة .

وبدواً نجد أن القرآن الكريم يحدثنا عن عدة وقائع تثبت إعطاء الله التصرف الكوني لبعض عباده : قال تعالىٰ لعيسى عليه السلام :

﴿إذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾ [٢].

فهذا نص صريح في خلق النبي عيسى عليه السلام للطيور ، وهو إيجاد بعد عدم ،

---

١ ـ بحار الأنوار : ٩٣ / ٣٧٦ ، وشرح دعاء الصباح : ١٥٩ ، والإنسان الكامل : ٦٢ .

٢ ـ المائدة : ١١٠ .

وتصرف في الكون غير متعارف .

نعم هو مبني على أن هذه الآية ليست معجزةً النبي عيسى لقومه ، وعلى ما يأتي من روايات أن آل محمد أُعطوا من القدرة ما أعطي عيسى من إحياء الموتى وإبراء المرضى ، فلقرينة التساوي تكون الآية من باب قدرة عيسى لا من باب معجزته.

نعم المعروف أنها معجزة عيسى عليه السلام .

أما قوله تعالىٰ : ﴿ **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ...قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا، وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم** ﴾ [١] .

فالصحيح أن هذه الاية ليست من معاجز عيسى لإثبات نبوته ؛ لأن الذين طلبوا ذلك هم الحواريون الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وبنبوته ، بل كانوا من الخواص عنده ، إنما سألوه لكي ﴿ **نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين** ﴾ [٢] .

نعم ، قد يقال أنها ليست تصرف تكويني ، بل من باب الدعاء ، فاستجاب الله دعاء عيسى عليه السلام ، و دعاء الأنبياء مستجاب . وسوف يأتي فرق الولاية عن الدعاء . ولكن بقرينة قوله تعالىٰ ﴿ **ونعلم ان قد صدقتنا** ﴾ المشعر أن عيسى عليه السلام ذكر لهم مقدرته التكوينية وتصرفه في الكون ، فسألوه لكي تطمئن قلوبهم ، فتكون من باب الولاية، وهو غالب ظاهر الآية .

---

١ ـ المائدة: ١١٢ ـ ١١٥ .

٢ ـ المائدة: ١١٣ .

تحرير محل النزاع ومعنى الإذن الإلهي

قبل الخوض في وقوع التفويض في الولاية المظهرية والتصرفات الكونية، لابد من تحديد محل النزاع ومحور الكلام، وما هو الكلام المسلّم، وما هو الكلام المنفي وما المقدار المتنازع في إثباته لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم.

المعنى المنفي في الولاية

أمّا المعنى المنفي والذي يساوق الغلو، فهو القول ان الله تعالىٰ فوّض الأمر والخلق والرزق ونحوها من المعاني التي ترجع إلى القيومية؛ الى الأنبياء أو الأئمة أو الأولياء مع عزل نفسه وقدرته وإرادته عن أفعالهم.

وهذا المعنى من المسلم نفيه، وهو المساوق للقول بالتفويض في بحث القضاء والقدر المقابل للجبر، والمخالف لمذهب آل محمد صلى الله عليه وآله من الأمر بين أمرين.

لأن القول بتفويض القيومية للبشر بالاستقلال وبخروجها عن سلطان وقدرة الله، معناه إثبات متصرفٍ مستقلٍ بالكون في عرض تصرف الله وقدرته، وهو معنى إثبات الشريك لله، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً.

هذا مضافاً الى أن الروايات والآيات القرآنية تنفي هذا المعنى نفياً صريحاً، وتؤكد على ارتباط الأولياء والأنبياء بالله تعالى، وأنهم يحتاجون إليه في كل آن

آن احتياج الممكن الى الواجب والقابل الى المفيض .

المعنى المسلّم في الولاية

أمّا المعنى المسلّم فهو ان الله لعلوه وصقالته ونورانيته ، ولمادية الممكن وانغماسه بالدنيا وزخارفها ؛ أرسل الأنبياء والأئمة ليكونوا « واسطة على سبيل هداة» ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، ويكونوا أسباب نعمة الإنسان ، وقنطرة للانتقال من العالم السفلي عالم الظلام الى العالم العلوي عالم الأنوار .

وليكون الخلق والرزق والهداية بل لتكون القيومية على البشرية منصبة عليهم من قبل الله تعالىٰ حتى تَعْبر وتصل الى الإنسان .

فالله لا لعجزه بل لعدم قابلية الإنسان لتلقي فيوضاته النورانية ؛ قام بتوسط أولياء نِعَمِنا .

قال تعالى: ﴿وَ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

فنفس وجود النبي صلى الله عليه وآله كان وما زال رحمة ومانعاً عن نزول العذاب .

﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً. قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2]

فأوجب الله تعالى السجود لآدم الخليفة الأول لأنه وجهة الله للعبادة فالملائكة كانت دائمة السجود لله تعالى وكذلك إبليس ولكن هذا السجود له معنى آخر عند الله لأنه بتوسط خليفة الله على الأرض ومظهر عظمته، فأدخله الله

---

١ - سورة الأنفال: ٣٣ .

٢ - سورة الإسراء: ٦١ ـ ٦٢ .

تعالى كما أدخل بقية الأنبياء والخلفاء عليهم السلام في سلسلة العبادة .

قال أمير المؤمنين وسيد الموحدين عليه السلام : «*أنا باب حطة من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه*»[1].

وعليه فتحت قدرة الله و سلطانه ، وفي ظل ولايته على الكائنات يتصرف الأولياء تصرفاً كونياً يعكس و يظهر حقيقة قدرة الله وإرادته الخفية على الناس والتي لولا أوليائه لما عُكست وظهرت لنا .

فهم يتصرفون بإذن الله تصرفاً موافقاً لإرادته ، لأنهم لا يريدون إلّا ما أراد الله، بعد ان اصبحوا قاب قوسين أو أدنى من جلال الله وعظمته بسبب قربهم من الله تعالىٰ.

وكلما كان العبد قريباً من الحق تعالىٰ كانت إرادته أقرب لإرادة الله تعالىٰ ، وموافقة لها ، وكان تصرفه في الكون أشمل وأوسع وكانت مظهريته لولاية الله أظهر وأقوى .

والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تؤكد هذا المعنى ، وان التصرفات التي كانت تصدر عن الأولياء أصحاب القرب من الله كانت تصرفات عن إذن الله تعالىٰ وتحت سلطانه وقدرته قال تعالىٰ : ﴿ **وما رميت إذ رميت و لكن الله رمى** ﴾ .

وقال إمامنا الصادق عليه السلام : « لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين » ففي عين أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يرمي نسب سبحانه الرمي إليه .

المعنى المتنازع فيه

أمّا المعنى المتنازع فيه فهو تحديد الإذن ، وأنه ما المراد بأن تصرف الأولياء الكوني تحت ظل سلطانه وبإذن الله تعالىٰ؟

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٥٨ باب جوامع مناقبهم من كتاب الإمامة .

هل يراد أن الولي قبل كل فعل يستأذن الله في ذلك الفعل ، فإذا أذِن حصل .

أم أن المراد انه يستأذن للفعل مع علمه أن الله يأذن فيحصل الفعل بمجرد إرادة الولي له ، إنما الإذن هو الاعتراف بالنعمة والعبودية والشكر؟

أم المراد ان الله أذن لأوليائه في عالم الذر أو عالم الأنوار الآتي ، أذِنَ لهم إذناً يتناسب مع قرب الولي حتى يصل الى الإذن المطلق في أقرب الأولياء ، من كانوا قاب قوسين أو أدنى .

أم أنه لا يحتاج الى إذن بل يكفي علمه به ؟.

ثم ما المراد بإرادة الولي في الإذن هذا ، هل أن التصرف والفعل لا يحصل إلّا بعد إرادة الولي فمتى أراد ؛ أراد الله ، فيحصل الفعل؟

أم أن الفعل يحصل بمجرد ميل النفس الى الفعل ، بل حتى قبل ذلك ولا اعتبار للإرادة في تحقق الفعل ؛ وجوه واحتمالات :

أما بالنسبة للإرادة فإذا قلنا ان انتظار الولي للإرادة وتوقف الفعل عليها ، يعني خلو الولي قبل الإرادة من التصرف وسلب العلم بتحقق الفعل وعدمه ، إذا كان يلزم ذلك ، فإن القول بأنهم « إذا أرادوا أن يفعلوا فعلوا » ممنوع للزوم النقص وتنافيه مع قرب الولي من الله تعالىٰ وآثاره.

وإذا ورد ما يدل على ذلك فلابد من تأويله .

وإن قلنا أن التعبير بالإرادة كان لميل النفس ، أو انه لا يحصل النقص عند وجود الإرادة ، فإن المتعين عندها كون الفعل يحصل للولي بلا توسط شيء فقدرته وتصرفه لا يحدّه حدود ولا يمنع من حصوله مانع .

ويمكن القول : إن إرادته عين فعله فمتى أراد فعل ومتى فعل أراد .

هذا بغض النظر عن الإذن الإلهي الآتي .

وعليه فهناك علماً لا يغيب عن الإمام عليه السلام ، وهو العلم المرتبط بالله تعالىٰ .

وعلم يتوقف على إرادته ، وهو ما يرتبط بالخلافة والرياسة العامة وتصريف الأمور ، ويكون خلو الإمام عن هذا العلم أو توقفه على إرادته من أجل انشغاله بالعلوم الالٰهية ، والتي هي أشرف ، فالإمام قلبه مع الله لو سهى طرفة عين عنه لمات شوقاً إليه . فلا يلزم النقص عليه.

ويدل عليه روايات منها ما عن الإمام الصادق عليه السلام : « *إن الإمام عليه السلام إذا شاء أن يعلم أُعْلِمَ* »[١].

وعن عمّار الساباطي: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟

فقال : « *لا ، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك* » [٢].

ونحوها ذلك من الروايات [٣].

وتأتي أحاديث : « *قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء شئنا* » [٤].

وذلك بتأويل أن علم آل محمّد صلى الله عليه وآله متوقفاً على إرادتهم لهذا العلم متى احتاجوا إليه .

نعم ، إرادة الإمام موافقة لإرادة الله ففعله يكون موافقاً لإرادة الله عزّ وجلّ، فمتى أراد الإمام فعل ، ومتى فعل أراد الله ؛ ومتى أراد الله أراد الإمام وفعل عليه السلام .

وهل الإمام يريد ما لا يحبه الله أو لا يرضى بفعله أو لا يريده؟!

روى أبان قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل اليمن فقال أبو عبد الله : « يا يماني أفيكم علماء؟

قال : نعم .

---

١ ـ أصول الكافي : ١ / ٢٥٨ باب أنّهم إذا شاؤوا اعلموا ح ٢ .

٢ ـ الكافي: ١ / ٢٥٧ ح ٤ باب نادر في الغيب، وبصائر الدرجات: ٣١٥ ح ٤، وبحار الأنوار: ٢٦ / ٥٧ ح ١١٩ .

٣ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٥٦ ـ ٥٧ ح ١١٦ وما بعده .

٤ ـ الهداية الكبرى : ٣٥٩ باب ١٤ .

قال: فأي شيء يبلغ من علم عالمكم؟

قال: انه يسير في ليلة واحدة مسير شهرين ويزجر الطير ويقفو الأثر.

فقال له عليه السلام: « عالم المدينة اعلم من عالمكم ».

قال له: فأي شيء يبلغ من عالم علم المدينة؟

فقال له عليه السلام « يسير في صباح واحد مسيرة سنة للشمس إذا مرت، فأما *اليوم فهي ما* يوده، وإذا مرت تقطع اثنى عشر مغرباً واثنى عشر مشرقاً»[١].

وعلى فرض ذلك هل يقع الفعل؟!

من المسلم به ان الإمام لا يريد إلّا ما أراد الله وأحبه وارتضاه، وإلّا للزم ابتعاده عن القرب الإلهي، وهو خلف كونه الإمام المفترض الطاعة.

ولو فرض المحال وهو ليس بمحال، ان الإمام يريد ما لا يحبه الله أو لا يريده فهل يقع الفعل أم لا؟

أمّا بالنسبة لما لا يريده الله فيستحيل ان يقع إذا كانت إرادته تكوينية.

أمّا بالنسبة لما لا يحبه الله فقد يقع نظير عدم حب الله لقتل الطفل فقد يقع من أحاد الناس.

نعم بالنسبة للإمام عليه السلام فإذا أراد ما لا يحبه الله (فرضاً محالاً) فإما أنه يقدر على الفعل أو لا يقدر؟ فإذا كان لا يقدر على الفعل فلا يقع الفعل.

وإن كان يقدر على الفعل فهل يقدر بقدرة الله أم بغيرها؟ فعلى الثاني يلزم الشريك لله وهو محال، وعلى الأول يلزم إعطاء الله القدرة للإمام لما لا يحبه، وهو محال فالله لا يعطي لوليه ما لا يحبه، على أنه خلاف عصمة النبي والإمام عليهم صلوات المصلين.

١ - دلائل الإمامة: ١٣٥ ـ ١٣٦ معاجز الصادق عليه السلام.

فحتى على هذا الفرض المحال لا يستقيم إرادة الإمام لما لا يريده ولا يحبه الله تعالىٰ .

ويؤيده قول الإمام علي عليه السلام لمَن سأله عن معاوية : لو أقسمت على الله أن آتي به قبل أن أقوم من مجلسي هذا ومن قبل أن يرتد الى أحدكم طرفه لفعلت ، ولكنا كما وصف الله عز من قائل : ﴿**عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بـأمره يعملون**﴾[1].

أما الإذن الإلهي : فقلنا فيه أربع تفسيرات واحتمالات :

١ ـ الإذن الخاص لكل مصداق مصداق .

٢ ـ الإذن مع العلم بالاذن المسبق .

٣ ـ الإذن المسبق لحدود ولايته المظهرية أو التكوينية .

٤ ـ كفاية العلم برضى المولى بالفعل بلا حاجة الى الإذن ، ويكون العلم به بمرتبة الإذن .

أمّا الإحتمال الثاني فلغو ، لأن الإذن مع فرض العلم بالاذن تحصيل للحاصل والإمام منزه عن طلب الحاصل ، والله أجل من ان يرضى لوليه ذلك .

* *اما الإحتمال الثالث* ففيه احتمالات :

أ ـ فإما أن الإذن المسبق يعنى أن الله أذن لأوليائه عندما أوجدهم في عالم الميثاق إذناً مطلقاً (كل في حدود ولايته) وتخلى عنهم ، فهم يفعلون بالاستقلال .

ب ـ وإما أنه أذِن لهم عند إيجادهم ولكن عند صدور الفعل يجدد الإذن .

ج ـ وإما أنه أذِن لهم عند إيجادهم واستمر هذا الإذن الى أوان صدور الفعل من باب أن الممكن يحتاج في كل آن آن الى فيض دائمي من واجب الوجود ﴿ وما

١ ـ الهداية الكبرى : ١٢٥ .

كان عطاء ربك محظورا ﴾ .

وقال تعالىٰ : « *يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء ، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد* » [١] .

فدائماً إرادة الله مساوقة وملازمة لكل فعل .

والإحتمال الأول باطل لأنه تفويض يؤدي للغلو ويأتي نفيه .

والثاني لغو ، لكفاية الإذن الأول عن الثاني ؛ إذ المراد هو تصحيح عمل الولي في التصرف والإذن المستتبع والمستلزم للفعل يكفي في رفع الاشكال .

أمّا الإحتمال الثالث فهو احتمال وجيه ؛ إذ أنه بعيد عن التفويض المنهي عنه . كما انه لا لغوية لعدم تعدد الإذن ؛ إذ لا إذن سابق ولاحق ، بل هو أذن واحد مستمر من إلٰه واحد لا يصدر منه إلّا واحد .

ولكن يمكن ارجاعه الى الإحتمال الرابع الآتي أو عدم الحاجة إليه مع صحة وتمامية الإحتمال الرابع .

وبعبارة أُخرى: هذا الإذن يرجع الى العلم بالفعل ، فالولي يعلم أن الله قد أَذِن له مسبقاً ، وأن إذنه مستمر الى أوان الفعل، فَعِلْم الولي متقدم على إذن المولى بالتصرف.

نعم علم الولي متأخر عن إذن المولى بعلمه ، اي ان إعطاء المولى ومنحه تعالىٰ العلم للولي متقدم على حلول العلم في الولي، وإعطاء المولى ومنحه هو إذنٌ منه تعالىٰ؛ فتقدم الإذن على علم الولي .

فرجع العلم الى الإذن ، ولكن ليس الى إذن الفعل بالتصرف ، بل الى إذن العلم برضى المولى بالفعل .

ـ *وان شئت قلت* : هناك إذن بالفعل الجزئي وهناك إذن عام بمطلق الفعل ،

---

١ ـ بحارالأنوار : ٥ / ٤٨ ـ ٥٦ ـ ٥٧ كتاب العدل والمعاد ح ٩٩ ـ ١٠٤ .

ويدور الأمر بين الاذنين وكلاهما من الله تعالىٰ ، ومما لا شك فيه تقديم الإذن بمطلق الفعل لتناسبه مع كرم الله وكون الإمام لا يريد إلّا ما أراد الله تعالىٰ .

وعليه فثبت أنه إذنٌ في علم المولى وهو يكفي لتصحيح صدور الفعل من الولي ويستغني عن الإذن للفعل بالعلم برضى المولى بالفعل ، وهذا رجوع للاحتمال الرابع ، كما سوف تعرف فلا تغفل .

أما الإحتمال الأول : فاتضح مما تقدم لغويته ، لأنه *أولاً* : ينفي الإذن المسبق المطلق .

إن قيل : كيف؟ .

قلنا : إذا اجتمع الاذنين رجعنا الى الإحتمال الثالث ، ومع نفيه للاذن المسبق يلزم نفي علم الولي به لتوقفه على الإذن وهو باطل .

ثانياً : قلنا أن الله منزه عن الأمور الجزئية وشأنه إعطاء الإذن بمطلق الفعل، مع إمكان العلم المطلق بعد الإذن به .

ثالثاً : عدم الحاجة إليه مع فرض وجود علم للإمام بإذن الله تعالىٰ كما أشرنا إليه ويأتي في الإحتمال الرابع .

أمّا الإحتمال الرابع فهو الصحيح ، وذلك بتوضيح زيادة عما قلناه في الإحتمال الثالث :

فاعلم أن معنى الإذن هو معرفة الولي ان الله تعالىٰ يرضى بذلك الفعل أو يحبه أو يريده ، فإذا قلنا أن الولي يعلم مسبقاً برضى المولى أو إرادته ، فلا حاجة للإذن ، بل يكون من باب تحصيل الحاصل ، وهو لغوٌ .

وإن شئت قلت : علمه برضى مولاه إذن من مولاه ، لأن علم الإمام برضى الله بأفعاله ، والمفروض ان الإمام لا يفعل إلّا عن إرادة وحكمة، وإرادته موافقه لإرادة الله تعالىٰ ؛ ولا تصدر إلّا عن الله ولا يريد إلّا ما أراده كما في الأحاديث :

«لا يشاؤون إلّا ما يشاء الله» «نحن إذا شئنا شاء الله وإذاكرهناكره الله». «فإذا شاء شئنا»[١].

والإمام عليه السلام أيضاً لا يفعل إلّا ما يحب الله أن يفعله؛ فيكون فعل الإمام الصادر منه مراداً لله ومحبوباً له وهو معنى الإذن.

فهنا طريقان:

١ ـ أن إرادة الولي والإمام لا تتخلف عن إرادة المولى والله، وانه لا يريد إلّا ما أراد ولا يفعل إلّا ما أحب، وهذا بنفسه إذن ويكفي لتصحيح العمل والفعل، وهو المطلوب.

٢ ـ أن نقول أن العلم من الإمام برضى مولاه يكفي، فعلمه بمرتبة الإذن المسبق، وإن كان في الواقع غير مسبق بل مقارنا للفعل كمقارنة الإرادة للفعل في الأفعال المظهرية أو التكوينية.

لأن إرادة الله في ـ كن ـ مقارنة لقوله، وفعله مقارن لإرادته، وهما مقارنان لتحقق الفعل الخارجي، وكلهم مقارنون لعلم الله، فالإمام ـ والذي إرادته موافقة لإرادة الله ـ إرادته مقارنة لفعله في الأمور الكونية، بمعنى عدم احتياجه في فعله هذا الى قولٍ ونيةٍ وما شابه ذلك، إذ يكفي في الأمر التكويني الميل نحو الفعل لكي يتحقق.

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٤ / ٣٠٥، و: ٢٦ / ٧ باب نادر في معرفتهم، والهداية الكبرى: ٣٥٩.

الولاية فعلية لا إنشائية

ومن هنا يتضح بطلان ما قاله البعض من أننا إذا سلمنا بالولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد صلى الله عليه وآله ، فإننا نسلمها على أساس أنها انشائية ، بمعنى أنها لا تكون فعلية إلّا عند حاجة أهل البيت عليهم السلام إليها .

وهذا معناه عدم قدرتهم على شيء من الكونيات ، خاصة مع ملاحظة كونهم غير محتاجين لأي شيء في هذا الكون سوى الله تعالىٰ . نعم الكون بأجمعه بحاجة إليهم .

على أن هذا القول يؤدي الى النقص في مَن أذهب الله عنهم كل نقص .

فمن خلال ما تقدم يتضح كون ولايتهم فعليةً مساوقةً لإرادتهم عليهم السلام المساوقة لإرادة الله تعالىٰ ، وسوف يأتي في الأدلة ما يوضح ذلك ، وأن الولاية غير مرتبطة بالحاجة ، نعم هي مرتبطة بغاية معينة تكمن في الأفعال الصادرة ، المختلفة من فعل لآخر .

فرق الولاية عن المعجزة

تقدم تعريف الولاية أنها تصرف تكويني، إبداعاً أو تبديلاً في الأمور بغير أسبابٍ متعارفة، مع علم واختيار الولي بأسباب وتفاصيل المورد، من غير تحدي وإثبات نبوة.

وبذلك تفترق عن المعجزة لأنها مشروطة بالتحدي وإثبات النبوة.

الفرق الثاني:

كما أن المعجزة مختصة بالأنبياء، اما الولاية فهي تشمل الأنبياء والأوصياء والأولياء.

الفرق الثالث:

على أن الولاية تصرف مباشري من الولي واستعمال للسلطنة والقدرة الكونية المستمدة من الله تعالىٰ.

أمّا المعجزة فليست بالتصرف المباشر من قبل الأنبياء، ولا اظهاراً لقدرة وسلطنة النبي، إنما هي لمجرد إثبات النبوة المأخوذة على عاتق كل نبي عليه السلام، وأن ما جاء به هو من عند الله تعالىٰ، فالمعجزة إنما هي لتصديق الناس ان ماجاء به حق وأنه صادق.

نعم يشتركان أنهما معاً بأسباب غير متعارفة.

فتكون المعجزة فقط لإثبات النبوة وصدق النبي عليه السلام .

أمّا التصرف الكوني فله أهداف أُخرى تأتي قريباً .

وقد تجتمع المعجزة مع التصرف كما حصل لعيسى عليه السلام : حيث كانت معجزته على نبوته إحياء الموتى وإشفاء المرضى ، وكان تصرفه التكويني بإنزال المائدة على الحواريين كما تقدم في مطلع البحث .

فرق الولاية عن الدعاء

تعريف الدعاء

الدعاء في اللغة: هو أن تميل الشئ إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت فلاناً أدعوه دعاء، أي ناديته وطلبت إقباله، وأصله دعاو، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت[١].

أما في باب العبادة فهو: عبادة قُربية في الإسلام تعني التوجه نحو أقرب موجود الى الإنسان الذي يدخل بين الإنسان وقلبه، الأمر الذي قد لا يتصوره بشر، فهذا الموجود يستطيع أن يقف حائلاً بين هذا الإنسان وبين قلبه ليمنعه عن فعل أي شيء، فأقدس موجود يدعونا أن نلتمس منه ما نحتاجه من أمور ماديّة ومعنوية وقد وعد بالإستجابة والله لا يخلف وعده.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «*الدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضاءَ بَعْدَ مَا أُبْرِمَ إِبْرَاماً فَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ رَحْمَةٍ وَنَجَاحُ كُلِّ حَاجَةٍ وَلاَ يُنَالُ مَا عِنْدَ اللهِ عزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِالدُّعَاءِ وَإِنَّهُ لَيسَ بَابٌ يُكْثَرُ قَرْعُهُ إِلَّا يُوشَكُ أَنْ يُفْتَحَ لِصَاحِبِهِ*»[٢].

وللدعاء شرائط مخصوصة وآداب كثيرة، كالكون على الطهارة واستقبال القبلة والتوجه وحسن المكان وفضله ونحو ذلك[٣]، حتى إذا إسْتُجمعت

---

(١) أنظر البحار: ٩١ / ٢٦٢.

(٢) أصول الكافي، ج ٢، كتاب الدعاء (باب إن الدعاء يرد البلاء)، الحديث ٧.

٣ - وقد فصّلنا ذلك في كتاب «معاجز الدعاء».

وطلب الإنسان من ربه وإلتمس منه فعل شيء استجاب له ، إذا كان من أصحاب الدعوة المجابة ، ولم يكن فيه ضرر على الغير، وهذا كله لا يشترط فيه العلم بالاستجابة وأسباب الأمور ، ولا بالتحقق وعدمه .

وبذلك يفترق عن الولاية ، لأن الولاية ليست عبادة مخصوصة ، إنما هي حق طبيعي وتصرف كوني يمنحه الله لمن يشاء من عباده على حسب قربهم وطاعتهم .

وفي الولاية يعلم الولي بأسباب الفعل وتفاصيله وما ينتج عنه وما يصدر منه، ويعلم بتحقق فعله وتمني أمره ، بل لا يصدر منه التصرف ـ ولو كان قلبياً ـ إلّا بعد قطعه بالتحقق وحصوله خارجاً ، بل إرادة الإمام في الولاية مقارنة لتحقق الفعل .

الفرق الثاني:

وأيضاً في الدعاء الداعي لا يتصرف بل يطلب من الله تعالى التصرف وتحقيق الفعل.

أما في الولاية فالولي بنفسه يحقق الفعل ويتصرف بإذن الله تعالىٰ .

الفرق الثالث:

أن لسان الدعاء يختلف عن لسان الأمر التكويني، فألسنة الأدعية غالباً ما تكون بلفظ: اللهم ـ ربي ـ إلهي ـ.

أما ألسنة الأوامر التكويني فهي ما دلّ على الطلب والتنفيذ وغالباً هي بلفظ: كن فيكون.

ويأتي أيضاً أنها أحياناً من دون لفظ بل بفعل الإمام للشيء المراد

تحقيقه مباشرة .

الفرق الرابع :

على أنه لا يشترط في الدعاء الاستجابة عكس الولاية ، فلابدّ أن ينفذ الأمر التكويني ، فإنه لا يتخلف البتة ـ كن فيكن ـ وإلّا لما كان أمراً تكوينياً .

لذا جاء في الحديث القدسي لموسى عليه السلام : محمد وعترته فمن عرفهم وعرف حقهم جعلت[ه] عند الجهل علماً ، وأعطيته قبل السؤال ، وأجبته قبل الدعاء [1] .

فإجابة الله له قبل أن يدعو دليل على أن مجرد رغبة العبد الولي بالشيء قبل أن يتوجه الى الله تعالىٰ بالدعاء تحققه .

نعم أدعية آل بيت محمد عليهم السلام مستجابة ، كما دلت عليه الروايات المستفيضة ـ فيما يأتي ـ فعند دعاء الإمام بالشيء يحصل بلا توقف ، لأن الإمام لا يطلب من الله إلّا ما يريده الله ويحبه .

الفرق بين دعاء أهل البيت وولايتهم

وهل هناك فرق بين ولاية آل محمد التكوينية ودعائهم؟!

أمّا بالنسبة للنتيجة فواحدة وهي حصول الفعل وتحققه مباشرة وكونه موافقاً لطلب الله وإرادته وحبه .

نعم قد يفرق من الناحية التحليلية ، أن الدعاء طلب من الله بحصول الفعل وليس هو تحقيق للفعل من قبل الإمام بالمباشرة ، اما التصرف التكويني فهو

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين : ١٤٩ .

إعمال لقدرة الإمام وتحقيق للفعل من نفس الإمام بالمباشرة .

وإن كانا معاً بإذن الله وتحت سلطانه .

ويكون الدعاء من آل محمد عليهم السلام لإبراز ارتباطهم بالله تعالىٰ وتعويد الناس على الطلب من الله تعالىٰ لا من غيره ، وأيضاً لربط الناس بالله مباشرة .

إضافة الى ابراز العطف على الشيعة من قبل الإمام عند رفعه يديه بالدعاء.

ويكون التصرف التكويني منهم عليهم السلام لابراز قدرتهم التي منحها الله لهم ، ولإظهار عظمة وسلطان وقدرة الله من خلال فعلهم المظهر لقدرة الله وأفعاله وصفاته.

وما سوف يأتي من روايات من باب التصرف التكويني، اما ادعية الرسول وآل البيت عليهم السلام فمحلها غير هذه الرسالة ، نعم سوف تتعرض باختصار الى نماذج من استجابة دعاءهم .

نماذج من إستجابة أدعية أهل البيت عليهم السلام

نموذج من إستجابة دعاء النبي صلى الله عليه وآله

عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام : أن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا خرج من الغار متوجهاً الى المدينة وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مائة من الإبل، فخرج سراقة بن مالك بن جعشم فيمن يطلب، فلحق برسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم اكفني شر سراقة بما شئت، فساخت قوائم فرسه وثنى رجله ثم اشتد فقال: يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك، فادع الله لي أن يطلق لي فرسي، فلعمري إن لم يصبكم مني خير لم يصبكم مني شر، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلق الله فرسه، فعاد في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى فعل ذلك ثلاث مرات كل ذلك يدعو رسول الله صلى الله عليه وآله فتخذ الأرض قوائم فرسه، فلما أطلقه في الثالثة قال: يا محمد هذه إبلي بين يديك فيها غلامي وإن احتجت الى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة وأنا أرجع فأرد عنك الطلب، فقال: لا حاجة لنا فيما عندك[١].

إستجابة دعاء النبي في طائر الجنة

عن علي عليه السلام في حديث أنه دخل على النبي صلى الله عليه وآله في بيت عائشة ، فقال: «يا

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٣ ح ٣٧٨.

أبا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع ، فلما دخلت بيت عـائشة وأطـلت القعود وليس عندها شيء تأتيني به ، فمددت يدي ودعوت القريب المجيب، فهبط علي جبرائيل ومعه الطير ، ووضع إصبعه على طائر بـين يـديه ، فـقال : إن الله أوحى إلي أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة ، فآتيك به يا محمد فأتيتك ، فحمدت الله كثيراً، وعرج جبرائيل فرفعت طرفي إلى السماء وقلت : اللهم يسر عبدا يحبك ويحبني يأكل معي من هذا الطير، إلى أن قال : فكل يا علي، فأكلت أنا والنبي(١).

نموذج من إستجابة دعاء علي عليه السلام

ابن بابويه : قال : حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال : حدّثنا علي ابن الحسين السعد أبادي ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي الجارود ، عن جـابر بـن يـزيد الجعفي ، عن جابر ابن عبد الله الأنصاري ، قال : خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس إن قدام منبركم هذا أربعة رهـط مـن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله منهم أنس بن مالك والبراء بن عازب الأنصاري والأشعث بن قيس الكندي وخالد بن يزيد البجلي ، ثم أقبل بوجهه على أنس بن مالك فقال : يا أنس إن كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فهذا عـلي مـولاه (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)، ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية ، فلا أماتك الله حتى يبتليك ببرص لاتغطيه العمامة . وأما أنت يا أشعث فإن كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من

---

(١) الاحتجاج : ١ / ٢٩٢ .

عاداه، ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية ، فلا أماتك الله حتى يذهب بكريمتيك.

وأما أنت يا خالد بن يزيد إن كنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ، ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك الله إلا ميتة جاهلية.

وأما أنت يابراء بن عازب إن كنت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية ، فلا أماتك الله إلا حيث هاجرت منه.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: والله لقد رأيت أنس بن مالك وقد ابتلي ببرص يغطيه بالعمامة فما تستره ، ورأيت الأشعث بن قيس وقد ذهبت كريمتاه وهو يقول: الحمد لله الذي جعل دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علي بالعمى في الدنيا ولم يدع علي بالعذاب في الآخرة فأعذب ، وأما خالد بن يزيد فإنه مات فأراد أهله أن يدفنوه وحفر له في منزله فدفن ، فسمعت بذلك كندة فجاءت بالخيل والإبل فعقرتها على باب منزله فمات ميتة جاهلية .

وأما براء بن عازب فإنه ولاه معاوية اليمن فمات بها فمنها كان هاجراً[1].

ومن طريق المخالفين موفق بن أحمد قال : ذكر محمد بن أحمد بن شاذان، حدثني أحمد بن محمد بن موسى ، عن عروة ، عن محمد بن عثمان المعدل، عن محمد بن عبد الملك ، عن يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه واله في المنام فقال لي رسول الله ﷺ : يا أنس ما حملك على أن لا تؤدي ما سمعت مني في (حق) علي بن أبي طالب حتى أدركتك العقوبة؟ ولولا استغفار علي لك ما شممت رائحة الجنة أبداً، ولكن أبشر في بقية عمرك، إن أولياء علي وذريته ومحبيه ، السابقون الأولون إلى

---

(١) مدينة المعاجز / السيد هاشم البحراني: ١ / ٣١٨.

الجنة ، وهم جيران أولياء الله وأولياء حمزة وجعفر والحسن والحسين ، وأما علي فهو الصديق الأكبر لا يخشى يوم القيامة من أحبه[١].

نموذج من دعاء فاطمة عليها السلام المستجاب

كانت فاطمة عليها السلام كثيرة العبادة لربّها كثيرة التسبيح كثيرة الدعاء والتضرّع، وكانت تدعو لجيرانها قبل نفسها وللمؤمنين والمؤمنات كما تقدّم.

كانت تؤثرهم على نفسها حتّى في الدعاء لشدّة تقرّبها من ربّها.

ووردت الروايات أنّ الله كان يستجيب لها ما تطلبه منه، ففي حديث نزول مائدة السماء جاء فيه:... ثمّ وثبت فاطمة عليها السلام حتّى دخلت إلى مخدعٍ لها فصفّت قدميها فصلّت ركعيتن ثمّ رفعت باطن كفّيها إلى السماء، وقالت: إلٰهي وسيّدي هذا محمّد نبيّك وهذا علي ابن عمّ نبيّك وهذان الحسن والحسين سبطا نبيّك، إلٰهي أنزل علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بني إسرائيل، أكلوا منها وكفروا بها، اللّهمَّ أنزلها علينا فإنّا بها مؤمنون.

قال ابن عبّاس: والله ما استتمت الدعوة فإذا هي بصحيفة من ورائها يفور قتارها وإذا قتارها أزكى من المسك الأذفر...[٢].

وأخرج ابن حبّان عن عبدالله قال: بينما رسول الله ساجد وحوله ناس إذ جاء عقبة ابن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمةفأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك وقالت: اللّهمَّ

---

(١) مدينة المعاجز / السيد هاشم البحراني: ١ / ٣١٧ ، ومناقب الخوارزمي : ٣٢ ، مقتل الحسين عليه السلام له: ١ / ٤٠، وأخرجه في البحار : ٦٨ / ٤٠ ح ٨٤ عن كشف الغمة ١ / ١٠٤ نقلاً من مناقب الخوارزمي .

(٢) البحار: ٤٣ / ٧٣ ـ ٧٤ ح ٦١ والحديث طويل اختصرناه.

عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة وعقبة وأُميّة بن خلف، قال: فلقد رأيتهم يوم بدر وأُلقوا في بئر غير أنّ أُميّة تقطّعت أوصاله فلم يلق في البئر[١].

ويؤيّد هذه الروايات ما قالته النصارى عندما جاء النبيّ صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام للمباهلة قال كبيرهم: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألت الله تعالى أن يزيل جبلاً لأزاله، لا تباهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني منكم إلى يوم القيامة[٢].

نموذج من دعاء الإمام الحسن عليه السلام المستجاب

وفي كتاب المناقب أنّه استغاث الناس إلى الحسن عليه السلام من زياد فرفع يده وقال: اللّهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالاً عاجلاً إنّك على كلّ شيءٍ قدير، فخرج خرّاج في إبهام يمينه يقال لها السلعة وورم إلى عنقه فمات.

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال بعضهم للحسن بن علي في احتماله الشدائد من معاوية فقال عليه السلام: لو دعوت الله تعالى لجعل العراق شاماً والشام عراقاً وجعل المرأة رجلاً والرجل أمرأة، فقال الشامي: ومَن يقدر على ذلك؟

فقال عليه السلام: إنهضي ألا تستحين أن تقعدي بين الرجال فوجد الرجل نفسه امرأة.

ثمّ قال: وصارت عيالك رجلاً وتقاربك وتحمل منها وتلد ولداً خُنثى فكان كما قال عليه السلام.

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان: ٨ / ١٨٩ ح٦٥٣٦.

(٢) الفصول المهمّة: ٢٣.

ثمّ إنّهما تابا وجاءا إليه فدعى الله فعادا إلى الحالة الأُولى.[١]

نموذج من دعاء الإمام الحسين عليه السلام المستجاب

السيد الرضي: قال: حدث جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن أخيه قال: شهدت يوم الحسين عليه السلام فأقبل رجل من تميم يقال له عبد الله بن جويرية فقال: يا حسين، فقال عليه السلام: ما تشاء؟ فقال: أبشر بالنار.

فقال عليه السلام: كلا إني أقدم على رب غفور وشفيع مطاع، وأنا من خير وإلى خير، من أنت؟

قال: أنا ابن جويرية، فرفع يده الحسين عليه السلام حتى رأينا بياض إبطيه، وقال: اللهم جره إلى النار، فغضب بن جويرية، فحمل عليه، فاضطرب به فرسه في جدول، وتعلق رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس فأخذ يعدو به ويضرب رأسه بكل حجر وشجر، وانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر متعلقاً في الركاب، فصار لعنه الله إلى نار الجحيم[٢].

إستجابة دعاء الحسين على ابن أبي جويرية المزني

ابن بابويه في أماليه: بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث مقتله عليه السلام: إن الحسين عليه السلام قال لأصحابه: قوموا فاشربوا من الماء يكون آخر زادكم، وتوضأوا واغتسلوا واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم. ثم صلى بهم الفجر وعبأهم تعبئة الحرب، وأمر بحفيرته التي حول عسكره، فأُضرمت بالنار ليقاتل القوم من وجه واحد، وأقبل رجل من عسكر عمر بن سعد لعنه الله على فرس له

---

(١) البحار:٣٢٧/٤٣، ومستدرك سفينة البحار: ٩٣/٤.

(٢) عيون المعجزات: ٦٥ وعنه البحار: ٤٤ ١٨٧ ذح ١٦ والعوالم: ١٧ ٥٢ ح ١.

يقال له : ابن أبي جويرية المزني . فلما نظر إلى النار تتقد صفق بيده ، ونادى : يا حسين وأصحاب الحسين ، أبشروا بالنار، فقد تعجلتموها في الدنيا .

فقال الحسينعليه السلام : من الرجل؟

فقيل: ابن أبي جويرية المزني .

فقال الحسينعليه السلام : اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا . فنفر به فرسه ، فألقاه في تلك النار فاحترق[(١)].

نموذج من دعاء علي بن الحسين عليه السلام المستجاب

سعد بن عبد الله قال : حدّثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن علي بن عبد الله الحناط ، عن عمر بن حفص ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد ، عن أبي جعفرعليه السلام ، قال قال علي بن الحسينعليه السلام : موت الفجأة تخفيف عن المؤمن وأسف على الكافر ، فإن المؤمن ليعرف غاسله وحامله ، فإن كان له عند ربه خير، ناشد حملته بتعجيله ، وإن كان غير ذلك ناشدهم أن يقصروا به .

فقال ضمرة بن سمرة : يا علي لو كان كما تقول لقفز من السرير ، وضحك وأضحك .

فقال علي بن الحسينعليه السلام : أللهم إن كان ضمرة بن سمرة ، ضحك وأضحك من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله فخذه أخذ آسف ، فعاش بعد ذلك أربعين يوماً ومات فجأة ، فأتي علي بن الحسينعليه السلام مولى لضمرة . فقال : أصلحك الله إن ضمرة عاش بعد ذلك الكلام الذي كان بينك وبينه أربعين يوماً ، ومات فجأة ، وإني أُقسم (عليك) بالله لسمعت صوته وأنا أعرفه كما كنت أعرفه في الدنيا ،

---

(١) مدينة المعاجز / السيد هاشم البحراني: ٣ / ٤٧٤ .

وهو يقول : الويل لضمرة بن سمرة تخلى عنه كل حميم وحل بدار الجحيم ، وبها مبيته والمقيل .

قال: فقال علي بن الحسين عليهما السلام : الله أكبر هذا جزاء (كل) من ضحك وأضحك من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله [١].

نموذج من دعاء الإمام الباقر عليه السلام المستجاب

وعن أبي بكر الحضرمي قال: لمّا حُمِل أبو جعفر عليه السلام إلى الشام إلى هشام وصار ببابه فقال لأصحابه: إذا سكت عن توبيخه فوبّخوه أنتم، فلمّا دخل عليه قال بيده: السلام عليكم، فعمّهم بالسلام ثمّ جلس ولم يسلّم عليه بالخلافة وجلس بغير إذنه فازداد هشام حنقاً فقال: يا محمّد بن علي لا تزال تدّعي الإمامة سفهاً وقلّة علم ثمّ وبّخه القوم.

فلمّا سكتوا نهض قائماً فقال: أين تذهبون وأين يُراد بكم؟

بنا هدى الله أوّلكم وبنا يختم آخركم فإن يكن لكم ملك معجل فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً وليس بعد ملكنا ملك لأنّا أهل العاقبة يقول الله عزّوجلّ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

فأمر به إلى الحبس فلمّا صار بالحبس تكلّم فلم يبق فيه أحد إلّا ترشفه[٣] فحكوا لهشام فأمر به وبأصحابه بأن يحمل على البريد[٤] ليردّ إلى المدينة وأمر

---

(١) مدينة المعاجز / السيد هاشم البحراني: ٤ / ٣٦٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٨.

(٣) أي مصه، وهو كناية عن المبالغة في أخذ العلم عنه.

(٤) قال الزمخشري في الفائق: البريد الرسول ويجمع على برد بضم الباء والراء، وقد تسكن الراء =

أن لا تخرج لهم الأسواق وحالَ بينهم وبين الطعام والشراب فساروا ثلاثاً لا يجدون طعاماً ولا شراباً حتّى انتهوا إلى باب المدينة فأغلق باب المدينة دونهم فشكى أصحابه العطش والجوع فصعد جبلاً أشرف عليهم فقال بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها أنا بقيّة الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ.

وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم فقال: يا قوم هذه والله دعوة شعيبعليه السلام والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من فوقكم ومن تحت أرجلكم فصدّقوني هذه المرّة وأطيعوني وكذّبوني فيما تستأنفوني فإنّي ناصحٌ لكم فبادروا وأخرجوا له الأسواق[1].

نموذج من إستجابة دعاء الإمام الكاظم عليه السلام

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: قال: أخبرني علي بن هبة الله الموصلي، قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى القمي، عن أبيه، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أبي عبد الله محمد بن خالد البرقي، قال: حدّثنا حماد بن عيسى الجهني، قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، أدع الله أن يرزقني داراً وزوجة وولداً وغلاماً وأحج في كل سنة،

=للتخفيف كرسل ورسل والبريد في الأصل البغل وهي كلمة فارسية أصلها بريده دم أي محذوفة الذنب لأنَّ بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها فأعربت وخففت بحذف الآخر وفتح الأول ثم سمى الرسول الذي يركبه بريد أو المسافة التي بين السكتين بريداً، والسكة الموضع الذي كان يسكنه الفيوح المرتبون من رباط أوقبة أو بيت أو نحو ذلك وبعد ما بين السكتين فرسخان وكان يرتب في كل سكة بغال وكتب في الحاشية: قيل والصواب أربعة فراسخ، ونقل هذا القول صاحب النهاية أيضاً.

(١) الكافي: ١/ ٤٧٢ ح ٥، ومناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٢٣.

فرفع يده ثم قال عليه السلام: اللهم صل على محمد وآل محمد، وارزقه داراً وزوجة وولداً وخادماً والحج خمسين سنة.

قال حماد: فحججت ثمانية وأربعين سنة وهذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني، وهذا خادمي وحج بعد هذا الكلام حجتين، ثم خرج بعد الخمسين فزامل أبا العباس النوفلي، فلما صار في موضع الإحرام دخل يغتسل فجاء الوادي فحمله فغرقه، فمات ودفن بالسيالة[1].[2]

عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، قال: حججت أيام خالي إسماعيل بن إلياس، فكتبنا إلى أبي الحسن الأول عليه السلام، فكتب خالي: إن لي بنات وليس لي ذكر، وقد قل رجالنا، وقد خلفت إمرأتي وهي حامل، فادع الله أن يجعله غلاماً وسمه.

فوقع في الكتاب: قد قضى الله تبارك وتعالى حاجتك، وسمه محمداً. فقدمنا الكوفة وقد ولد لي غلام قبل دخولي الكوفة بستة أيام، ودخلنا يوم سابعه.

قال أبو محمد: فهو والله اليوم رجل له أولاد [3].

نموذج من دعاء الإمام الصادق عليه السلام المستجاب

عن حماد بن عثمان عن المسمعي قال: لما قتل داود بن علي المعلى بن خنيس قال أبو عبد الله عليه السلام: لأدعون الله على من قتل مولاي وأخذ مالي، فقال له داود ابن علي: إنك لتهددني بدعائك؛ قال حماد: قال المسمعي: فحدثني معتب أن

---

(١) السيالة: أول مرحلة لأهل المدينة إذا قصدوا مكة المكرمة. معجم البلدان: ٣ / ٢٩٢.

(٢) دلائل الإمامة: ١٦٢، وقرب الإسناد: ١٢٨ - ١٢٩، والبحار: ٤٨ / ٤٧ - ٤٨ ح ٣٦ و ٣٧.

(٣) مدينة المعاجز / السيد هاشم البحراني: ٧ / ٩٢.

أبا عبد الله عليه السلام لم يزل ليلته راكعاً وساجداً فلما كان في السحر سمعته يقول وهو ساجد: اللهم إني أسألك بقوتك القوية وبجلالك الشديد الذي كل خلقك له ذليل أن تصلي على محمد وأهل بيته وأن تأخذه الساعة الساعة، فما رفع رأسه حتى سمعنا الصيحة في دار داود بن علي فرفع أبوعبد الله عليه السلام رأسه وقال: إني دعوت الله بدعوة بعث الله عزَّ وجلَّ عليه ملكاً فضرب رأسه بمرزبة من حديد انشقت منها مثانته فمات(١).

نموذج من دعاء الإمام الرضا عليه السلام المستجاب

وعن أحمد بن عمر قال: خرجت إلى الرضا عليه السلام وامرأتي حبلى فقلت له: إنّي قد خلّفت أهلي وهي حامل فادع الله أن يجعله ذكراً فقال لي: وهو ذكر فسمّه عمراً.

فقلت: نويت أن اسمه عليّاً وأمرت الأهل به قال عليه السلام: سمه عمراً فوردت الكوفة وقد ولد لي ابن وسمّي عليّاً فسمّتيه عمراً فقال لي جيراني: لا نصدّق بعد هذا أحداً عليك بشيء فعلمت أنّه كان أنظر لي من نفسي(٢).

ابن بابويه : قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار قال : حدّثنا أبي ، عن محمد ابن إسحاق الكوفى ، عن عمه أحمد بن عبد الله بن حارثة الكرخي قال : كان لا يعيش لي ولد وتوفى لي بضعة عشر من الولد ، فحججت ودخلت على أبى الحسن الرضا عليه السلام ، فخرج إليَّ وهو متزر بإزار مورد ، فسلمت عليه وقبلت يده وسالته عن مسائل . ثم شكوت إليه بعد ذلك ما ألقى من قلة بقاء الولد ، فاطرق طويلاً ودعا ملياً، ثم قال لي: إنى لأرجو أن تنصرف ولك حمل ، وأن يولد لك ولد

(١) الكافي: ٢ / ٥١٣ ح ٥ .

(٢) البحار: ٤٩/ ٥٢ ح ٥٥، ومسند الإمام الرضا: ١/ ٢٤٩ ح ٤٧٥.

بعد ولد، وتمتع بهم أيام حياتك، فإن الله تعالى إذ أراد أن يستجيب الدعاء، فعل، وهو على كل شئ قدير.

قال: فانصرفت من الحج إلى منزلي فأصبت أهلى (ابنة خالي) حاملاً، فولدت لى غلاماً سميته إبراهيم، ثم حملت بعد ذلك فولدت لي غلاماً سميته (محمداً) وكنيته بأبى الحسن، فعاش إبراهيم نيفاً وثلاثين سنة وعاش أبو الحسن أربعاً وعشرين سنة. ثم إنهما اعتلا جميعاً وخرجت حاجاً وانصرفت وهما عليلان، فمكثا بعد قدومى شهرين، ثم توفي إبراهيم في أول الشهر وتوفي محمد في آخر الشهر، ثم مات بعدهما بسنة ونصف، ولم يكن يعيش له قبل ذلك ولد إلا أشهراً[1].

ابن بابويه: قال: حدّثنا الحاكم أبو على الحسين بن أحمد البيهقى قال: حدّثنا محمد بن يحيى الصولى قال: حدثنى أحمد بن محمد بن إسحاق الخراساني قال: سمعت على بن محمد النوفلي يقول: إستحلف الزبير بن بكار رجلاً من الطالبيين على شئ بين القبر والمنبر، فحلف وبرص، وأنا رأيته وبساقيه وقدميه برص كثير، وكان أبوه بكار قد ظلم على بن موسى الرضا عليه السلام في شئ، فدعا عليه فسقط في وقت دعائه عليه السلام عليه حجر من قصر فاندقّت عنقه. وأما أبوه عبد الله بن مصعب فإنه مزق عهد يحيى بن عبد الله بن الحسن، وأهانه بين يدى الرشيد وقال: أقتله يا أمير المؤمنين فإنه لا أمان له.

فقال يحيى للرشيد: إنه خرج مع أخى بالأمس وأنشد أشعاراً له فأنكرها، فحلفه يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة، فحم من وقته ومات بعد ثلاثة فانخسف قبره مرات كثيرة[2].

---

(١) مدينة المعاجز / السيد هاشم البحراني: ٧ / ١١٢.

(٢) مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني: ٧ / ١٢٦.

نموذج من دعاء الإمام الجواد عليه السلام المستجاب

عن أحمد بن محمّد بن عبدالله، عن محمّد بن سنان قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال: يا محمّد حدث بآل فرج حدث ؟

فقلت: مات عمر .

فقال: الحمد لله. حتّى أحصيت له أربعاً وعشرين مرّة، فقلت: يا سيّدي لو علمت أنَّ هذا يسرُّك لجئت حافياً أعدو إليك.

قال: يا محمّد أو لا تدري ما قال ـ لعنه الله ـ لمحمّد بن عليّ أبي[1].

قال: قلت: لا،قال :بل خاطبه في شيء .

فقال : أظنّك سكران .

فقال أبي : اللّهمَّ إن كنت تعلم أنّي أمسيت لك صائماً فأذقه طعم الحرب وذلّ الأسر، فوالله ما ذهبت الأيّام حتّى حُرب ما له وما كان له ثمَّ أُخذ أسيراً وهو ذا

---

(١) قوله «لمحمد بن علي أبي» إن صح هذا الخبر كان قول عمر للإمام الجواد قبل أن ينال عملاً يعتد به في دولة بني العباس فإنّ أول ما ظهر أمره كان في خلافة الواثق بعد قبض مولانا الجواد عليه السلام بسنين وفوض الواثق إلى عمر ديوان الضياع وغلب عليه في الأمور وكان عمر أذل وأهون من أن يجترى على مخاطبة الإمام عليه السلام بهذا الكلام المنكر إذ كان له عليه السلام موقع في القلوب عظيم مع كونه ختن الخليفة وشأنه في الدولة وعظمته في أنظار أصحاب الحكومة وسعة ذات يده وكثرة عطاياه وحشمه فقد كان عطاؤه أكثر من ألف ألف درهم غير ما يصل إليه من شيعته من الخمس، وهذا هو الذي دعاني إلىٰ النظر في الخبر وتحقيق وجه الضعف فيه. عن هامش شرح الكافي .

قدمات ـ لا رحمه الله ـ وقد أدال[1] الله عزَّ وجلّ منه وما زال يـديل أوليـاءه مـن أعدائه[2].

نموذج من دعاء الإمام الهادي عليه السلام المستجاب

قال أبو محمد الفحام: حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد قال: حدثني عم أبي قال: قصدت الإمام عليه السلام يوماً، فقلت: يا سيدي إن هذا الرجل قد أطرحـني وقطع رزقي وملني، وما أتهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك، فإذا سألته شيئاً منه يلزمه القبول منك، فينبغي أن تتفضل علي بمسألته.

فقال عليه السلام: تكفى إن شاء الله. فلما كان في الليل طرقني رسـل المـتوكل، رسول يتلو رسولا، فجئت والفتح على الباب القائم، فقال: يا رجل ما تأوي في منزلك بالليل؟ كدّني هذا الرجل مما يطلبك، فـدخلت وإذا المـتوكل جـالس فـي فراشه، فقال: يا أبا موسى نشغل عنك وتنسينا نفسك، أي شئ لك عندي؟

فقلت: الصلة الفـلانية والرزق الفـلاني، وذكـرت أشـياء، فـأمر لي بـها وبضعفها.

فقلت للفتح: وافى علي بن محمد إلى هاهنا؟

فقال: لا. فقلت: كتب رقعة؟

فقال: لا، فوليت منصرفاً، فتبعني فقال لي: لست أشك أنك سألته دعاء لك،

---

(١) الأدالة من الدولة وهي الانتقال من حال الشدة إلىٰ الرخاء، والأدالة الغلبة يقال أديل لنا على أعدائنا أي نصرنا عليه والدولة لنا، وفي الفائق: يقول أدال الله زيداً من عمرو ومجازه نزع الله الدولة من عمرو فاتاها زيداً، وعلى هذا فمفعول أدال محذوف وهو من محمد بن علي وضمير منه راجع إلىٰ عمر و«أولياء» مفعول يديل.

(٢) الكافي: ١/٤٩٦ ح ٩،ومدينة المعاجز: ٣٠٩/٧.

فالتمس لي منه دعاء، فلما دخلت إليه عليه السلام قال لي: يا أبا موسى هذا وجه الرضا!

فقلت: ببركتك يا سيدي، ولكن قالوا لي: إنك ما مضيت إليه ولا سألته.

فقال: إن الله تعالى علم منا أنا لا نلجأ في المهمات إلا إليه ولا نتوكل في الملمات إلا عليه، وعودنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.

قلت: إن الفتح قال لي: كيت وكيت.

قال: إنه يوالينا بظاهره و يجانبنا بباطنه، الدعاء لمن يدعو به إذا أخلصت في طاعة الله، واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله، وبحقنا أهل البيت، وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك.

قلت: يا سيدي فتعلّمني دعاء أختص به من الأدعية.

قال: هذا الدعاء كثيراً ما أدعو الله به، وقد سألت الله أن لا يخيب من دعا به في مشهدي بعدي وهو: يا عدتي عند العدد ويا رجائي والمعتمد ويا كهفي والسند ويا واحد يا أحد ويا قل هو الله أحد، أسالك اللهم بحق من خلقتهم من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، أن تصلي عليهم وتفعل بي كيت وكيت.[1]

نموذج من دعاء الإمام العسكري عليه السلام المستجاب

عن محمّد بن الحسن بن شمّون قال: كتبت إلىٰ أبي محمّد عليه السلام أسأله أن يدعو الله لي من وجع عيني وكانت إحدى عينيَّ ذاهبة والأُخرى على شرف ذهاب، فكتب إليَّ: حبس الله عليك عينك.

فأفاقت الصحيحة، ووقّع في آخر الكتاب: آجرك الله وأحسن ثوابك، فاغتممت لذلك ولم أعرف في أهلي أحداً مات، فلمّا كان بعد أيّام جاءتني وفاة

(١) أمالي الطوسي: ١ / ٢٩١ - ٢٩٢ وعنه البحار: ٥٠ / ١٢٧ ح ٥، وأورده في مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤١٠ - ٤١١.

ابني طيّب فعلمت أنّ التعزية له[١].

وعن سيف بن اللّيث هذا قال: خلّفت ابناً لي عليلاً بمصر عند خروجي عنها وابناً لي آخر أسنّ منه كان وصيّي وقيّمي على عيالي وفي ضياعي فكتبت إلىٰ أبي محمّد عليه السلام أسأله الدُّعاء لابني العليل.

فكتب إليّ: قد عوفي إبنك المعتلُّ ومات الكبير وصيّك وقيّمك فاحمد الله ولا تجزع فيحبط أجرك.

فورد عليّ الخبر أنّ ابني قد عوفي من علّته ومات الكبير يوم ورد عليَّ جواب أبي محمّد عليه السلام[٢].

نموذج من دعاء الحجة القائم عجل الله فرجه المستجاب

أبو المفضل محمد بن عبد الله قال: أخبرني محمد بن يعقوب قال: قال القاسم ابن العلاء: كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام ثلاثة كتب في حوائج لي، وأعلمته أنني رجل قد كبر سني وأنه لا ولد لي، فأجابني عن الحوائج ولم يجبني عن الولد بشيء. فكتبت إليه في الرابعة كتاباً وسألته أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً، فأجابني وكتب بحوائجي، وكتب: اللهم ارزقه ولداً ذكراً تقر به عينه، واجعل هذا الحمل الذي له وارثاً، فورد الكتاب وأنا لا أعلم أن لي حملاً، فدخلت إلى جاريتي فسألتها عن ذلك، فأخبرتني أن علتها قد ارتفعت فولدت غلاماً[٣].

ابن بابويه: قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي الأسود رضي الله عنه

---

(١) الكافي: ١ / ٥١٠ ح ١٧، وإثبات الهداة: ٣ / ٤٠٤ ح ٢٠، ومناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٣٢.

(٢) الكافي: ١ / ٥١١ ذح ١٨ وإثبات الهداة: ٣ / ٤٠٥ ح ٢٢ وكشف الغمة: ٢ / ٤٢٤، والبحار: ٥٠ / ٢٩٢ ذح ٦٥، ومناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٣٣.

(٣) مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني: ٨ / ١٠٧.

قال: سألني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رضي الله عنه بعد موت محمد ابن عثمان العمري أن أسأل أبا القاسم الروحي أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله عزَّ وجلَّ أن يرزقه ولداً ذكراً قال: فسألته فأنهى ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين، وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به، وبعده أولاد. قال: أبو جعفر محمد بن علي الأسود: وسألته في أمر نفسي أن يدعو الله لي أن أرزق ولداً ذكراً، فلم يجبني إليه، وقال (لي): ليس إلى هذا سبيل.

قال: فولد لعلي بن الحسين (تلك السنة إبنه) محمد بن علي وبعده أولاد، ولم يولد لي شئ.

قال: الشيخ ابن بابويه: كان أبو جعفر محمد بن علي الأسود رضي الله عنه كثيراً ما يقول لي، إذا رآني أختلف إلى مجلس شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه وأرغب في كتب العلم وحفظه: ليس بعجب أن تكون لك هذه الرغبة في العلم، وأنت ولدت بدعاء الإمام عليه السلام[1].

(١) كمال الدين: ٥٠٢ ح ٣١ وعنه منتخب الأنوار المضيئة: ١٣٣، وفي البحار: ٥١ / ٣٣٥ ح ٦١.

الولاية التكوينية ولاية مظهرية لا طولية ولا عرضية

بعد الفراغ عن إمكان ووقوع الولاية على الأمور الكونية والتصرف فيها، لابد ان يعلم ان هذه الولاية ليست في عرض ولاية الله التكوينية وقدرته ، ولا حتى في طولها .

أمّا إنها ليست في عرضها فلوضوح سلب كل الولايات عن كل شيء لغير الله، فلا ولاية بالاصالة والاستقلال إلّا لله الواحد القهار ، وكل من قال بوجود ولاية في عرض ولاية الله وقدرته ؛ فقد قال بالغلو والتفويض المحرم ـ كما يأتي ـ لأنه مساوق للقول بألوهية صاحب الولاية العرضية ، وكونه شريكاً لله في التصرف بالخلق والرزق وما شابه من الأمور الكونية .

أمّا إنها ليست في طول ولاية الله ؛ فلان معنى الطولية ان لله ولاية وقدرة فإذا انتهت بدأت ولاية وقدرة الغير ، نظير ولاية ولي العهد عند انتهاء ولاية والده مثلاً فتبدأ ولاية الابن .

وهذا المعنى لا يصح في حق الله تعالىٰ ، لأنه أحد صمد ، وولايته لا تتحدد في مقطع خاص أبداً حتى يصل الدور الى ما سوى هذا المقطع لولاية الآخرين .

وبعبارة أُخرى لا رتبة أولى لولاية الله حتى يقال هناك رتبة ثانية للآخرين.

وعليه : فإذا لم تكن الولاية التكوينية لا عرضية ولا طولية ، فالمتعين كونها «*مظهرية*» أو «*إذنية*» فولاية الولي لله هي مظهرٌ لولاية الله عزّ وجلّ ، فالولي

هو الذي يظهر ويجليّ ولاية الله ، وولاية الله تكون متجليةً فيه .

قال الحافظ البرسي : ولهذه الأسماء مظاهر فمظهر ركن الحياة اسرافيل، ومظهر ركن العلم جبرائيل ، ومظهر ركن الإرادة ميكائيل، ومظهر ركن القدرة عزرائيل[1].

والى ذلك أشار مولى الموحدين علي عليه السلام : « *الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه* »[2].

ويضرب لذلك مثالاً المرآة ، فإنها عندما تعكس صورة الشخص فليس الصورة المعكوسة في عرض الشخص ولا في طوله ؛ إنما هي بالدقة تدل على الشخص، وآية عليه وعلامة ، فليس لها شيء ذاتي مستقل ولا عرضي من نفسها إنما كل الصورة هو من الشخص ؛ فهي مظهرٌ ومتجلّ لصاحبها .

فكذلك الولي الحقيقي لله تعالىٰ ، فعند تصرفه بالأمر التكويني فهو يعكس قدرة الحق تعالىٰ ويظهر عظمته وقدرته ، ويجلّي أمره التكويني .

قال تعالىٰ مخاطباً نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله : ﴿ **لتحكم بين الناس بما اراك الله** ﴾[3].

فرسول الله صلى الله عليه وآله هو الحاكم ، ولكن ليس بالاستقلال ولا بطول حاكمية الله تعالىٰ ، بل حكمه مظهراً لحكم الله تعالىٰ ، ومن خلال حكمه صلى الله عليه وآله بين الناس يتجلى حكم الله ، وتتجلى حاكمية الله من خلال إعمال حاكمية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله .

وفي الحديث : القدسي المروي في صفة أهل الجنة : *من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم الذي لا يموت ، أما بعد فإني أقول للشيء كن فيكون قد*

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين : ٣٢ .

٢ ـ نهج البلاغة : ١٥٥ الخطبة ١٠٨ .

٣ ـ النساء : ١٠٥ .

جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون[١].

فحياة الإنسان مظهر لحياة الله تعالىٰ.

قال الحكيم السبزواري: *ثم المراد من الحي بحياة الأول والقيوم بقيوميته، لا الذي لا يكون شيئاً بحيال نفسه إذ لا تشريك في أمر الله الواحد القهار*[٢].

وقال: كذلك فعل زيد مع كونه فعله فعل الله[٣].

ومراده تبيين الأمر بين أمرين، ونفي الجبر والتفويض، فحقيقة الأمر بين أمرين هي نسبة الفعل للإنسان في عين نسبته للحق تعالىٰ: ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ففي عين انه رمى نفى عنه الله الرمي وأثبته الله تعالىٰ لنفسه، فالمعنى ان رميك ليس رمياً حقيقياً إنما هو رمي ظلي، والرامي الحقيقي هو الله تعالىٰ، وهذا ما يستفاد من الحديث القدسي المروي عن عبد الله بن عمر والإمام الرضا وأبي الحسن عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « قال الله تعالىٰ: « *يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد* »[٤].

وقال الإمام الخميني (قدس سره) في الآية: حقيقة الأمر بين الأمرين من لدن حكيم عليم على لسان الرسول الكريم وأهل بيته عليهم السلام من الرب الرحيم، فإن فهم هذه الحقيقة ودرك سرها وحقيقتها لا يتيسر إلاّ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فإنه يرى بعين البصيرة والتحقيق بلا غشاوة التقليد وحجاب العصبيّة أنّ كل موجود من الموجودات بذواتها وقواها

---

١ ـ بحار الأنوار: ٩٣ / ٣٧٦، وشرح دعاء الصباح: ١٥٩، والانسان الكامل: ٦٢.

٢ ـ شرح دعاء الصباح: ١٥٩ ـ ١٦٠.

٣ ـ شرح دعاء الصباح: ١٨٣.

٤ ـ بحار الأنوار: ٥ / ٤٩ ـ ٦٥ ـ ٧٥ح ٩٧ـ ٩٩ ـ ١٠٤ من كتاب العدل والمعاد.

الظاهرية والباطنية من شؤون الحق وأطواره وظهوره وتجلياته، وهو تعالى وتقدس مع علوّ شأنه وتقدّسه عن مجانسة مخلوقاته وتنزّهه عن ملابسة التعينات باين في المظاهر الخلقية ظاهر في مرآت العباد وهو الأول والظاهر والباطن، كذلك الأفعال والحركات والتأثيرات كلها منه في مظاهر الخلق فالحق فاعل بفعل اللّه وقوة العبد ظهور قوة الحق. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[1].

فجميع الذوات والصفات والمشيّات والإرادات والآثار والحركات من شؤون ذاته وظل صفة مشيئته وإرادته وبروز نوره وتجليه وكلّ جنوده ودرجات قدرته، والحق حق والخلق خلق، وهو تعالى ظاهر فيها وهي مرتبة ظهوره.

ظهور تو بمن است و وجود من از تو[2]

ولست تظهر لولاي لم اكن لولاك

فمن نسب الفعل إلى الخلق وعزل الحق عنه بزعم التنزيه والتقديس فهو قاصر وظالم لنفسه وحقه، محجوب عن الحق مطرود عن الرب، تنزيهه وتقديسه تقصير وتحديد وتقليد، فهو داخل في قوله مغضوب عليهم عاكف في الكثرات بلا توحيد.

ومن نسبه إلى الحق مع عدم حفظ الكثرة فهو ضال متجاوز عن الإعتدال وداخل في قوله الضالين.

والصراط المستقيم والطريق المستبين الخروج عن التعطيل والتشبيه وحفظ مقام التوحيد والتكثير وإعطاء حق الحق والعبد. فعند ذلك ينكشف للعبد

---

١ - الأنفال : ١٧ .

٢ ـ ظهورك بي ووجودي منك .

أنّ ما أصابه من حسنة فمن اللّه وما أصابه من سيئة فمن نفسه، فإن السيئة من سوء الإستعداد ونقصان الوجود وهما قسط العبد، والحسنة من الخيرات والجهات الوجودية، وهي قسط الرب. وينفتح له سرّ قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[١].

فإن القابل من التجلي الغيبي، كما قال محي الدين، والقابل لا يكون إلاّ من فيضه الأقدس ويصير على بصيرة من الأخبار المتكاثرة في الباب. وليس هذا المختصر مقام الشرح والتفصيل، ومن أراد أن يتضح له الأمر على تفصيله فعليه بالرجوع إلى مسفورات أساطين الحكمة وأولياء المعرفة سيما السيد المحقق البارع الداماد وتلميذه العظيم صدر الحكماء المتألّهين رضوان اللّه عليهما[٢].

وقال قدس سره: *واعلم أيها المسكين أن السالك إلى اللّه بقدم المعرفة قد ينكشف له في بعض حالاته أن سلسلة الوجود ومنازل الغيب ومراحل الشهود من تجليات قدرته تعالى ودرجات بسط سلطنته ومالكيته ولا ظهور لمقدرة إلاّ مقدرته ولا إرادة إلاّ إرادته بل لا وجود إلاّ وجوده. فالعالم كما أنه ظل وجوده ورشحة جوده ظل كمال وجوده فقدرته وسعت كل شي وقهرت على كل شي والموجودات بجهات أنفسها لا شيئية لها ولا وجود فضلاً عن كمالات الوجود من العلم والقدرة وبالجهات المنتسبة إلى بارئها القيوم كلها درجات قدرته وحيثيات كمال ذاته وظهور أسمائه وصفاته ومن ذلك ينكشف قوله بالقدرة التي استطلت على كل شي، فإن الإستطالة هي سعة القدرة وبسط السلطنة عليها وهو تعالى بظهور قدرته وسع كل شيء.* ﴿وما

---

١ – النساء: ٧٨.

٢ – شرح دعاء السحر: ١١٤.

مِنْ دَابَّةٍ إلاَّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتها﴾[١][٢].

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « *عن الله أروي حديثي إن الله يقول: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد* »[٣].

وقد ورد: « إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريد »[٤].

ولعل هذا الحديث اصرح من الآية المتقدمة حيث لم ينفِ الإرادة من العبد كما فعل في الرمي بقوله تعالىٰ: ﴿ وما رميت ﴾ إنما علق إرادة العبد على إرادته، وأن العبد له أن يريد ويستطيع عليه، ولكن كله بإرادة الله تعالىٰ، وهذا هو الأمر بين أمرين. نعم مسألة فعل الشرور من الإنسان لا تنسب الى الله، ولذا قال الكليني بأن الإرادة ليست من صفات الذات للزوم محذور نسبة الشرور لله تعالىٰ، حيث إنه لا يريد شراً ولا ظلماً ولا كفراً ولا شيئاً من القبيح.

وقد فصل العلماء بين إرادتين فقالوا بوجود إرادة لله هي عين ذاته، وإرادة في مقام الفعل باعتبار التعينات حادثة زائلة كما تقدم شرحه[٥].

وعليه فما يأتي من إثبات الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام يكون في الواقع إثباتاً لمظهريتهم لولاية الله تعالىٰ.

وتعبير « التفويض » يراد منه هذا المعنى، وإنما ابقينا على هذا المصطلح لوقوعه في الروايات الشريفة.

---

١ – هود: ٥٦.

٢ ـ شرح دعاء السحر: ١٢٣ ـ ١٢٢.

٣ ـ التوحيد للصدوق: ٣٤٤ باب ٥٥ ح ١٣ باب المشيئة والإرادة.

٤ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٨١.

٥ ـ راجع شرح دعاء السحر للإمام الخميني: ١١٥ ـ ١١٦، وشرح دعاء الصباح للسبزواري: ١٥١ ـ ١٥٢.

الولاية المظهرية للأنبياء عليهم السلام

تقدم قوله تعالىٰ : ﴿ إذ تخلق من الطين كهيئة الطير ﴾ .

فكانت ولاية تكوينية للنبي عيسى عليه السلام .

ـ وقال تعالىٰ : ﴿ ولقد أوحينا الى موسى أن اسري بعبادي فاضرب بهم طريقاً في البحر يبساً ﴾ .

وقال : ﴿ فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ [1] .

وهذه ولاية تكوينية لموسى عليه السلام .

ـ وقال تعالىٰ : ﴿ قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن ياتينك سعياً ﴾ [2] .

وهذا نص آخر صريح في إعطاء النبي إبراهيم عليه السلام التصرف في خلق الطير من أجزاء ميتة .

ـ وقال : ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنّا فاعلين ﴾ .

وقال : ﴿ ولقد أتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد ﴾ [3] .

---

١ – طه : ٧٧ ـ الشعراء ٦٣ .

٢ ـ البقرة : ٢٦٠ .

٣ – الأنبياء : ٧٩ – سبأ: ١٠ .

وهذه أيضاً ولاية تكوينية للنبي داود عليه السلام .

ـ وقال عزّ من قائل : ﴿ **ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره** ﴾ .

وقال : ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ﴾ .

وقال : ﴿ **وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين بالأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب** ﴾[١] .

وهذه ولاية سليمان التكوينية أو المظهرية وهي أكبر الولايات .

ـ وعن الإمام الرضا عليه السلام في حديثه مع الجاثليق: « فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى مشى على الماء وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ، فلم يتخذه أُمته رباً ولم يعبده أحد من دون الله ، ولقد صنع حزقيل النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسى عليه السلام فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة ... »[٢] .

هذه نماذج من ولايات الأنبياء العظام عليهم السلام التكوينية .

---

١ - الأنبياء : ٨١ ـ، النمل : ١٥ ـ ١٨ ، صَ : ٣٤ ـ ٣٩ .

٢ ـ التوحيد للصدوق : ٤٢٢ ح ١ باب ٦٥ باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام ، والهداية الكبرى : ٤٢٠ .

الولاية المظهرية لغير الأنبياء عليهم السلام

١ ـ قال تـعالىٰ : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يـا مريم أنىٰ لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ [١] .

فهذه مريم عليها السلام أملكها الله إيجاد الطعام من غير أسبابه المتعارفة.

٢ ـ قال تعالىٰ : ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ [٢] .

فهذا تصرف من قبل آصف بن برخيا بحمل عرش بلقيس بزمان قليل من مكان الى مكان ، وهو من التصرفات الكونية العجيبة غير المتعارفة .

٣ ـ قال تعالىٰ حكاية عن ذي القرنين : ﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فأتْبَعَ سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس ... ﴾ [٣] .

قال أمير المؤمنين عليه السلام لمن سأله عن كيفية بلوغ ذي القـرنين المشـرق والمغرب: « سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له فـي النـور ، وقـال: أزيدك؟ .

قال : فسكت الرجل . وسكت علي رضي الله عنه » [٤] .

---

١ ـ آل عمران : ٣٧ .

٢ ـ النحل : ٤٠ .

٣ ـ الكهف : ٨٤ ـ ٨٥ .

٤ ـ تاريخ دمشق : ١٧ / ٣٣٣ ترجمة ذي القرنين رقم ٢١٠٦ .

٤ ـ وقال تعالىٰ في بلعم بن باعوراء ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين** ﴾ [١].

فروي أنه كان يرى العرش [٢].

٥ ـ وقال تعالىٰ في قدرة الجن: ﴿ **وقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ [٣].

٦ ـ وقال تعالىٰ في قدرة جبرائيل عليه السلام: ﴿ **فرفعنا فوقكم الطور** ﴾ [٤] وذلك عندما حمل جبل الطور على بني إسرائيل.

٧ ـ وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: « كانت امي أم عبد الله بنت الحسين عليه السلام جالسة عند جدار فتصدع الجدار فقالت بيدها لا وحق المصطفى ما أذن لك الله في السقوط حتى أقوم، فبقي معلقا حتى قامت وبعدت، ثم سقط، فتصدق علي بن الحسين عليهما السلام بمائة دينار » [٥].

وهذه نماذج أيضاً أُخرى من ولايات تكوينية لغير الأنبياء عليهم السلام.

---

١ - الأعراف: ١٧٥.

٢ - بحار الأنوار: ١٣ / ٣٧٣ ح ١٩.

٣ - النمل: ٣٩.

٤ - البقرة: ٦٣.

٥ ـ الهداية الكبرى: ٢٤١ باب ٧.

الولاية المظهرية أو التكوينية لأهل البيت عليهم السلام

وقبل سرد جملة من الأدلة والنماذج لولاية أهل البيت عليهم السلام المظهرية أو التكوينية لابد من تمهيد مقدمات :

مقدمات لا بدّ منها:

المقدمة الأولى: في جواز التصرف بالأمور الكونية

قال العلامة الشيخ أحمد الحموي الحنفي في (نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء اللّه والكرامة بعد الانتقال) ... وأما ما يتعلق بالتصرف فاعلم أن تصرف الأولياء حال حياتهم من جملة كراماتهم ، وهو كثير في كل زمان لا شك فيه ولا ينكره إلا معاند . واما بعد مماتهم، إنما هو بإذن اللّه وإرادته لا شريك له في ذلك خلقاً وإيجاداً ، أكرمهم اللّه به وأجراه علىٰ أيديهم وبسببهم ، خرقاً للعادة ؛ تارة بإلهام، وتارة بدعائهم ، وتارة بفعلهم واختيارهم ، وتارة بغير اختيارهم ولا قصد ولا شعور منهم ، وتارة بالتوسل إلىٰ اللّه في حياتهم وبعد مماتهم مما هو ممكن في القدرة الإلهية ـ(إلىٰ أن قال) وكيف يحكم بالكفر علىٰ من اعتقد ثبوت التصرف لهم في حياتهم وبعد مماتهم حيث كان مرجع ذلك إلىٰ قدرة اللّه خلقاً وإيجاداً كيف وكتب جمهور المسلمين طافحةٌ به وانه جائز

وواقع لا مرية فيه البتة ، حتى كاد أن يلحق بالضرورات ، بل البديهات .. »[١]

ويقول الاستاذ محمد بخيث المطيعي مفتي الديار المصرية الأسبق : « إن ما يظهر من التصرفات علىٰ يد الأولياء لا يخالف صريح القرآن ، لأن هذا التصرف الذي ينسب للاولياء ، هو نوع من الكرامات وهو فعل لله وخلقه ، ويظهره الله إكراماً لهم تارة بإلهام ، وتارة بمنام ، وتارة بدعائهم ، وتارة بفعلهم واختيارهم ، وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم . بل قد يحصل من الصبي المميز ، وتارة بالتوسل الى الله بهم في حياتهم وبعد مماتهم مما هو ممكن في القدرة الإلهية . ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك قبل الموت وبعده نسبتهم الى الخلق والايجاد والاستقلال بالأفعال ، فإن هذا لا يقصده مسلم ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلاً عن غيرهم .

وهذا لا فرق فيه بين الحي والميت ، لما تقدم من أن الفاعل هو الله ، بل إنه بعد الموت أقرب منه حال الحياة الدنيوية لأن الروح بعد الممات غير مشغولة بتدبير شؤون البدن »[٢] .

ـ وقال الشيخ الشعراني : « سألت علي الخواص هل يعطىٰ أحد من الأولياء التصرف بكن في هذه الدار فقال : نعم بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فإنه تصرف بها في عدّة مواطن منها قوله في غزوة تبوك : كن أبا ذر ، فكان أبا ذر »[٣].

وقال ابن العربي : ولم يرد نص عن الله ولا عن رسوله في مخلوق أنه أعطي «كن » سوى الإنسان خاصة [٤] ، فظهر ذلك في وقت النبي صلى الله عليه وآله في غزوة

---

١ - صلح الأخوان : ٩٤ ـ ٩٥ .

٢ - أهل البيت للشرقاوي : ١٨١ .

٣ - الجواهر والدرر للشعراني بهامش كتاب الابريز : ١٢٣ .

٤ - مراده به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله .

تبوك فقال: « كن أبا ذر » ، فكان هو أبا ذر [١] .

استمرارية التصرف التكويني :

وبمقتضى الأدلة الآتية يستمر التصرف التكويني للولي بحسب مرتبته وقربه من الله تعالىٰ ، حتى تصل ذروتها في النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام .

قال الاسفرائيني : نبينا حيّ بجسده وروحه يتصرف ويسير حيث يشاء في أقطار العالم [٢] .

---

١ - الإنسان الكامل : ٦٢ عن الفتوحات المكية الباب ٣٦١ .

٢ - لوامع أنوار الكوكب الدري : ١ / ٢٠٤ .

المقدمة الثانية : حدود الولاية المظهرية وسعتها

ما تقدم من نصوص قرآنية يثبت ان للأنبياء عليهم السلام وبعض الأولياء والأوصياء ولايةً تكوينية ، وتصرفاً ببعض أمور الكون، ولا يثبت أكثر من النموذج المذكور في الآيات كاحياء طير أو ميت أو إيجاد طعام ونقل عرش ونحو ذلك .

وبعبارة أُخرى : أثبتنا لهم ولاية تكوينية ، ولكن لم نثبت لهم حدود هذه الولاية، هل على كل الأمور الكونية أم على بعضها .

وما هو نص الآية هو إثبات بعضها ، فلابد ان يتوقف عليه . وما هو المهم في البحث هو البحث عن حدود ولاية أهل البيت المظهرية أو التكوينية هل تشمل الكونيات جميعاً أم لا؟

وهذا البحث يرتبط بالأدلة الآتية ومفادها ، فمنه يعرف سعة هذه الولاية .

وبدواً من قوله تعالى : ﴿ **قال الذي عنده علم من الكتاب** ﴾ الذي أثبت لآصف الولاية المظهرية أو التكوينية، مع انه كان عنده علم قليل من الكتاب ـ كما يأتي ـ منه يعلم أن أهل البيت عليهم السلام الذين يمتلكون علم الكتاب كله ، لابد ان تكون ولايتهم التكوينية أو المظهرية أوسع بكثير من هذه الولايات المذكورة سابقاً .

وقال الإمام الخميني (قده) : (*فإن للإمام عليه السلام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل*) [1] .

---

١ - الحكومة الإسلامية : ٥٢ .

المقدمة الثالثة : شرائط منح الولاية المظهرية

الولاية التكوينية أو المظهرية قدرة يمنحها الله لخاصة أوليائه الذين يتقربون من الله تعالىٰ تقرباً يصبح سبحانه وتعالىٰ سمعهم وأبصارهم وأيدهم.

كما في حديث التقرب بالنوافل المستفيض :

« *لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ؛ ففيّ يسمع ، وبي يبصر ، وبي ينطق ، وبي يبطش ، وبي يمشي* »[١].

وله ألفاظ أُخرى [٢].

قال الشيخ حسن زاده آملي : بل ان هذا الشخص ، ولأن الحق يكون عينه التي يرىٰ وأُذنه التي بها يسمع ، وعين جوارحه وقواه الروحية والجسمية ؛ فإن تصرفه الفعلي أيضاً يكون كالحدس والجذبة الروحية ، حتى يصير قوله وفعله واحداً ، ولا يحتاج الى الامتداد الزماني في حركاته وانتقالاته ، بل يصير محلاً لمشيئة الله ومظهراً لـ﴿*إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون*﴾ حيث يتحد عندها القول والفعل[٣].

وقال الخواجة نصير الدين الطوسي : العارف إذا انقطع عن نفسه واتصل

---

١ ـ جامع الاسرار : ٢٠٤ ح ٣٩٣.

٢ ـ المعجم الكبير : ٨ / ٢٠٦ ، والمعجم الاوسط : ١٠ / ١٦٣ ح ٩٣٤٨ ، وكنزالعمال ٧ / ٧٧٠ ح ٢١٣٢٧ ، ونور الأبصار : ٧٥ ، وصفة الصفوة : ١ / ٩ ط . مصر ، وأصول الكافي : ٢ / ٣٥٢ ح ٧ ، وعلل الشرائع : ١ / ٢٢٧ باب ١٦٢ .

٣ ـ الإنسان الكامل : ١٧٣ .

بالحق رأى كل قدرة مستغرقة في قدرته المتعلّقة بجميع المقدورات، وكل علم مستغرق في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات ، وكل إرادة مستغرقة في إرادته التي يمتنع أن يتأتى عليها شيء من الممكنات .

بل كل وجود فهو صادر عنه فائض عن لدنه فصار الحق حينئذٍ بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها يفعل وعلمه الذي به يعلم ووجوده الذي به يوجد ، فصار العارف حينئذٍ متخلّقاً بأخلاق الله في الحقيقة [١].

إذاً هناك شروط لابد أن تتوفر في صاحب الولاية قبل أن يضفي الله عليه ولايته التكوينية أو المظهرية ، وبحسب استعدادات ذلك الولي وفنائه في الله يُوسِع له الله تعالىٰ في حدود ولايته ، فمنهم من يستطيع ان ينقل عرش بلقيس ، ومنهم من يعطيه إحياء طيرٍ، ومنهم من يعطيه إيجاد الطعام .

وسوف يأتي ان منهم من يمنحه طي الأرض ، والتي هي اقل من نقل عرش بلقيس لأنه إضافة الى طي الأرض منحه الله جمع الامكنة ونقل بعضها .

وبعضهم يمنحه الله تعالىٰ إحياء الأموات وتحويل التراب الى ذهب وهكذا.

وعليه فلابد من البحث عن استعدادات أهل البيت عليهم السلام لتلقي ولاية الله التكوينية أو المظهرية ، ومدى تعلقهم بالله تعالىٰ .

قال الإمام الخميني (قدس سره): فالسالك إذا تجلى له ربه بكل اسم اسم، وتحقق بمقام كل اسم خاص ؛ صار قلبه قابلاً للتجلي بالإسم الجامع الذي فيه كل الشؤونات وتمام الجبروت والسلطان بالوحدة الجمعية والكثرة في الوحدة أولاً، وبالكثرة التفصيلية والبقاء بعد الفناء والوحدة في الكثرة ثانياً .

ولم يتفق لأحد من أهل السلوك وأصحاب المعرفة بحقيقته إلّا لنبينا الأكرم والرسول المكرم ولأوليائه عليهم السلام الذين اقتبسوا العلم والمعرفة من

---

١ ـ شرح الإشارات والتنبيهات : ٣ / ٣٨٩ عنه السير إلى الله : ٧٩ .

مشكاته والسلوك والطريقة من مصباح ذاته وصفاته [١].

وقال الحكيم السبزواري : اعلم ان جميع الأنبياء والرسل من آدم الى عيسى عليهم السلام مظهرٌ من مظاهر خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله ، وجميع الأوصياء والأولياء مظهرٌ من مظاهر سيد الأولياء علي عليه السلام ، لقوله صلى الله عليه وآله :

«*بُعث علي مع كل نبي سراً وبعث معي جهراً*» [٢].

---

١ ـ شرح دعاء السحر : ١٦٠ .

٢ ـ شرح دعاء الجوشن : ١٠٤ ، وجامع الاسرار : ٣٨٢ ـ ٤٠١ ح ٧٦٣ ـ ٨٠٤ ، والمراقبات : ٢٥٩ .

المقدمة الرابعة : استعدادات أهل البيت لتلقي الولاية

كنا فيما سبق نقول ان سبب منح الله للاولياء والأنبياء الولاية التكوينية أو المظهرية هو الاستعدادات التي يحصلها الإنسان من جراء تقربه الى الله بالعبادة وفنائه في الحق فناءً لا يرى لنفسه وجوداً في قبال اُلوهية الحق تعالىٰ .

وهذا الكلام إنما يجري في غير أهل البيت المطهر عليهم السلام ، ذلك للفرق بينهم وبين بقية الأولياء بل والأنبياء، فإذا كان يعقل ان الله بعد أن اتّخذ عيسى عليه السلام نبياً أو مريم عليها السلام صديقة طاهرة وأصبحا يعبدان الله ويطيعانه في كل أوامره ، ويدعوان الى عبادته فاقتربا من الحق تعالىٰ حتى منحهما جانباً من ولايته الكونية؛ فإن ذلك إذا كان يعقل في حقيهما، فإنه لا يعقل في حق العترة الطاهرة المطهرة ؛ لأن الاصطفاء المطلق لهم ومنحهم إرادته التكوينية أو المظهرية كان قبل عالم التكليف والعبادة ، أعني في عالم الملكوت وأنوار اللاهوت وقدرة الجبروت ، ذلك الوقت الذي كان آدم ونوح ويوسف وعيسى عليهم السلام يتوسلون بأنوارهم ؛ لِمَا رأوا من عظمتهم وامتلاكهم المنزلة والقرب من الله تعالىٰ .

وبناءً عليه فإن الكلام عن استعدادات أهل البيت لتلقي الولاية لابد وأن يتجه إتجاها مغايراً ، اتجاهاً يكشف لنا عن حالهم وأحوالهم منذ ذلك العالم، لنرى الى أي حدّ يمكن ان نقول بولايتهم على التصرف والايجاد .

قال الإمام الخميني (قده) :

(فإن للإمام عليه السلام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع

لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا أن لائمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً ؛ فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلّا الله ..) [1].

١ - الحكومة الإسلامية : ٥٢ .

آل محمد في عالم الأنوار

وبدواً لابد وأن نعترف بالتقصير أمام شرح حال أهل البيت عليهم السلام في ذلك العالم، اما لعظمتهم وعدم إمكان معرفة حقيقة حالهم « *اجعلونا مخلوقين وقولوا بنا ما شئتم فلن تبلغوا* » (١).

وفي رواية :« ... *فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله قد أعطانا أكبر وأعظم ما يصفه واصفكم ، أو يخطر على قلب أحدكم ، فإذا عرفتمونا هكذا ؛ فأنتم المؤمنون* » (٢).

وإما لقصور حالنا وضعفنا وغيابنا عن ذلك العالم الملكوتي .

ولكن وبقدر ما يستطيع الإنسان ، وبقدر ما أوتي من قوة وعلم ومعرفة يستطيع ان يوغل في ذلك العالم ، وذلك بالتعرف على ظاهر أهل البيت عليهم السلام الذي قد يكشف لنا عن باطنهم « *يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم* » (٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام : يا ميثم التميمي إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء ، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ، ولا إيمان بظاهر إلّا بباطن ولا بباطن إلّا بظاهر » (٤).

---

١ ـ بصائر الدرجات : ٢٣٦ الجزء الخامس ح ٥ و ٢٢ .

٢ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢ كتاب الإمامة باب نادر في معرفتهم .

٣ ـ نهج البلاغة : ٣٥٧ الخطبة ٢٣٩ .

٤ ـ بحار الأنوار : ٢٤ / ٣٠٢ ح ١١ كتاب الإمامة باب الصلاة والزكاة ، وبصائر الدرجات : ٥٣٦ باب شرح أمور النبي والأئمة ح ٥ .

وجوب معرفة حقيقة آل محمد عليهم السلام

أجمعت الأمة الإسلامية بجميع مذاهبها على وجوب معرفة أهل البيت عليهم السلام ، كما برهن عليه مفصلاً السيد المرتضى في رسائله [١].

وفي الروايات الشريفة إشارة واضحة لذلك فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : « لا يدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه » [٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام : « لا يقبل الله أعمال العباد إلّا بمعرفته (الإمام) [٣].

وليس المراد بمعرفتهم معرفة أسمائهم وأسماء آبائهم ، كما لا يخفى على المتأمل ، خاصة عندما تحدثنا الروايات ان بمعرفتهم نعرف الله تعالىٰ ، كما قال سيد الموحدين : «*أنا باب حطة من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه* » [٤].

فمعرفة اسم الإمام يؤدي الى معرفة الله تعالى .

بل نجد ان أمير المؤمنين يصرح بأن المراد بمعرفتهم المعرفة الباطنية قال عليه السلام : «يا سلمان ، إنه لا يستكمل أحد الايمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية ...الى أن يقول :

يا سلمان : أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد ، فمن استكمل معرفتي فهو على الدين القيم .

---

١ ـ رسائل المرتضى : ٢ / ٢٥٢ .

٢ ـ نهج البلاغة : ٢١٢ الخطبة ١٥٢ ، والكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ .

٣ ـ أصول الكافي : ١ / ٢٠٣ كتاب الحجة باب نادر جامع في فضل الإمامة ح ٢ .

٤ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٥٨ باب جوامع مناقبهم من كتاب الإمامة .

يا سلمان: كنت أنا ومحمد نوراً واحداً من نور الله ... » الى آخر الحديث [١].

ويشير الى ذلك أيضاً ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: فعن المفضل قال: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لي: « يا مفضل هل عرفت محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كنه معرفتهم »؟

قلت: يا سيدي ما كنه معرفتهم؟

قال: « يا مفضل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى ».

قال: قلت: عرفني ذلك يا سيدي؟

قال: « يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عزّ وجلّ وذرأه وبرأه، وأنهم كلمة التقوى وخزان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار، وعلموا كم في السماء من نجم وملك ووزن الجبال وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلّا علموها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين، وهو في علمهم وقد علموا ذلك » [٢].

فكل هذه الأمور تتوقف على معرفة الإمام وهذا يدل على أهمية ووجوب معرفة علم أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وإياك والشك في ذلك فقد روى لنا سلمان عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: « *يا سلمان إنّ الشاك في أمورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا* » [٣].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: « فوالله لا وصل الى حقيقة معرفتنا إلّا مَن مَنَّ الله بها عليه وارتضيناه لنا ولياً » [٤].

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ١ ـ ٣ باب نادر في معرفتهم ح ١.

٢ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ١١٦ ح ٢١ باب أنهم لا يحجب عنهم علم السماء والأرض.

٣ ـ ارشاد القلوب: ٢ / ٤١٦ فضائل الأئمة.

٤ ـ الهداية الكبرى: ٢٩٩ باب ١١.

ضرورة معرفة أهل البيت عليهم السلام

وهناك آثار معنوية ومادية لمعرفة أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ، معرفة واقعية صحيحة، وقد جمعها الإمام الصادق عليه السلام في إحدى خطبه جاء منها :

« فمن عرف من أُمة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة ايمانه، وعلم فضل طلاوة اسلامه، لأن الله نصب الإمام علما لخلقه ، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه وألبسه تاج الوقار ، وغشاه من نور الجبار ، يمد بسبب الى السماء ـ الى أن قال : حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه يدين بهديهم العباد وتستهل بنورهم البلاد وينمو ببركتهم التلاد .

فليس يجهل حق هذا العالم إلّا شقي ولا يجهده إلّا غوي ، ولا يصد عنه إلّا جريٌّ على الله جل وعلا »[1] .

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم فهو والله منا ، يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن ... »[2] .

وقريب منه عن أبي جعفر عليه السلام[3] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله تعالىٰ لموسى: « محمد وعترته فمن عرفهم وعرف حقهم جعلت [ه] عند الجهل علماً ، وعند الظلمة نوراً ، وأعطيته بعد

---

١ ـ أصول الكافي : ١ / ٢٠٣ ـ ٢٠٥ كتاب الحجة باب نادر في فضل الإمام ح ٢ .

٢ ـ إلزام الناصب : ٢ / ٣٣٣ آيات الرجعة .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٦٣ الجزء الثاني ح ١٠ .

السؤال واجبته قبل الدعاء [١].

« أين باب الله الذى منه يؤتي »« أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء » [٢].

فكيف نريد أن نتقرب بوجوه لا نعرفها وأبواب لا نهتدي إليها !!

وبذلك صرح الإمام الصادق عليه السلام : « وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد الله»[٣].

«نحن الأسماء الحسنى الذين لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفتنا » [٤].

وقال الإمام الباقر عليه السلام : ﴿ إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ نحن السبيل فمن ابى فهذه السبل » [٥].

ومن الآثار التي تكشف ضرورة معرفة أهل البيت عليهم السلام ومعرفة كنه علومهم ما ورد من توقف العبادة عليهم لما يأتي أنهم الوسائط بيننا وبين الله تعالىٰ كحديث : « *نحن فيما بينكم وبين الله* » [٦].

وحديث : « *واسطة على سبيل هداة لا يهتدي هادٍ إلّا بهداهم* » [٧].

فلا يستطيع الإنسان أن يتقرب إلّا بعد معرفة الأسباب والوسائط.

وورد : بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تميز العابد عن المعبود » [٨].

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين : ١٤٩.

٢ ـ من دعاء الندبة للإمام المهدي (عج) والروايات في مضمون هذا الدعاء كثيرة راجع بصائر الدرجات: ٦١ باب في الأئمة أنهم حجة الله.

٣ ـ الكافي : ١ / ١٩٣ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٢٠ ، وبصائر الدرجات : ٦١ و ٦٤.

٤ ـ الكافي : ١ / ١٤٤.

٥ ـ بحار الأنوار : ٢٤ / ١٣.

٦ – أصول الكافي : ١ / ٢٦٥ ح ١ ، والوسائل : ١٨ / ٩١ ح ٣٣٣٧٥.

٧ – أصول الكافي : ١ / ١٩٨.

٨ ـ شرح دعاء السحر : ٦٤، وجامع الاسراء : ٥٦٣ ح ١١٦٣ ونسبه لابن عربي.

وورد عن بعض العارفين : « ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الباء عليه مكتوبة»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «*أنا النقطة تحت الباء* » [٢].

ومن المهم تفصيل هذه الآثار كما جاءت في الروايات .

١ ـ جامع الاسراء : ٧٠١.

٢ ـ شرح دعاء السحر : ٦٤ ، وجامع الاسراء : ٥٦٣ و ٤١١ ح ١١٦٣ ـ ٨٢٣ ، والأنوار النعمانية : ١ / ٤٧ .

آثار معرفة أهل البيت عليهم السلام

١ ـ عدم الظلم للنفس :

عن سالم قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ قال: «السابق بالخيرات الإمام والمقتصد العارف للإمام والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام»[1].

وعن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إنه سُئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ فقال: «الظالم يحوم[2] حوم نفسه والمقتصد يحوم حرم قلبه والسابق يحوم حوم ربه عز وجل»[3].

وعن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجل ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ فقال: «الظالم منا من لا يعرف حق الإمام والمقتصد العارف بحق الإمام ﴿والسابق بالخيرات بإذن الله﴾ هو

---

١ - الكافي : ١ / ٢١٤ ح ١.

٢ - حام الطائر حول الماء حوماً فإذا دار به طلبه (المصباح المنير) هامش المخطوط.

٣ - معاني الأخبار : ١٠٤ / ١.

الإمام ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ يعني المقتصد والسابق»[١].

٢ ـ المرور على الصراط :

ابن بابويه قال : حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان قال : حدّثنا عبدالرَّحْمٰن بن محمد الحسيني قال : حدّثنا أبو جعفر أحمد بن عيسى بن أبي مريم العجلي قال : حدّثنا محمد بن أحمد بن عبدالله بن زياد العرزمي قال : حدّثنا علي بن حاتم المنقري عن المفضل ابن عمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصراط قال: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجل وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن صراط في الآخرة فتردّى في نار جهنم»[٢].

٣ ـ أصبح من أهل البيت:

عن أبي المعزا عن أبي بصير عن أبي خيثمه عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن جنب الله وصفوته ونحن خيرته ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أُمناء الله ونحن حجة الله ونحن أركان الإيمان ونحن دعائم الإسلام ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح [الله] وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى ونحن السّباقون ونحن الآخرون، ونحن العَلَم المرفوع للخلق من تمسّك بنا لحق ومن تخلف عنها غرق، ونحن قادة الغر المحجلين ونحن خيرة الله ونحن الطريق والصراط المستقيم إلى الله، ونحن نعمة

---

١ - معاني الأخبار : ١٠٤ / ٢ .

٢ - معاني الأخبار : ٣٢ /ح ١ .

الله على خلقه ونحن المنهاج ونحن معدن النبوة ونحن موضع الرسالة ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا ونحن الهداة إلى الجنة ونحن عز الإسلام ونحن المحسودون ونحن القناطر من مضى عليها لم يسبق ومن تخلف عنها محق، ونحن السنام الأعظم ونحن الذين بنا تنزل الرحمة وبنا تسقون الغيث ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقّنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا»[١].

٤ ـ كان معهم في السنام الاعلى:

الشيخ الطوسي في كتاب مصابيح الأنوار بإسناده عن رجاله مرفوعاً إلى المفضل بن عمر قال دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لي: « يا مفضل عرفت محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين: كنه معرفتهم » قلت: يا سيدي وما كنه معرفتهم؟ قال: « يا مفضل تعلم أنهم في طير عن الخلايق بجنب الروضة الخضرا فمن عرفهم كنه معرفتهم كان معنا في السنام الاعلىٰ » قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيدي، قال: « يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عزّ وجلّ وذرأه وبرأه وأنهم كلمة التقوىٰ وخزناء السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار، وعرفوا كم في السماء نجم وملك، ووزن الجبال وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها وما تسقط من ورقة إلّا علموها ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٢] وهو في علمهم وقد علموا ذلك » فقلت: يا سيدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت قال: « نعم يا مفضل يا مكرم نعم يا طيّب نعم يا محبور، طبت وطابت لك

---

١ - فرائد السمطين: ٢ / ٢٥٣ / ب ٤٨ / ح ٥٢٣.
٢ - الأنعام: ٥٩.

الجنّة ولكل مؤمن بها »[١].

أثر معرفة أهل البيت عند الموت

تهوين سكرات الموت:

الحديث الخامس: ابن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن حماد ابن عثمان عن عيسى بن السّري قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أخذت بها زكى عملي ولم يضرني جهل ما جهلت بعده؟ فقال: «شهاده أن لا إله لا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله والإقرار بما جاء به من عند الله، وحق في الأموال من الزكاة، والولاية التي أمر الله بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله فإن رسول الله قال: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال الله عزّ وجل: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ فكان علي عليه السلام ثم صار من بعده حسن ثم حسين ثم من بعده علي بن الحسين ثم من بعده محمد بن علي ثم هكذا يكون الأمر، إن الأرض لا تصلح إلا بإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هٰهنا - وأهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذ: لقد كنت على أمر حسن»[٢].

---

١ - مدينة المعاجز: ٢ / ١٢٩، ومشارق أنوار اليقين: ٥٥.

٢ - أُصول الكافي ٢ / ٢١ ح ٩ باب دعائم الإسلام .

آثار عدم معرفة أهل البيت

١ ـ الشقاء:

عن إسحاق بن غالب عن أبي عبدالله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم: «إن الله عزّ وجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبيّنا عن دينه وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، ومنح بهم ـ في نسخة : وفتح بهم - عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أُمة محمد صلى الله عليه وآله وأحب حق إمامته وجد طعم حلاوة إيمانه.... الى أن قال: رضي الله به إماماً لهم استودعه سره واستحفظه علمه واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه وانتدبه لعظيم أمره وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل وتحيير أهل الجدل، بالنور الساطع والشفاء النافع بالحق الأبلج والبيان اللائح من كل مخرج على طريق المنهج الذي مضى عليه الصادقون من آبائه عليهم السلام فليس يجهل حق هذا العالم إلّا شقي، ولا يجحده إلّا غوي، ولا يصد عنه إلّا جري على الله جلّ وعلا»[١].

٢ ـ زلّة قدمه عن الصراط :

ابن بابويه قال: حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان قال: حدّثنا عبدالرَّحْمٰن بن محمد الحسيني قال: حدّثنا أبو جعفر أحمد بن عيسى بن أبي مريم العجلي قال: حدّثنا محمد بن أحمد بن عبدالله بن زياد العرزمي قال: حدّثنا علي بن حاتم

١ - الكافي : ١ / ٢٠٥ - ٢٠٣ ح ٢.

المنقري عن المفضل ابن عمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصراط قال: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجل وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن صراط في الآخرة فتردّى في نار جهنم»[١].

٣ ـ عدم معرفة الله تعالى:

عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنت أخي ووارثي ووصي وخليفتي في أهلي وأُمتي في حياتي وبعد مماتي محبّك محبي ومبغضك مبغضي، يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأُمة، يا علي أنا وأنت والأئمة من ولدك سادات في الدنيا وملوك في الآخرة من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجل»[٢].

وعن ابن سنان عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين في خطبة: أنا الهادي وأنا المهتدي وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كل ضعيف ومأمن كل خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى وكلمة الله التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله أن الذي يقول (أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله)، وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطة من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربّه لأني وصي نبيّه في أرضه وحجته على خلقه لا ينكر هذا إلّا رادّ على الله وعلىٰ ورسوله.

---

١ - معاني الأخبار: ٣٢/ ح ١.

٢ - أمالي الصدوق: ٧٥٤/ مجلس ٩٤/ ح ٦.

قال ابن بابويه عقيب هذا الحديث: الجنب الطاعة في لغة العرب يقال: هذا صغير في جنب الله أي في طاعة الله عزّ وجل قال الله عزّ وجل: ﴿أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾[١] أي في طاعة الله عزّ وجل[٢]

٤ ـ مات ميتة جاهلية:

تميم بن بهلول قال: حدّثنا عبدالله بن أبي الهذيل: وسألته عن الإمامة فيمن تجب؟ وما علامات من تجب له الإمامة؟ فقال لي: إن الدليل علىٰ ذلك، والحجة علىٰ المؤمنين، والقائم في أمور المسلمين، والناطق بالقرآن، والعالم بالأحكام، أخو نبي الله صلى الله عليه وآله، وخليفته علىٰ أمته، ووصيه عليهم، ووليه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسىٰ، المفروض الطاعة بقول الله عزوجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[٣] وقال جل ذكره: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾[٤] المدعو إليه بالولاية، المثبت له بالإمامة يوم غدير خم بقول الرسول صلى الله عليه وآله عن الله عزوجل: «ألست أولىٰ بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلىٰ قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، واعن من أعانه؛ ذاك علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وأفضل الوصيين، وخير الخلق أجمعين بعد رسول رب العالمين، وبعده الحسن، ثم الحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله إبنا خيرة النسوان، ثم علي بن

---

١ – الزمر: ٥٦.

٢ – معاني الأخبار: ١٧ /ح ١٤.

٣ – النساء: ٥٩.

٤ – المائدة: ٥٥.

الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسىٰ بن جعفر، ثم علي بن موسىٰ، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن صلوات الله عليهم، إلىٰ يومنا هذا واحداً بعد واحد، إنهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله معروفون بالوصية والإمامة في كل عصر وزمان، وكل وقت وأوان، وإنهم العروة الوثقىٰ وأئمة الهدىٰ، والحجة علىٰ أهل الدنيا إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن كل من خالفهم ضال مضل تارك للحق والهدىٰ، وإنهم المعبرون عن القرآن، والناطقون عن الرسول صلى الله عليه وآله بالبيان، وإن من مات ولا يعرفهم مات ميتة جاهلية، وإن فيهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد، وأداء الأمانة إلىٰ البَر والفاجر، وطول السجود وقيام الليل، واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة، وحسن الجواب»[1].

---

١ - كمال الدين: ٢ / ٣٣٦ - ٣٣٧، عيون أخبار الرضا: ١ / ٤٤.

تبصرة عباديّة

* أقول : معرفة آل محمد عليهم السلام بحقيقة المعرفة يتوقف عليها الكثير من العبادات ، فحتى البكاء على آل محمد عليهم السلام وإقامة المآتم وتفسير ابتلاءهم ومِحَنِهم ونحو ذلك ، كله يختلف باختلاف الاعتقاد بحقيقة محمد وآل محمد صلوات المصلين عليهم ما سبح ملك وقدس آخر .

فإذا كان شخص يبكي على الحسين عليه السلام لأنه ظُلم وسُلب حقه ، ولأنه معصوم وابن الرسول الكريم ؛ فإنه إذا عرف مكانة الحسين الحقيقية من الله تعالىٰ ، وانه كان يعلم بتفاصيل واقعة عاشوراء ومع ذلك أقدم ، وأنه كان يستطيع أن يفني وجودهم بولايته التكوينية أو المظهرية أو بدعائه المستجاب كما تقدم[1]، ومع ذلك صبر لعشقه الشهادة وعشق لقاء الله وجواره ؛ فإن البكاء يختلف وصبر الحسين عليه السلام يعظم .

وهذا كله متوقف على معرفة حقيقته وسعة علمه وقدرته في التصرف

---

١ ـ انظر المصادر التالية التي تعرضت لدعاء الإمام الحسين عليه السلام المستجاب: تهذيب الكمال : ٦ / ٤٣٨ ، والصواعق المحرقة : ٢٩٩ ـ ٣٠٦ ، والمعجم الكبير : ٣ / ١١٧ ، وذخائر العقبى : ١٤٥، وامالي الشجري : ١ / ١٦٠ ، وكتاب مجابي الدعوة : ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٥ .

ويدخل في عموم ما ورد ان دعاء آل محمد مستجاب: راجع إلزام الناصب : ١ / ٢٤ ، وعيون الأخبار : ٢ / ٢٢٦ ، وكشف الغمة : ٢ / ٤١٣ ـ ٤١٥ ـ ٣٧٢ ـ ٣٨١ ، والفصول المهمة : ٢١٥، وربيع الابرار : ٢ / ٢٤٩ ، والهداية الكبرى : ٢٥٤ ، والأنوار النعمانية : ٤ / ٧٨ ، وأعلام الورى : ٤٢٢ ، وجامع كرامات الأولياء : ٢ / ٢٢٧ .

بالكون، وعندها إذا تعرّف العبد على سيده وعرف مكانته وبكى عليه ، أو أظهر الحزن ، يكون بكاؤه عن عقيدة وعلم ويقين واطمئنان ، لا عن مجرد تقليد للآباء أو مجرد عاطفة وتأثير الضمير بالبكاء على كل مظلوم .

عندما ندرك قدرة الحوراء الإنسية عليها السلام على قلب الموازين الطبيعية، أو ان دعاءها مستجاب ، ثم نسمع أنها صبرت على دخول دارها عنوةً واخراج زوجها، فإن للصبر عندها لذة يكشف عن عظمة التزامها بأمر أبيها وأمر الله تعالىٰ .

وهكذا بالنسبة لأميرالمؤمنين عليه السلام عندما ندرك تصرفه بالكون - وما أكثره - وعلمه الشامل لما كان ويكون ، ومع ذلك صبر على إسقاط المحسن التزاماً بالتكليف الشرعي ولمصالح ليس هنا محل ذكرها ؛ عندها ندرك حقيقة الصبر الذي كان يتحلى به ، وهو غير ما قد يفهمه الإنسان بعيداً عن حقيقة أمير الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام وقدرته وعلمه .

وهكذا في إمامنا زين العابدين عليه السلام ففهمنا لصبره على الأسر والقيود والسلاسل يختلف باختلاف عقيدتنا به ، لذا يأتي انه عندما حزن بعض أهل الشام على أسره وتقيده ؛ قام الإمام عليه السلام باخراج يديه ورجليه من القيود وأخبره أنه يقدر على أكثر من ذلك [1] .

وما مراد الإمام عليه السلام إلّا ان يعرّفه انه مع قدرته وعلمه وإمكان تصرفه بالكون، يصبر على البلاء ويلتزم بحكم الله تعالىٰ أو يواسي شيعته وأهل بيته.

وهكذا عندما خرج من السجن وذهب لدفن والده الإمام الحسين عليه السلام في

---

١ - تذكر الخواص : ٢٩٢ ، وحلية الأولياء : ٣ / ١٣٥ ترجمته، وكفاية الطالب : ٤٤٨ ، ومشارق الأنوار : ١٢٠ ، وترجمة زين العابدين من تاريخ دمشق : ٣١ ح ٤٢ ، وينابيع المودة : ٢ / ٤٣١ - ٤٣٦ .

كربلاء[١].

والمسألة أوضح في إمام زماننا أرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، فمع قدرته وعلمه وتسخير الجن والإنس والجبال والسماء وجنودهما[٢]، ينتظر قضاء الله في الخروج كل يوم جمعة، مع عشقه للخروج وتفريج الهموم عن شيعته ومحبيه ومنتظريه، ومع بكائه دماً بدل الدموع على جده الحسين عليه السلام لتأخير الأخذ بثأره.

فكل حركات وسكنات آل محمد صلى الله عليه وآله يختلف تفسيرها باختلاف معرفتهم بالنورانية كما تقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا وقد أخبرونا أن الكلمة والحديث منهم ينصرف على سبعين وجهاً، فافهم[٣].

تنبيه :

قد يقول بعض من يقف على هذه الكلام، أن هذا كلام عجيب وأحاديث آحاد لا نفهم منها ما يقال، أو أنها فيها غلو بأهل البيت عليهم السلام.

أخي القارىء لا ينبغي للإنسان العاقل المؤمن أن يقيس الأشياء على ذهنه الخاص وعقله الشخصي ومعلوماته الناقصة، ومعرفته التي اكتسبها من جراء مجتمعات خاصة أو اساتذة معينين.

وفكر بما ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه عن أُصحاب الكهف والرقيم الذين هم دون أهل البيت عليهم السلام في الفضل والمقام: ﴿ ...إنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا

---

١ ـ تذكرة الخواص : ٢٩٢ باب ١٢ في ذكر علي بن الحسين.

٢ – انظر ما فصّلناه في كتاب «ظهور المهدي وعدالة دولته».

٣ ـ التزام الناصب : ١ / ٢٩، والاختصاص : ١٢ / ٢٨٨ ، وإثبات الوصية : ٢١٤.

من آياتنا عجباً ... وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله ... وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ... ﴾ [١].

تأمل في ذلك بعيداً عن خيالاتك.

والى ذلك أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله: « *ماجاءكم منّا مما يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه، فلا تجحدوه وردوه إلينا ...* » [٢].

وكذلك الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: « *إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت له قلوبكم وأنكرتموه فردوه الى الله والرسول والى العالم من آل محمد عليهم السلام، وإنما الهالك أن يحدّث أحدكم بالحديث أو بشيء لا يحتمله فيقول: والله ماكان هذا، والله ماكان هذا، والإنكار لفضلهم هو الكفر* » [٣].

وهذا معناه أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يعلمون أنه سيأتي من يستعظم قدرة وعلم آل محمد صلوات الله عليهم أو إنكار عظمتهم فنبهونا عنه لكي لا يقع الإنسان الموالي في المحذور أو معصية الله تعالى.

---

١ ـ الكهف: ١٧.

٢ ـ بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٦٤ باب غرائب افعالهم من الإمامة ح ١.

٣ ـ بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٦٦ ح ٧.

آيات عالم الأنوار

وسوف نورد فيما يأتي حالات أهل البيت عليهم السلام في العالم الأول نبدؤها بالآيات ثم الروايات:

* *الآية الأولى* قوله تعالىٰ :

﴿ *له ما في السمٰوات وما في الأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ... ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل إني إلهٌ من دون الله فذلك يجزيه جهنم* ﴾ [1] .

وقد سأل المفضل الإمام الصادق عليه السلام عن دليل وجودهم في عالم الأظلة فقرأ الإمام الصادق عليه السلام هذه الآيات : ﴿ *له ما في السمٰوات وما في الأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته* ﴾ .

وقال عليه السلام : « ويحك يا مفضل ، ألستم تعلمون أم مَنْ في السماوات هم الملائكة، ومَنْ في الأرض هم الجان والبشر وكل ذي حركة ، فمَنْ الذين فيهم ومن عنده تعالىٰ الذين قد خرجوا من جملة الملائكة !! » .

قال المفضل : من تقول يا مولاي؟

قال الإمام عليه السلام : « يا مفضل ومَنْ؟ *نحن الذين كنا ولا كون قبلنا* ، ولا

---

١ -الأنبياء : ١٩ ـ ٢٨ ـ ٢٩ .

حدوث سماءٍ ولا أرضٍ ولا ملكٍ ولا نبيٍ ولا رسول »[١].

* أقول : الروايات متواترة في وجودهم وعبادتهم في عالم الأظلة ـ تقدمت وتأتي ـ بل الكتاب هذا معدّ لذكرها ، وما ذكرناه هنا لتفسير الآية فقط .

* *الآية الثانية* قوله تعالىٰ :

﴿ **قل إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول العابدين** ﴾[٢].

وتأتي أحاديث أن محمداً وآل محمد عليهم السلام أول من عبدوا الله تعالىٰ على بسيط الحقيقة ، وأنهم هم الذين علّموا الملائكة التسبيح والتقديس .

كالمروي عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « يا جابر إن الله أول ما خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين ، فكانوا أشباح نور بين يدي الله تعالى .

قلت : وما الأشباح؟

قال عليه السلام : ظل النور أبدان نورانية بلا أرواح ، وكان مؤيداً بروح واحدة ، وهي روح القدس ، فَبِهِ كان يعبد الله ، وعترته ، ولذلك خلقهم حلماء .. »[٣].

وهذا لا يدل فقط على وجودهم في ذلك العالم بل يدل على عبادتهم فيه لله تعالى.

* *الآية الثالثة* قوله تعالىٰ :

﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾[٤].

وجاء في تفسيرها أنه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد[٥].

---

١ – الهداية الكبرى : ٤٣٣ ذيل الكتاب .

٢ – الزخرف : ٨١ .

٣ ـ أصول الكافي : ١ / ٤٤٢ مولد النبي من أبواب التاريخ ح ١٠ .

٤ – الشعراء : ٢١٩ .

٥ – الطبقات الكبرى : ١ / ٢٢ ، والشفا : ١ / ١٥ ، وتاريخ الخميس : ١ / ٢٣٤ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «*لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات*»[١].

عن محمّد بن الفرات عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿**الذي يراك حين تقوم**﴾ في النبوة ﴿**وتقلّبك في الساجدين**﴾ قال: في أصلاب النبيين صلوات الله عليهم[٢].

في مجمع البيان: وقيل: معناه: وتقلّبك في الساجدين الموحّدين من نبي إلىٰ نبي حتّىٰ أخرجك نبياً عن ابن عبّاس في رواية عطا وعكرمة، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: في أصلاب النبيين نبي بعد نبي حتّىٰ أخرجه من صلب أبيه عن نكاح غير سفاح من لدن آدم[٣].

* *الآية الرابعة* قوله تعالىٰ:

﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم**﴾[٤].

قال جابر الجعفي: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تأويلها فقال: يا جابر أما السنة فهي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وشهورها اثنىٰ عشر شهراً، فهو أمير المؤمنين وإليّ وإلىٰ ابني جعفر وابنه موسىٰ وابنه علي وابنه محمد وابنه علي، وإلىٰ ابنه الحسن، وإلىٰ ابنه محمد الهادي المهدي، إثنا عشر إماماً حجج الله في خلقه وامناؤه علىٰ وحيه وعلمه.

والأربعة الحرم الذين هم الدين القيم، أربعة منهم يخرجون باسم واحد:

---

١ ـ المواهب اللدنية: ١ / ٩١ ـ ٩٢ ذكر رضاعه.

٢ ـ تفسير القمّيّ: ٢ / ١٢٥.

٣ ـ مجمع البيان: ٧ / ٣٢٤.

٤ ـ التوبة: ٣٦.

علي أمير المؤمنين وأبي علي بن الحسين وعلي بن موسىٰ وعلي بن محمد، فالاقرار بهؤلاء هو الدين القيم ولا تظلموا فيهن أنفسكم، أي قولوا بهم جميعاً تهتدوا»[1].

* وفي رواية الإمام الصادق عليه السلام قال: يا داود أتدري متى كتب هذا؟

قلت: الله ورسوله وأنتم أعلم.

قال: قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام.

ونحوه عن الإمام الكاظم عليه السلام[2].

وهو صريح في قوله تعالى ﴿فِى كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ﴾ فعند خلق السماوات والأرض والذي هو قبل خلق آدم عليه السلام بكثير أوجد الله تعالى اثنتي عشر اسماً ونوراً على عدد الشهور.

* **الآية الخامسة قوله تعالىٰ:**

﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً**﴾[3].

فروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في الآية: «***البرهان محمد*** صلى الله عليه وآله ***والنور علي*** عليه السلام»[4].

فمن قوله ﴿*وأنزلنا*﴾ دليل أنه موجود قبل هذا العالم.

---

١ ـ غيبة الشيخ: ٩٦، وإلزام الناصب: ١ / ٦٥، وتفسير نور الثقلين: ٢ / ٢١٥ ح ١٤٠، والهداية الكبرى: ٣٧٧.

٢ ـ عوالم العلوم: ١٥ / ٢٧٤ و٢٨٥، ومناقب آل أبي طالب: ١ / ٣٠٧ فصل في النكت والاشارات، وغيبة النعماني: ٨٧ح ١٨، والبحار: ٢٤ / ٢٤٣ح ١٤ و٣٦/ ٤١٠.

٣ ـ المائدة: ١٧٤.

٤ ـ تفسير نور الثقلين: ١ / ٥٧٩ ح ٧٠٠.

* *الآية السادسة* قوله تعالىٰ :

﴿ واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ [١].

قال الإمام الصادق عليه‌السلام في الآية : « *النور في هذا الموضع أمير المؤمنين والأئمة* عليهم‌السلام » [٢].

وقريب منه عن الإمام الباقر عليه‌السلام قال : « النور علي عليه‌السلام » [٣].

وكذلك من قوله تعالى ﴿*أُنزل معه*﴾ يدل على وجود علي والأئمة عليهم‌السلام قبل هذا العالم.

* *الآية السابعة* قوله تعالىٰ :

﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ [٤].

فعن الإمام الباقر عليه‌السلام : « *النور والله الأئمة من آل محمد* صلى‌الله‌عليه‌وآله *الى يوم القيامة هم والله نور الله الذي أنزل ، هم والله نور الله في السموات والأرض* » [٥].

وعن أبي الحسن عليه‌السلام قال : « والإمامة هي النور وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ قال : النور هو الإمام » [٦].

وهو كسابقيه في الدلالة على وجودهم عليهم‌السلام قبل هذا العالم .

---

١ ـ الأعراف : ١٥٧ .

٢ – تفسير نور الثقلين : ٢ / ٨٣ ح ٣٠٠ .

٣ – تفسير نور الثقلين : ٢ / ٨٥ ح ٣٠٤ .

٤ – التغابن : ٨ .

٥ – تفسير نور الثقلين : ٥ / ٣٤١ ح ١٤ و١٥ .

٦ – تفسير نور الثقلين : ٥ / ٣٤١ ح ١٦ .

روايات عالم الأنوار

تحدثنا الأخبار المستفيضة أن أهل بيت محمد صلوات الله عليهم كانوا أنواراً حول عرش الله قبل أن يخلق الخلق جميعاً حتى الملائكة ، وإليك بعضها :

سئل الإمام الصادق عليه السلام ما كنتم قبل أن يخلق الله السموات والأرض؟

قال عليه السلام : « كنا أنواراً حول عرش الله نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله الملائكة فقال لهم : سبحوا ، فقالوا : يا ربنا لا علم لنا . فقال لنا : سبحوا ، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا ، إلّا أنّ خلقنا من نور الله » [1] .

وفي الزيارة الجامعة المشهورة : « *خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بكم ، فجعلكم في بيوتٍ اذِنَ الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ...* ».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام صلوات الله عليه : « لما أراد الله أن ينشيء المخلوقات ويبدع الموجودات أقام الخلائق في صورةٍ قبل دحو الأرض ورفع السمٰوات ، ثم *أفاض نوراً من نور عزّه فلمع قبساً من ضيائه وسطع* ، ثم اجتمع في تلك الصورة وفيها هيئة نبينا صلى الله عليه وآله فقال له تعالىٰ : *أنت المختار وعندك مستودع الأنوار، وأنت المصطفىٰ المنتخب الرضاء المنتجب المرتضىٰ ، من أجلك أضع البطحاء، وأرفع السماء ، وأجري الماء ، وأجعل الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، وأنصب أهل بيتك علماً للهداية ، وأودع أسرارهم من سري بحيث لا يشكل عليهم*

---

١ ـ إثبات الوصية : ١٥٣ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٢١ ح ٣٤ باب بدء خلقهم ، والفردوس بمأثور الخطاب : ٣ / ٢٨٣ ح ٤٨٥١ مختصراً .

دقيق، ولا يغيب عنهم خفي ، وأجعلهم حجتي على بريتي ، والمنبهين على قدري ، والمطّلعين على أسرار خزائني (وأُسكن قلوبهم أنوار غزتي ، وأطلعهم على معادن جواهر خزائني) .

ثم أخذ الحق سبحانه عليهم الشهادة بالربوبية ، والاقرار بالوحدانية ، وأن الإمامة فيهم ، والنور معهم . (الى أن قال بعد ذكر بقية الخلق) :

ثم بيّن لآدم حقيقة ذلك النور ، ومكنون ذلك السرّ ، فلما حانت أيامه أودعه شيئاً، ولم يزل ينقل من الاصلاب الفاخرة الى الأرحام الطاهرة ، الى أن وصل الى عبد المطلب ، ثم الى عبد الله ، ثم الى نبيه صلى الله عليه وآله ، فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سراً وعلانية ، واستدعى الفهوم الى قيامٍ بحقوق ذلك السر اللطيف ، ونَدَب العقول الى الاجابة لذلك المعنى المودع في الذّر قبل النسل .

فمن وافقه قبس من لمحات ذلك النور واهتدى الى السرّ ، وانتهى الى العهد المودع في باطن الأمر وغامض العلم ، ومن غمرته الغفلة وشغلته المحنة استحق البُعد، *ثم لم يزل ذلك النور ينتقل فينا ويتشعشع في غرائزنا ، فنحن أنوار السمٰوات والأرض، وسفن النجاة ، وفينا مكنون العلم ، وإلينا مصير الأمور، وبِمَهْدِيِنَا تقطع الحجج ؛ فهو خاتم الأئمة ، ومنقذ الأمة ، ومنتهى النور ، وغامض السر، فليهن من استمسك بعروتنا وحشر على محبتنا »* [1].

وروى شعبة (وسعد بن الحجاج) عن هشام بن يزيد والشيخ المفيد يرفعه إليه: قال : « كنت أنا وأبو ذر وسلمان وزيد وابن أرقم عند النبي صلى الله عليه وآله وساق الحديث :

الى أن قال صلى الله عليه وآله : « *خلقني الله تبارك وتعالىٰ وأهل بيتي من نور واحد قبل أن*

---

١ - تذكرة الخواص : ١٢١ ـ ١٢٢ الباب السادس ـ خطبة في مدح النبي والأئمة ، ومروج الذهب: ١ / ١٧ ـ ١٨ ط. مصر و٤٣ ـ ٤٤ ط. بيروت ـ باب ذكر المبدأ وشأن الخليقة .

يخلق آدم بسبعة آلاف عام ، ثم نقلنا إلىٰ صلب آدم ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام الطاهرات .

فقلت : يا رسول الله فأين كنت وعلىٰ أي مثال كنتم؟

قال صلى الله عليه وآله : كنا أشباحاً من نور تحت العرش نسبح الله تعالىٰ ونحمده .

ثم قال صلى الله عليه وآله : لما عُرج بي إلىٰ السماء ، وبلغت سدرة المنتهىٰ ودعني جبرائيل عليه السلام ، فقلت : حبيبي جبرئيل أفي هذا المقام تفارقني .

فقال : يا محمد إني لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتي .

ثم زجّ بي في النور ما شاء الله ، فأوحىٰ الله اليّ : يامحمد إني اطلعت إلىٰ الأرض اطلاعة فأخترتك منها فجعلتك نبياً ، ثم اطلعت ثانياً فاخترت منها علياً فجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك ، وأخرج من اصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزّان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار ، يامحمد اتحب ان تراهم؟ قلت : نعم يا رب؟

فنوديت يا محمد ارفع رأسك ، فرفعت رأسي فأذا أنا بأنوار علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسىٰ بن جعفر وعلي بن موسىٰ ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب دري . فقلت : يارب من هؤلاء ومن هذا؟

قال عزت الاؤه : يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون من صلبك ، وهو الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويشفي صدور قوم مؤمنين .

قلنا : بآبائنا وأُمهاتنا أنت يارسول الله صلى الله عليه وآله لقد قلت عجباً .

فقال صلى الله عليه وآله : وأعجب من هذا ان قوماً يسمعون مني هذا ثم يرجعون علىٰ أعقابهم بعد اذْ هداهم الله ويؤذوني فيهم لا أنالهم الله شفاعتي » [1] .

---

١ - كفاية الأثر : ٧٠ - ٧١ - ٧٣ ، وبحار الأنوار : ٣٦ / ٣٠١ و ٣٠٢ و٣٠٣ ، وارشاد القلوب : ٢ /

وبالاسناد الى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلىٰ السماء رأيت علىٰ ساق العرش مكتوباً: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي ونصرته، ورأيت إثني عشر اسماً بالنور فيهم علي بن أبي طالب وسبطي وبعدهما تسعة أسماء علياً علياً علياً ثلاث مرات، ومحمد محمد مرتين، وجعفر وموسىٰ والحسن والحجة يتلألأ من بينهم.

فقلت: يارب أسامي من هؤلاء؟

فناداني ربي جلّ جلاله: هم الأوصياء من ذريتك بهم أُثيب وأعاقب»[1].

وروي عن عبد الله بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله إبراهيم الخليل كشف الله عن بصره فنظر إلىٰ جانب العرش فرأي نوراً.

فقال: إلهي وسيدي ما هذا النور؟

قال عزت الآؤه: يا إبراهيم هذا محمد صفيي.

فقال: إلهي وسيدي أرىٰ إلىٰ جانبه نوراً آخر؟

فقال تعالىٰ: يا إبراهيم هذا علي ناصر ديني.

فقال: إلهي وسيدي أرىٰ إلىٰ جانبهما نوراً ثالثاً.

قال سبحانه: يا إبراهيم هذه فاطمة تلي أباها وبعلها فطمت محبيها من النار.

قال: إلهي وسيدي أرىٰ نورين يليان الثلاثة الأنوار.

قال تعالىٰ: يا إبراهيم هذان الحسن والحسين يليان أباهما وجدهما وامهما.

فقال: إلهي وسيدي أرىٰ تسعة أنوار أحدقوا بالخمسة الأنوار.

= ٤١٥ ـ ٤١٧ في فضل محمد وأوصيائه.

١ - كفاية الأثر: ٧٤، ورواه في البحار: ٣٦ / ٣١٠.

قال عزت الآؤه : يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولدهم .

فقال : إلهي وسيدي فبمن يعرفون؟

قال تعالىٰ : يا إبراهيم أولهم علي بن الحسين ومحمد ولد علي وجعفر ولد محمد وموسىٰ ولد جعفر وعلي ولد موسىٰ ومحمد ولد علي وعلي ولد محمد والحسن ولد علي ومحمد ولد الحسن القائم المهدي » [١] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة اللؤلؤة :

قال : ولقد قال النبي صلى الله عليه وآله لما عرج بي إلىٰ السماء نظرت إلىٰ ساق العرش فإذا فيه مكتوب : لا إله إلّا الله محمد رسول الله ايدته بعلي ونصرته بعلي ، ورأيت اثنىٰ عشر نوراً .

فقلت : يارب من هذه؟

فنوديت : يا محمد هذه أنوار الأئمة من ذريتك .

قلت : يا رسول الله أفلا تسميهم لي؟

قال صلى الله عليه وآله : نعم ، أنت الإمام والخليفة بعدي تقضي ديني وتنجز عداتي ، وبعدك ابناك الحسن والحسين ، بعد الحسين ابنه علي زين العابدين ، وبعده ابنه محمد يدعىٰ بالباقر ، وبعد محمد ابنه جعفر يدعىٰ بالصادق ، وبعد جعفر ابنه موسىٰ يدعىٰ بالكاظم وبعد موسىٰ ابنه علي يدعىٰ بالرضا وبعد علي ابنه محمد يدعىٰ بالزكي وبعد محمد ابنه علي يدعىٰ بالنقي وبعد علي ابنه يدعىٰ بالامين والقائم من ولد الحسن سمي وأشبه الناس بي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » [٢] .

---

١ - الفضائل لابن شاذان : ١٥٨ ، وبحار الأنوار : ٣٦ / ٢١٣ والمتن من بحار الأنوار لأصحيته ، وإلزام الناصب : ١ / ٨٦ ، وعوالم العلوم : ١٥ / ٧٥ .

٢ - كفاية الأثر : ٢١٧ و٢١٨ ، وبحار الأنوار : ٣٦ / ٣٥٥ و ٣٥٦ح ٢٢٥ و٤١ / ٣٢٩ح ٥٠ .

وعن المفضل في حديث طويل مع الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه : « قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له : *الحمد لله مدهر الدهور وقاضي الأمور ومالك يوم النشور، الذي كنا بكينونيته قبل الحلول في التمكين ، ناسبين غير متناسبين ، أزليين لا موجودين ولا محدودين ، منه بدونا وإليه نعود ، لأن الدهر فينا قسمت حدوده ولنا أخذت عهوده ، وإلينا ترد شهوده* . الى أن قال عليه السلام :

نحن القدرة ونحن الجانب ونحن العروة الوثقى ، محمد العرش عرش الله على الخلائق ، ونحن الكرسي وأصول العلم ... أنا باب المقام وحجة الخصام ودابة الأرض وفصل القضا وصاحب العصا وسدرة المنتهى وسفينة النجاة » .

فقال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل شارحاً لذه الخطبة : « نعم ، يا مفضل الذي كنا بكينونته في القدم والأزل هو المكون ونحن المكان ، وهو المنشيء ونحن الشيء ، هو الخالق ونحن المخلوقون ، هو الرب ونحن المربوبون ، هو المعنى ونحن أسماؤه المعاني، هو المحتجب ونحن حجبه قبل الحلول في التمكين .... الى أن قال عليه السلام :

« لا متناسلين ذوات أجسام ولا صور ولا مثال إلّا أنوار نسمع الله ربنا ونطيع، يسبح نفسه فنسبحه ، ويهللها فنهلله ، ويكبرها فنكبره ويقدسها فنقدسه، ويمجدها فنمجده في ستة أكوان منها ما شاء الله من المدة . وقوله أزليين لا موجودين ، وكنا أزليين قبل الخلق لا موجودين أجسام ولا صور »[1] .

هذه جملة من روايات كون أهل البيت نوراً بين يدي الله ، وهناك روايات أُخرى كثيرة تفيد نفس المعنى والمضمون أغمضنا عن ذكرها بغية الاختصار[2] .

---

١ – الهداية الكبرىٰ : ٤٣٣ ـ ٤٣٥ ذيل الكتاب .

٢ ـ يراجع بحار الأنوار : ٢٥ / ١ الى ٣٣ فقد ذكر قريب الأربعين حديثاً، والطرائف : ١ / ١٥،

وتؤيد هذه الطائفة بما روي أن مِن أجلهم خلق الله الخلق.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: *يا علي لولا نحن ما خلق الله لا آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض* »[1].

والروايات في ذلك كثيرة فلتراجع[2]. وهو اعتقاد الامامية[3].

* وكذلك يؤيد هذه الطائفة ما ورد من توسل الأنبياء بهم عليهم السلام واليك بعضها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذكر توسل قس بن ساعدة:

« *اللهم رب السموات (السبعة) الأرفعة والأرضين الممرعة، بحق محمد والثلاثة المحاميد معه، والعليين الأربعة، وفاطم والحسنين الابرعة، وجعفر وموسى التبعة، سمي الكليم الصرعة (والحسن ذي الرفعة)، أولئك النقباء الشفعة والطريق المهيعة، راسة (درسة) الإناجيل (وحفظة التنزيل)، وحماة الاضاليل، ونفاة الأباطيل، الصادقو في القيل، عدد نقباء بني اسرائيل، فهم أول البداية، وعليهم*

= وأصول الكافي: ١ / ٤٣٩ باب مولد النبي، وبصائر الدرجات: ٧٣ ـ ٨٤، ومختصر بصائر الدرجات: ١١٦ وتفسير فرات الكوفي: ٢٠٧، ومعاني الأخبار: ٣٩٦، وميزان الحكمة: ١٠ / ٢٢٩، وكشف الغطاء: ٧، والهداية الكبرى: ١٠٠.

١ ـ كمال الدين: ٢٥٤ باب نص الرسول على القائم.

٢ ـ كفاية الأثر: ٧٢ ـ ٢٩٦، وكمال الدين: ١ / ٢٥٤ باب ٢٣، وينابيع المودة: ٢ / ٥٨٢، وفضائل ابن شاذان: ١٢٨، وبحار الأنوار: ٢٦ / ١٢ ـ ٢٦٧ ـ ٢٧٣ ـ ٢٩٧ و: ٣٦ / ٣٠٢، ومناقب الخوارزمي: ٣١٨، وعيون الأخبار: ٢٠٥ ـ ٢٣٩، وروضة الواعظين: ٨٤، وارشاد القلوب: ٢ / ٤١٤، وفرائد السمطين: ١ / ٣٧.

٣ ـ يراجع الاعتقادات للصدوق: ٥ / ٩٣ باب ٣٥.

تقوم الساعة ، وبهم تنال الشفاعة ، ولهم من الله فرض الطاعة ، اسقنا غيثاً مغيثاً » [١].

ومن ذلك ما روي عن معمّر عن أبي عبد الله الصادق عليه‌السلام قال : « أتىٰ يهودي النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فقام بين يديه يحد النظر ، فقال : يا يهودي حاجتك؟

قال : أنت أفضل أم موسىٰ بن عمران النبي الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر وأظلّه بالغمام؟ .

فقال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله : إنّه يكره للعبد ان يزكّي نفسه ، ولكني أقول :

إن آدم عليه‌السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال : « اللهم إني اسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي » فغفر الله له .

وإن نوحاً عليه‌السلام لما ركب في السفينة وخاف الغرق قال : « اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق » فنجاه الله عنه .

وإن إبراهيم عليه‌السلام لما أُلقي في النار قال : « *اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما نجيتني منها* » فجعلها الله عليه برداً وسلاماً .

وإن موسىٰ عليه‌السلام لما ألقىٰ عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال : « اللهم إني اسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني » .

فقال الله جل جلاله : « لا تخف إنك أنت الاعلىٰ ، يايهودي ان موسىٰ لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً . يا يهودي ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسىٰ ابن مريم لنصرته وقدّمه وصلىٰ خلفه » [٢].

وعن الرضا عليه‌السلام : « لما أشرف نوح علىٰ الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق ، ولما رُمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه برداً

---

١ ـ مناقب آل أبي طالب : ١ / ٢٨٧ ، وكنز الفوائد : ٢٥٧ رسالة البرهان في طول عمر صاحب الزمان .

٢ ـ روضة الواعظين : ٢٧٢ مجلس في مناقب آل محمد .

وسلاماً.

وإن موسىٰ لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعلها يبساً.

وإن عيسىٰ لما أراد إليهود قتله دعا الله بحقنا فنجّي من القتل فرفعه إليه»[1].

- ومنها ما روي عن محمد بن سنان عن المفضل عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ خلق الأرواح قبل الاجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم.

- وساق الحديث إلىٰ أن قال عليه السلام: قال جبرائيل لادم وحواء: فسلا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها علىٰ ساق العرش حتىٰ يتوب عليكما.

فقالا: «*اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلّا تبت علينا ورحمتنا*».

فتاب الله عليهما إنه هو التواب الرحيم[2].

---

١ - بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٢٥ و: ١٦ / ٣٦٦

٢ - معاني الأخبار: ١١٠ باب معنىٰ الامانة، وبحار الأنوار: ١١ / ١٧٢ - ١٧٤ و ٢٦ / ٣٢٢.

كيفية خلق نور آل محمد عليهم السلام ومصدره

قال أمير الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالىٰ أحد واحد تفرد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ، ثم خلق من ذلك النور محمداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذريتي ، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً ؛ فاسكنه الله في ذلك النور واسكنه في أبداننا ، فنحن روح الله وكلماته ، وبنا احتجب عن خلقه .

فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ، ولا ليل ولا نهار ، ولا عين تطرف ؛ نعبده ونقدسه ونسبحه قبل أن يخلق خلقه ، وأخذ ميثاق الأنبياء بالايمان والنصرة لنا»[1] .

وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاء فيها « اعلموا رحمكم الله ، أن الله تقدست أسماؤه وجل ثناؤه كان ولا مكان ولا كون معه ، ولا سواه أحد في فردانيته ، صمد في أزليته ، مشيءٌ لا شيء معه ، فلما شاء أن يخلق خلقني بمشيئته وإرادته لي نوراً ، وقال لي : « كن » ، *فكنت نوراً شعشعانياً أسمع وأبصر وأنطق* ، بلا جسم ولا كيفية ، ثم خلق مني أخي علياً ، ثم خلق منا فاطمة ، ثم خلق مني ومن علي وفاطمة الحسن ، وخلق منا الحسين ، ومنه ابنه علي ، وخلق منه ابنه محمداً ، وخلق منه ابنه جعفراً ، وخلق منه ابنه موسى ، وخلق منه ابنه علياً ، وخلق منه ابنه محمداً ، وخلق منه ابنه علياً ، وخلق منه ابنه الحسن ، وخلق منه ابنه سميّي وكنيّي ومهدي أمتي ومحيي سنتي ومعدن ملتي ، ومن وعدني أن

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٩١ ح ٥١ من باب تفضيلهم على الأنبياء ، والأنوار النعمانية : ٢ / ٩٩ .

يظهرني به على الدين كله ويحق به الحق ويزهق به الباطل أن الباطل كان زهوقاً، ويكون الدين كله واصباً.

فكنا أنواراً بأرواحٍ وأسماع وأبصار ونُطْقٍ وحسّ وعقلٍ ، وكان الله الخالق ونحن المخلوقون ، والله المكون ونحن المكوَنون ، والله الباريء ونحن البرية ، موصولون لا مفصولون ، فهلل نفسه فهللناه ، وكبر نفسه فكبرناه ، وسبح نفسه فسبحناه ، وقدّس نفسه فقدسناه ، وحمد نفسه فحمدناه ، *ولم يغيبنا وأنوارنا تتناجى وتتعارف مسمين متناسبين أزليين لا موجودين* [1] ، منه بدأنا وإليه نعود، نور من نور بمشيئته وقدرته، لا ننسى تسبيحه ولا نستكبر عن عبادته ، ثم شاء فمد الأظلة وخلق الخلق ؛ خلقاً أطواراً ملائكةً ، وخلق الماء والجان وعرّش عرشه على الأظلة ، يبصرون ويسمعون ويعقلون فأخذ عليهم العهد والميثاق ليؤمنن به ... » [2] .

وعن أبي سلمى عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قدسي: « يا محمد إني خلقتك وعلياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من شبح نور من نوري [3] .

* *أقول* : هذا الروايات تنص أنهم كانوا أنواراً وأرواحاً وأبداناً ، يسمعون ويعقلون ويعبدون، وما تقدم كان يشير الى وجود الروح والنور والأشباح، فهل يراد بالأشباح الأبدان؟ أم ان الأشباح جسم شفاف دون الأبدان؟! تأمل فيما يأتي.

---

١ - في قبال وجود الله تعالىٰ .

٢ - الهداية الكبرى : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

٣ ـ مائة منقبة : ٦٥ المنقبة ١٧ .

مصدر أنوار آل محمد عليهم السلام

ثم إن مصدر أنوار أهل البيت عليهم السلام ما هو؟

فالروايات ما تقدم منها وما يأتي، منها ما يقول ان الله تكلم بكلمة فصارت نوراً فخلق منها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ثم خلق من نوره علياً، ثم من نورهما فاطمة ثم الحسن والحسين وهكذا.

وبعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله وعلياً من نور واحد، وهي كثيرة.

وفي بعض الروايات أن أصحاب الكساء من نور واحد وشجرة وطينة واحدة.

وبعضها ان جميع الأئمة من نور واحد.

والقدر المتيقن من الروايات ان الله عزّ وجلّ خلقهم من نور عظمته، أو من نور كلمته الصادرة منه، والخلاف في أن الصادر الأول والنور الأول هل هو النبي صلى الله عليه وآله وحده؟ أم هو وعلي وفاطمة والأئمة؟

والذي يتناسب مع قاعدة أن الواحد لا يصدر منه إلّا واحد هو خلق نور النبي صلى الله عليه وآله أولاً، ثم منه شعت الأنوار، وتساعد عليه بعض الروايات المتقدمة.

نعم قد يقال: إن أول ما صدر من الله نورٌ، ثم خلق من هذا النور النبي وعلي والأئمة.

وسوف يأتي تحقيق القول في أول الخلق.

وقد يقال أن الصادر الأول نور خلق منه كل الأئمة دفعة واحدة.

ويمكن إرجاع الروايات التي تقول ان علياً والأئمة خلقوا من نـور الله الى أنهم خلقوا من نور النبي صلى الله عليه وآله ، ولكن بما ان نور النبي من نور الله ، بل هو نور الله صح أن يقال أنهم خلقوا من نور الله نسبة الى الأصل .

وفي الحديث المتواتر : « حسين مني *وأنا* من حسين »[١] .

أو « علي مني وأنا من علي »[٢] .

أو « إن أصحاب الكساء مني وأنا منهم »[٣] .

وهذا يشير الى أنهم جميعاً من نورٍ واحدٍ ، ولا يتناسب مع كون الحسين وعلي عليهما السلام من نور النبي صلى الله عليه وآله لعدم صحة حينئذ (وأنا منهم) .

نعم لو قلنا أنهم كلهم من نور واحد لكان لذيل الحديث وجه .

والصحيح : أنهم جميعاً نورٌ واحدٌ ، لا أنهم من نورٍ واحدٍ ، وهو نور الله .

وهذا يتناسب مع كل الروايات ، ويدل عليه : ما تقدم ان محمداً وعلياً نورٌ واحدٌ[٤] ، أو أن جميعهم نورٌ واحدٌ[٥] .

---

١ ـ السلسلة الصحيحة : ٢ / ٢٢٩ ح ١٢٢٧ مع طرقه ، والمعجم الكبير : ٣ / ٣٢ و ٢٢ / ٢٧٤ ، وكنز العمال : ١٢ / ١١٥ ح ٣٤٢٦٤ ، والفردوس بمأثور الخطاب : ٢ / ١٥٨ ح ٢٨٠٥ ، وصحيح الترمذي : ٥ / ٦٥٨ ، وصحيح ابن حبان : ٩ / ٥٩ ح ٦٩٣٢ ، ومصنف ابن أبي شيبة : ٦ / ٣٨٣ ح ٣٢١٨٦، والبيان والتعريف : ٢ / ٢٧٥ ح ٩٥١ ، والمستدرك ٣ / ١٧٧ .

٢ ـ الفردوس بمأثور الخطاب : ١ / ٤٣٨ ح ١٧٨٥، والسلسلة الصحيحة : ٣ / ٦٣٤ ح ١٩٨٠ مع طرقه، والمصنف : ٦ / ٣٧٥ ح ٣٢١١٢، ومسند أبي يعلى : ١ / ٢٩٣ ح ٣٥٥، والمعجم الكبير : ٤ / ١٦ و ١ / ٣١٨ و١٨ / ١٢٩ ، وكشف الغمة : ١ / ١٩٤ ـ ٢٩٠ ، والمنتخب : ٦٧ ، وبحار الأنوار : ٣٦ / ٢٦٤ ـ ٣٥٠ ، والعمدة : ٤٠٦ ، وفضائل الصحابة لاحمد : ٢ / ٦٠٥ ـ ٥٩٩ ـ ٥٩٤ ـ ٦٥٧ .

٣ ـ دلائل الإمامة للطبري : ٣ ، والصواعق المحرقة : ٢٢٥ ، وجواهر العقدين : ١٩٧ ، وروضة الواعظين : ١٥٧ ، وشواهد التنزيل : ٢ / ٨٤، وأهل البيت : ١٩٤، وينابيع المودة : ١ / ٥٩ باب ٩.

٤ ـ راجع الروض الفائق : ٢١٩ مجلس ٥٣ .

٥ ـ كشف الغمة : ١ / ١٠٦ ، وفضائل ابن شاذان : ٥٤ ـ ٩٦ ، والأنوار النعمانية : ٢ / ٩٩ .

كونهم نور الله الأعظم

وعن الإمام الباقر عليه السلام : « *هم والله نور الله الذي أنزل ، هم والله نور الله في السموات والأرض* » [١].

وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله يقول لعلي صلوات الله عليه:

« *خلقت أنا وأنت من نور الله تعالىٰ* » [٢].

وعن علي عليه السلام قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « ... وان الله خلقني وخلقك من نوره » [٣].

وعن سلمان وابن عباس قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « دنوت من ربي فكنت منه كقاب قوسين أو أدنى ... ثم قال : يا أحمد إني خلقتك وعلياً من نوري » [٤].

وعن أبي سلمى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ... يا محمد خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين من نوري » [٥].

وعن محمد بن ثابت قال : قال رسول الله لعلي عليه السلام : « يا علي ان الله تبارك وتعالىٰ خلقني وإياك من نوره الأعظم » [٦].

---

١ ـ أصول الكافي : ١ / ١٩٤ باب أنهم نور الله ح ١.
٢ ـ فرائد السمطين : ١ / ٤٠ ح ٤ الباب الأول ، وينابيع المودة : ١ / ١١ الباب الأول .
٣ ـ ينابيع المودة : ١ / ٥٩ باب ٩.
٤ ـ مائة منقبة : ١٥٥ المنقبة ٩٣.
٥ ـ ينابيع المودة : ٢ / ٥٨٤ باب ٩٣ الذيل ، ومقتل الخوارزمي : ١ / ٩٦.
٦ ـ ارشاد القلوب : ٢ / ٤٠٤ باب قضايا علي في الحد .

وفي رواية أنهم جميعاً من نور الله الأعظم [١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالىٰ خلقنا من نور عظمته» [٢].

وعن أبي سلمى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « ... يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين من شبح نور من نوري » [٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : في حديث جاء فيه : «***لأنا كلنا واحد أولنا محمد ، وآخرنا محمد ، وأوسطنا محمد وكلنا محمد ، فلا تفرقوا بيننا*** » [٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « علمنا واحد وفضلنا واحد ونحن شيء واحد» [٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أولنا كآخرنا وآخرنا كأولنا » [٦].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام : « أنا محمد ومحمد أنا » [٧].

وقال عليه السلام : « كلنا واحد من نور واحد ، وروحنا من أمر الله، أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلنا محمد » [٨].

وفي حديث « اخترعنا الله من نور ذاته » [٩].

---

١ - ارشاد القلوب : ٢ / ٤٠٤ .

٢ ـ الاختصاص : ١٢ / ٢١٦ حديث المفضل ، والأنوار النعمانية : ١ / ٢٩٠ .

٣ ـ بحار الأنوار : ٣٦ / ٢٦٢ ح ٨٢ النصوص عليهم .

٤ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٦ ـ ٧ ح ١ باب نادر في معرفتهم .

٥ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٣١٦ ح ٨٢ باب تفضيلهم .

٦ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٣١٧ ح ٧٩ باب تفضيلهم .

٧ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ١٦ ، وإلزام الناصب : ١ / ٤٤ .

٨ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ١٦ ح ، وإلزام الناصب : ١ / ٤٤ .

٩ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ١٢ ـ ١٤ .

وفي الحديث القدسي : « يا محمد نظرت الى صفاء بياض نوري الذي خلقته بقدرتي وابدعته بحكمتي واضفته تشريفاً الى عظمتي ، فاستخرجت منه جزأً فقسمته ثلاث أقسام ، فخلقتك وأهل بيتك من القسم الأول » [١].

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « خلقني الله تبارك وتعالىٰ وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام » [٢].

وعن الإمام علي قال : سمعت رسول الله يقول : « إن الله تبارك وتعالىٰ خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد » [٣].

وعن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ... « يا محمد إني خلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من نور واحد » [٤]

ورواه في بحار الأنوار عن عبد الله بن عمر [٥].

---

١ ـ نزهة المجالس : ٢ / ٩٦ باب مولد المصطفى .

٢ ـ كفاية الأثر : ٧ ، والفردوس بمأثور الخطاب : ٢ / ١٩١ ح ٢٩٥٢ ، ومناقب آل أبي طالب : ١ / ٢٧ .

٣ ـ كشف الغمة : ٢ / ٨٤ ـ ٨٥ .

٤ ـ غيبة النعماني : ٥٩ الباب الرابع .

٥ ـ بحار الأنوار : ٣٦ / ٢٨١ ح ١٠٠ باب النصوص عليهم .

أشباحٌ أم أنوار؟

بعد هذه الطوائف من الروايات يصل الإنسان الى حد القطع والتواتر بوجود عالم الأنوار لأهل البيت عليهم السلام ، وأنهم كانوا يعبدون الله ويقدسونه .

أمّا كيفية هذه الأنوار أو الأشباح فما يستفاد من مجموع الروايات أنها أنوار وأسماء لها جنبة مادية ، وذلك أن بعض الأحاديث كانت تقول أن آدم رأى تلك الأنوار وتوسل بها ، وبعضها يشير الى عددها وان المهدي القائم (عج) في وسطهم .

فهذا يدل على أنهم أنوار محدقين بمكان ما يعبدون الله ويسبحونه .

بل منها ما يشير الى أن الله خاطبهم فأجابوه بالتسبيح ، وكانوا إمام الملائكة وهم الذين علموهم التسبيح والتقديس ، فهذا يدل على أنهم أنوار يتكلمون ويشاهدون ، وأنهم ليسوا مجرد أشباح ، كما قد يدعيه من لم يقف على هذه الروايات التي تقدم بعضها .

نعم ورد في رواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام : « يا جابر ان الله أول ما خلق خلق محمداً صلى الله عليه وآله وعترته الهداة المهتدين ، فكانوا أشباح نور بين يدي الله .

قلت : وما الأشباح؟

قال عليه السلام : ظل النور أبدان نورانية بلا أرواح ، وكان مؤيداً بروح واحدة ، وهي روح القدس ، فَبِهِ كان يعبد الله ، وعترته ، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ويصلون

الصلوات ويحجون ويصومون »[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالىٰ أحد واحد تفرد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ، ثم خلق من ذلك النور محمداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذريتي ، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور ، وأسكنه في أبداننا فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر »[٢].

وعن علي بن الحسين عليهما السلام عن آبائه عن رسول الله قال : « يا عباد الله ان آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش الى ظهره، رأى النور ولم يتبين الأشباح فقال : يا رب ما هذه الأنوار؟

قال الله عزّ وجلّ : أنوار أشباح نقلتهم من اشرف بقاع عرشي الى ظهرك ، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح »[٣].

* أقول : وبهذا تبين أنهم حول العرش كانوا يعبدون الله بأنوارهم وأرواحهم وأشباحهم وأبدانهم .

وفي الكافي الشريف قال الإمام الصادق عليه السلام : « إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيه ، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا »[٤].

---

١ ـ أصول الكافي : ١ / ٤٤٢ مولد النبي من أبواب التاريخ ح ١٠ .

٢ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٩١ باب تفضيلهم على الأنبياء ح ٥١ .

٣ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٣٢٧ ح ١٠ من باب توسل الأنبياء بهم .

٤ ـ أصول الكافي : ١ / ٣٨٩ باب خلق أبدانهم ح ٢ .

الهدف من خلق أهل البيت عليهم السلام

في الزيارة الجامعة: « *خلقكم الله أنوار ... ثم مَنَّ علينا بكم ...* ».

مما لا شك أن الهدف من خلق كل البشرية هو توحيد الله وعبادته ﴿وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، وبما أن الممكنات متفاوتة، جعل الله العالم والجاهل منهم؛ ليرجع الجاهل الى العالم ويتعلم منه هداية الله وسبل الرشاد.

ولكن لم يكن هذا القدر بالكافي لتتميم العبودية الحقيقية وربطها بالالوهية الوحدانية، وذلك للبون الشاسع بين العبد المظلم الذي يعيش في الماديات، وبين نور الله المطلق الخالص من كل مادة ونقص، فكان لابد من وسائط تستطيع ان تلتقي بجانب المادة وبجانب النور، تتأثر وتؤثر؛ فكان أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام الباقر عليه السلام: « *نحن وديعة الله في عباده* »[٢].

كان رسول الله وأهل بيته صلوات المصلين عليهم ليخرجوا نور الله من الخفاء الى العلن، وليبرزوا معارف الله ووحدانيته وحقيقته وكنه غيبه إبرازاً صحيحاً يوصل الى طريق الحق تعالىٰ.

كان علي وأبناؤه ليشرحوا للبشرية جمعاء سبل الهداية الربانية، ويعلموا الإنسان المادي بجنبتهم المادية التي منحها الله لهم، يعلموه العبودية

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

٢ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٤٥ باب جوامع مناقبهم من كتاب الإمامة.

الحقيقية والتي لابد أن تفنى في الألوهية النورانية ، التي فهموها وعاشوها بجنبتهم النورانية .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « *علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته ، فأقام بينه وبينهم مخلوقاً من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه الى الخلق سفيراً صادقاً ، وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته، فقال تعالىٰ:* ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[1].

وقال الحكيم السبزواري: فلابد للحادثين السائرين الى الله الطالبين له من جالس بين الحدين ذي حظ من الجانبين ، ومسافر من الخلق الى الخلق الى الحق، ثم في الحق ، أي التخلق بأخلاق الله خلقاً بعد خلق ، ثم من الحق الى الخلق ليقودهم إليه ويدلهم عليه ، فليكن بباطنه عقل الكل ليتأزر بازار الجبروت ، ويتردى برداء اللاهوت ، ويستمد من القوة الربانية ويعطي الحوادث الكيانية .

وبظاهره إنساناً طبيعياً لحمياً ﴿ **إن نحن إلّا بشر مثلكم ـ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً** ﴾ [2].

فأنزلهم الله من عالم الأنوار الى عالم المادة ، من أجل هذه المهمة الصعبة . وصحيح انه خلاف طبع الأولياء (النزول) إلّا أنه كان لابد منه لانحصار الهداية بهم والوساطة عليهم « ***بلية الناس عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا*** » [3].

وقال أمير المؤمنين وسيد الموحدين عليه السلام في وصف الإمام: ... « فهو شرف الاشراف والفرع من عبد مناف ، عالم بالسياسة قائم بالرياسة ، مفترض

---

١ ـ ينابيع المودة : ١ / ١٨ الباب الثاني .

٢ ـ شرح دعاء الصباح : ٦٥ ـ ٦٦ .

٣ ـ امالي الصدوق : ٣٦٣ ، وبحار الأنوار : ٢٣ / ٩٩ .

الطاعة الى يوم الساعة أودع الله قلبه سره .

والإمام يا طارق بشرٌ ملكي ، وجسد سماوي ، وأمر إلهي ، وروح قدسي ، ومقام علي ، ونور جلي ، وسر خفي، فهو ملك الذات إلهي الصفات ، زائد الحسنات عالم بالمغيبات ، نصاً من رب العالمين ونصاً من الصادق الأمين ، وهذا كله لآل محمد لا يشاركهم فيه مشارك ... »[١] .

وقال أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « إن الله واحدٌ متوحد بالوحدانية متفرد بأمره، فخلقهم خلقاً فقدرهم لذلك الأمر فنحن هم »[٢] .

إظهار عبوديّة الله تعالى

خلق الله تعالى المخلوقات من أجل عبادته فقال عز من قائل : ﴿وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣].

وقال سبحانه في الحديث القدسي: كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف[٤].

فالهدف من العبادة هو معرفة الله وصفاته وآثاره وإظهار ربوبيته المخفية وعظمة قدرته وجزيل نِعَمه على عباده وجميع خلقه، وعند إظهار حقيقة أُلوهية الله تعالى تحسن العبادة وتأخذ معنى آخر لأنها تكون أولاً عبادة عن معرفة.

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٥ / ١٧٢ باب جامع في صفات الإمام ح ٣٨.

٢ ـ بصائر الدرجات : ١٠٤ باب الأئمة خزائن الله ح ٧.

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

(٤) شرح أصول الكافي: ١ / ٢٤ .

وثانياً: عبادة لكون الله أهلاً للعبادة لاخوفاً ولا طمعاً، وهو أفضل أنـواع العبادات.

ويعتبر أهل البيت عليهم السلام الواسطة في هذا الأمر كما يأتي تفصيله.

تعلق آل محمد عليهم السلام بالمحل الأعلى

تبين أن الهدف من خلق آل محمد عليهم السلام والاتيان بهم الى هذه الدنيا هو هدايتنا، وإلّا لو خلي الإمام ونفسه لما ترك مجاورة الله عزت الآؤه، لذا بعد انتهاء مدة كل إمام كان يعود الى مكانه الطبيعي حول عرش الله تعالىٰ، كما يأتي في الأبحاث التالية.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «*لن نزال في عباده مادامت لله فيهم روية*».

قلت: وما الروية؟

قال عليه السلام: «الحاجة، فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه فصنع [بنا] ما أحب»[1].

لأن الإمام في عيش دائم مع الله حتى وهو مع الناس، كما قال صادق أهل البيت عليه السلام: «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه ... فهو في رياض قدسه متردد»[2].

وقال إمامنا زين العابدين عليه السلام:

«والله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار وسر ولا علانية ولولا لأهلي علي حقاً ولسائر الناس في خاصهم وعامهم علي حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أُوديها إليهم؛ لرميت بطرفي الى السماء وبقلبي الله ثم

١ ـ بحار الأنوار: ٢٤ / ١٩٧ ح ٢٣.

٢ ـ بحار الأنوار: ٣ / ١٤ ح ٣٥ باب ثواب الموحدين.

لم أردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين »[١].

وقال عليه السلام : « لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عني »[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لو لا الاجال التي كتب الله لهم لماتوا شوقاً الى الله والثواب »[٣].

عودة آل محمد الى العرش

تقدم ان آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين كانت بيوتهم عرش الرحمٰن، ثم أنزلهم الله من أجل هداية البشرية جمعاء، ومقتضى هذا النزول أنه إذا ارتفعت الحاجة من الإمام في زمانه ان يعود الى المكان المناسب له واللائق بحاله وأحواله، على حسب مراتبهم عند الله، وهو المكان الذي كانوا فيه عند الله تعالىٰ أو حول عرشه، يعبدون الله فيه ويقدسونه، هذا مقتضى الصعود بعد النزول، والدليل قائم على ذلك حيث وردت الروايات الشريفة بعودة أهل البيت عليهم السلام الى جوار الله وبعد ثلاثة أيام.

بل ورد أن الأئمة والنبي عليهم السلام يعرجون الى المكان الأصلي والقرب الرباني.

قال الإمام الصادق عليه السلام : « ما من ليلة جمعة إلّا ولأولياء الله فيها سرور ».

قلت : كيف ذلك؟

قال : « *إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافى الأئمّة عليهم السلام*

---

١ ـ الاداب المعنوية للصلاة : ٣١٣.

٢ ـ الهداية الكبرى : ٢١٥ الباب السادس.

٣ ـ السير الى الله : ١٩٤.

ووافيت معهم، فما أرجع إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفذ ما عندي »[١].

وعنه عليه السلام قال: « *ما من نبي ولا وصي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع بروحه وعظمه ولحمه الى السماء، وإنما يؤتي موضع آثارهم ويبلغ بهم من بعيد السلام، ويسمعونهم على آثارهم من قريب* »[٢].

وفي حديث آخر طويل جاء فيه: « الحسين مع أبيه وأمه وأخيه الحسن في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله يحيون كما يحيى ويرزقون كما يرزق، فلو نبش في أيامه لوجد فأما اليوم فهو حي عند ربه ينظر الى معسكره وينظر الى العرش حتى يؤمر ان يحمله، وإنه لعلى يمين العرش متعلق يقول: يا رب أنجز لي ما وعدتني»[٣].

* *أقول*: لا أرى خلافاً في انتقال أهل البيت عليهم السلام بعد الممات، بل نقل الشيخ الأعظم المفيد اجماع الفقهاء عليه.

قال: أما أحوالهم بعد الوفاة فإنهم ينقلون من تحت التراب فيسكنون بأجسامهم [بأجسادهم] وأرواحهم جنة الله، فيكونون فيها أحياء يتنعمون الى يوم الممات [متنعمون الى يوم الحساب بلقاء الله] كما جاءت به الرواية، وهذا مذهب فقهاء الإمامية كافة وحملة الآثار منهم، ولست أعرف فيه لمتكلميهم من قبل مقالا»[٤].

ويؤيد ذلك ما ورد بلسان: « يموت ميتنا وليس بميت ويبلى من بلي منا

---

١ - أصول الكافي: ١ / ٢٥٤ ح ٣.

٢ ـ بصائر الدرجات: ٤٤٣ باب قول الرسول في عرض الأعمال عليه ح ١، والمزار للشيخ المفيد: ٢٢١ باب النوادر ذيل الكتاب، والكافي: ٤ / ٥٦٧ ح ١.

٣ ـ بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٧٦ كتاب الإمامة ـ باب غرائب افعالهم ح ٢٤.

٤ ـ أوائل المقالات: ٤ / ٧٢ ط. المؤتمر و ٤٥ ط الداوري قم وما بين المعقودين منها.

وليس ببال »[١].

«إن ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإن قتلانا لن يقتلوا »[٢].

«يموت من مات منا وليس بميت ويبقى من بقي منا حجة عليكم »[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « إذا أنا متّ فاغسلني من بئر غرس ، ثم اقعدني وسلني عما بدا لك ».

وفي رواية : « واكتب » وفي ثالثة : « وضع يدك على صدري »[٤].

وهذه الروايات كما تشير الى أن ذكرهم حي يدوم ولا يتأثر بمن مات منهم، كذلك تشير الى أنهم أحياء حياة حقيقية ، وذلك بتفسير أن الله بعد أن يقبض روح الإمام ويفصلها عن البدن بعد ثلاثة أيام يعيد إليه الروح فتعود الحياة للإمام وينقله الى قاب قوسين أو أدنى ، كما تقدم في الروايات .

وليس هذه بمقولة الغلاة لأنهم قالوا إن الموت أصلاً لا يصدق عليهم أو لا يحلّ بهم ، أي لا يتلبسون بالموت ولو للحظة .

أمّا نحن فإننا مشينا حسب الروايات المتكثرة القائلة أن الإمام يرفع بعد موته بروحه وجسده كما تقدم، والشيخ المفيد نقل لك الاجماع عليه .

---

١ ـ نهج البلاغة : ١٢٠ الخطبة ٨٧ ، وإثبات الوصية : ١٣٠ .

٢ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٦ .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٢٧٥ باب أن الأئمة يزورون الموتى .

٤ ـ بصائر الدرجات : ٢٨٣ باب في وصية الرسول أمير المؤمنين ان يسئله بعد الموت .

تحقيق في أول الخلق

في الروايات خلاف في أول ما خلق الله تعالىٰ وإليك هي :

١ ـ أول ما خلق العقل [١].

٢ ـ أول ما خلق الله آل محمد أو أرواحهم [٢].

٣ ـ أول ما خلق الله محمداً ، أو نور محمد ، أو عقله ، أو روحه [٣].

٤ ـ أول ما خلق الله العرش [٤].

٥ ـ أول ما خلق الله القلم [٥].

---

١ ـ كشف الخفاء : ١ / ٢٦٣ ح ٨٢٣، وعوالم العلوم والمعارف : ٤٠ ح ٣٠٢ ، وبحار الأنوار : ١ / ١٠٩ ـ ٩٦ الى ٩٩ ، وشرف العقل للغزالي : ٥٣ ، والكافي : ١ / ٢١ و ١٠ .

٢ ـ تأتي المصادر في طي الأحاديث وراجع ينابيع المودة : ٢ / ٥٨٢ ، وعيون أخبار الرضا : ١ / ٢٠٥ باب ٢٦ ح ٢٢ ، وكمال الدين : ١ / ٢٥٥ باب ٢٣ .

٣ ـ تأتي المصادر مع الأحاديث ويراجع شرح دعاء الجوشن : ٥٤٨ ، وعوالم العلوم : ٤٠ ح ١ و جامع الاسرار : ٥٩ ـ ١٤٤ ـ ٣٤٧ ـ ٣٨٠ ـ ٤٥٠ ح ٥٦٣ ـ ٦١٩ ـ ٧٠٥ ، والأنوار النعمانية : ١ / ١٣ ، ورسالة المشاعر : ٣١٧ ، وينابيع المودة : ١ / ١٠ ، ونظم المتناثر : ١٨٥ ح ١٩٤ ، واسرارالشريعة : ٦ .

٤ ـ تاريخ ابن كثير : ١ / ٤٠ ، وكنزالعمال : ٢ / ٢٣٦ ح ١٥١١٩، وعيون الأخبار : ١ / ١١٠ باب ١١ ح ٣٣ ، وجامع الاسرار : ٥٥٧ .

٥ ـ تاريخ ابن كثير : ١ / ٤٠ ـ ٣٩ ، وكنز العمال : ١ / ١٢٦ ح ٥٩٧ ، والشريعة للآجري : ٧٣ ح ١٦٨ و ١٥٠ ح ٣١٦ و ٢٦٧ ح ٦٩٣ .

٦ ـ أول ما خلق الله الماء [١].

٧ ـ أول ما خلق الله الملائكة [٢].

٨ ـ أول ما خلق الله النور والظلمة [٣].

٩ ـ أول ما خلق الله العلم [٤].

١٠ ـ أول ما خلق الله الحجب [٥].

١١ ـ أول ما خلق الله جوهرة [٦].

١٢ ـ أول ما خلق الله الروح [٧].

١٣ ـ أول ما خلق الله الهواء [٨].

١٤ ـ أول ما خلق الله القدر [٩].

يشاهد في عدن ضياء مشعشعاً

يزيد على الأنوار في الضوء والهدى

---

١ ـ تاريخ ابن كثير : ١ / ٤٠ ، وعيون أخبار الرضا : ١ / ١١٠ ح ٣٣ باب ١١، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٣٧٥، المواهب اللدنية : ١ / ٣٧ ـ ٣٨ المقصد الأول.

٢ ـ عيون أخبار الرضا : ١ / ١١٠ باب ١١ ح ٣٣.

٣ ـ بحار الأنوار : ٢٤ / ٣٧٥ ح ١٠٣ ، وتاريخ ابن كثير : ١ / ٣٩ القول في ابتداء الخلق ، وعيون أخبار الرضا : ١ / ١٨٩ باب ٢٤ ح ١ ، وعوالم العلوم : ٤٠ ح ٤ ، والأنوار النعمانية : ١ / ١٥٥ و١٣.

٤ ـ بحار الأنوار : ٢٤ / ٣٧٥ ح ١٠٣.

٥ ـ بحار الأنوار : ٣٦ / ٣٤٣ باب نصوص الرسول على الأئمة ح ٢٠٩.

٦ ـ تفسير صدر المتألهين : ٦ / ٨١ ، وأسرار الشريعة : ١٣١ ـ ٢٣٦ ، والأنوار النعمانية : ١ / ١٥٥.

٧ ـ شرح الكافي : ١ / ٢١٦، وتفسير صدر المتألهين : ٤ / ١٣٤ ، واسرار الشريعة : ١٢٤ ، وجامع الاسرار : ١٤٤ ـ ٣٨٠ ح ٧٥٧ ، والأنوار النعمانية : ١ / ١٣.

٨ ـ بحار الأنوار : ٢٤ / ١٧٥، والأنوار النعمانية : ١ / ١٥٥ و ١٣.

٩ ـ الأنوار النعمانية : ١ / ١٣.

فـــقال إلهـــي مـــا الضـــياء الذي أرى
جـــنود السـما تـعشو إليـه تـرددأ
فـقال نـبي خـير مـن وطـىء الثـرى
وأفضل مـن فـي الخـير راح أو اغـتدى
تـــخيرته مـــن قـبل خـلقك سـيدا
وألبســـته قـبل النـبيين سـؤددا [١].

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسـد	هذا النـعيم هـو المـقيم الى الابـد
روح الوجود حياة من هو واجـد	لولاه مــاتم الوجـود لمـن وجـد
عيسى وآدم والصدور جـميعهم	هــم اعـين هـو نـورها لمـا ورد
لو ابصر الشـيطان طـلعة نـوره	في وجه آدم كان أول من سـجد
أو لو رأى النـمرود نـور جـماله	عبدالجـليل مـع الخـليل ولا عـند
لكـن جـمال الله جـل فـلا يـرى	إلا بتخصيص من الله الصـمد [٢]
طـــأطأ كـــل الأنـبياء لطـاها	ذلك عِـــزٌّ عَـــزَّ أن يـــضاهي
تـــقبلت تـــربة آدم الصـــفي	بـــيمنه اكـرم بــه مــن خـلف
وســـــجدة الامـــلاك لا لغـرته	بـل نـور يـاسين بـدا فـي غـرته
بــه نــجى نــوح مــن الطـوفان	بمرسلات اللطف والاحسان [٣].

والصحيح: أن أول ما خلق الله محمداً فآل بيته الأطهار.

والدليل الروايات المستفيضة والأقوال:

---

١ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٣٦ تشريف الله للنبي من المقصد الأول.
٢ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٤٤.
٣ - الأنوار القدسية: ٢٠.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«يا عمر بن الخطاب أتدري من أنا ؟! أنا الذي خلق الله أول كل شيء نوري ، فسجد له فبقي في سجوده سبعمائة عام ، فأول كل شيء سجد له نوري ولا فخر . يا عمر أتدري من أنا ؟ أنا الذي خلق الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم من نوري ، والشمس والقمر من نوري ، ونور الأبصار من نوري والعقل الذي في رؤوس الخلائق من نوري ، ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر»[1].

وفي حديث مستفيض : كنت أول الأنبياء [الناس] في الخلق وآخرهم في البعث »[2].

وحديث : « كنت أو جعلت نبياً وآدم بين الروح والجسد »[3].

وحديث : « إني عبد الله وخاتم النبيين وآدم لمنجدل في طينته »[4].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : « كنت وليا وآدم بين الماء والطين »[5].

---

١ ـ شرح الشمائل المحمدية : ١ / ٤٩، ولوامع أنوار الكوكب الدري : ١ / ١٣ .

٢ ـ كنز العمال : ١١ / ٤٥٢ ح ٣٢١٢٦ ، والجامع الصغير : ٢ / ١٦٢ ، والطبقات الكبرى : ١ / ١١٩، والفردوس بمأثور الخطاب : ٣ / ٢٨٢ ح ٤٨٥٠ ، والوفا باحوال المصطفى : ٣٦١ ، وينابيع المودة: ١ / ٢٢٠ و١٨ ، والخصائص الكبرى : ١ / ٣ الباب الأول .

٣ ـ مجمع الزوائد : ٨ / ٤٠٩ ح ١٣٨٤٥ ومابعده باب قدم نبوته ، ومسند احمد : ٤ / ١٢٧ ـ ٦٦ و٥ / ٥٩ ـ ٣٧٩ ، والفردوس بمأثور الخطاب : ٣ / ٢٨٤ ح ٤٨٥٤ ، والاجوبة الغزالية : ١٢٧ ، والشريعة : ٤١٦ ، والمعجم الكبير للطبراني : ١٨ / ٢٥٢ و٢٠ / ٣٥٣، والوفا : ٢٩ ح ١١ ، والشفا : ١ / ١٧١ باب ٣ ، والطبقات : ١ / ١١٨ و٧ / ٤٢ ، والاستيعاب : ٣ / ٥١٨ .

٤ ـ تاريخ الذهبي : ١ / ٤٢ ، وكنزالعمال : ١١ / ٤١٨ ح ٤١٩٦٠، والمعجم الكبير : ١٨ / ٢٥٢، وشعب الايمان : ٢ / ١٣٤ .

٥ ـ جامع الاسرار : ٣٨٢ ـ ٤٦٠ ح ٧٦٣ ـ ٩٢٧ ، والإنسان الكامل : ٧٧ ، والمراقبات : ٢٥٩ .

وقال عليه السلام: «أنا الأول أنا الآخر» [١].

وقال صلى الله عليه وآله: «أول ما خلق الله نوري» [٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «أول ما خلق الله نوري، ثم عصره فخلق منه أرواح الأنبياء، ثم عصره عصرة أُخرى فخلق منه الشمس والقمر وسائر النجوم» [٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «جل مقام آل محمد عن وصف الواصفين ونعت الناعتين، وأنىٰ يقاس بهم أحد من العالمين وكيف وهم النور الأول ...» [٤].

وأخرج سبط ابن الجوزي بسنده الى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال بعد حمد الله: «لما أراد الله ان ينشىء المخلوقات ويبدع الموجودات أقام الخلايق في صورة قبل دحو الأرض ورفع السموات، ثم أفاض نوراً من نور عزه فلمع قبساً من ضيائه وسطع.

ثم اجتمع في تلك الصورة وفيها هيئة نبينا صلى الله عليه وآله فقال له تعالىٰ: أنت المختار وعندك مستودع الأنوار وأنت المصطفى المنتخب الرضاء المنتجب المرتضى، من أجلك أضع البطحاء وارفع السماء وأجري الماء واجعل الثواب والعقاب والجنة والنار، وانصب أهل بيتك علماً للهداية، وأودع أسرارهم من سرّي بحيث لا يشكل عليهم دقيق، ولا يغيب عنهم خفي، واجعلهم حجتي على بريتي والمنبهين على قدري والمطلعين على أسرار خزائني.

ثم أخذ الحق سبحانه عليهم الشهادة بالربوبية والإقرار بالوحدانية وان

---

١ ـ جامع الاسرار: ٢٠٥ ح ٣٩٤.

٢ ـ نظم المتناثر: ١٨٥ ح ١٩٤، وأخبار الدول: ٤، ورسالة المشاعر: ٣١٧، وينابيع المودة: ١ / ١٠ الباب الأول، وبحار الأنوار: ١٥ / ٢٤ و٢٥ / ٢٢ و١ / ٩٧، وغوالى اللآلي للاحساني: ٤ / ٩٩ ح ١٤٠، وشرح دعاء الجوشن: ٥٤٨، وعوالم العلوم: ٤٠ ح ١.

٣ ـ مشارق أنوار اليقين: ٢١٧.

٤ ـ مشارق انوار اليقين: ١١٦.

الإمامة فيهم والنور معهم ، ثم إن الله اخفى الخليفة في غيبه وغيبها في مكنون علمه ونصب العوالم وموج الماء وأثار الزبد وأهاج الدخان فطفا عرشه على الماء، ثم أنشأ الملائكة من أنوار ابتدعها وأنواع اخترعها ، ثم خلق الله الأرض وما فيها.

ثم قرن بتوحيده نبوة نبيه محمد وصفيه ، فشهدت السموات والأرض والملائكة والعرش والكرسي والشمس والقمر والنجوم وما في الأرض له بالنبوة ، فلما خلق آدم أبان للملائكة فضله وأراهم ما خصّه به من سابق العلم ، فجعله محراباً وقبلةً لهم فسجدوا له وعرفوا حقه .

ثم بين لآدم حقيقة ذلك النور ومكنون ذلك السر ، فلما حانت أيامه أودعه شيئاً، ولم يزل ينتقل من الأصلاب الناظرة الى الأرحام الطاهرة الى أن وصل الى عبد المطلب ثم إلى عبد الله ، ثم إلى نبيه صلى الله عليه وآله فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سراً وعلانية واستدعى الفهوم الى القيام بحقوق ذلك السر اللطيف وندب العقول الى الإجابة لذلك المعنى المودع في الذر قبل النسل ، فمن وافقه قبس من لمحات ذلك النور واهتدى الى السر وانتهى الى العهد المودع في باطن الأمر وغامض العلم ، ومن غمرته الغفله وشغلته المحنة استحق البعد .

ثم لم يزل ذلك النور ينتقل فينا ويتشعشع في غرايزنا ، فنحن أنوار السموات والأرض وسفن النجاة ، وفينا مكنون العلم وإلينا مصير الأمور وبمهدينا تقطع الحجج، فهو خاتم الأئمة ومنقذ الأمة ومنتهى النور وغامض السر ، فليهن من استمسك بعروتنا وحشر على محبتنا » [1] .

---

١ ـ تذكرة الخواص : ١٢١ ـ ١٢٢ الباب السادس ـ المختار من كلام علي ـ خطبة في مدح النبي والأئمة .

أقول : اخرجه الصفوري مختصراً[١] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني ... والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك ... يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ، ولا الجنة ولا النار ، ولا السماء ولا الأرض ، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم الى التوحيد ومعرفة ربنا عزّ وجلّ ، وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأن أول ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة ، فلما شهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمورنا ، فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقين ، وأنّه منزه عن صفاتنا فسبحت الملائكة لتسبيحنا»[٢] .

وعنه صلى الله عليه وآله : « *إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا ظلمة ولا نور ، ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار* » .

فقال العباس : كيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟

فقال : « يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ، ثم تكلم بكلمة أُخرى فخلق منها روحاً ، ثم مزج النور بالروح ، فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين ، فكنا نسبحه حين لا تسبيح ، ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالىٰ أن ينشيء خلقه فتق نوري فخلق منه العرش ، فالعرش من نوري ، ونوري من نور الله ، ونوري أفضل من العرش .

ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علي ونور علي

---

١ ـ نزهة المجالس : ٢ / ٩٦ مولد النبي صلى الله عليه وآله .

٢ ـ كمال الدين : ١ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ باب نص الله على القائم ح ٤ ، وينابيع المودة : ٢ / ٥٨٢ الباب ٩٣ ط . النجف و٤٨٥ ط . اسلامبول ، وعيون أخبار الرضا : ١ / ٢٠٥ باب ٢٦ ح ٢٢ .

من نور الله وعلي أفضل من الملائكة . ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السموات والأرض، فالسموات والأرض من نور ابنتي فاطمة ، ونور ابنتي فاطمة من نور الله ، وابنتي فاطمة أفضل من السموات والأرض .

ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله ، والحسن أفضل من الشمس والقمر .

ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين ، فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين ، ونور ولدي الحسين من نور الله ، وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين [١] .

الى أن قال : « فتكلم الله بكلمة فخلق منها روحاً ... ثم نوراً فأزهرت المشارق والمغارب فهي فاطمة » [٢] .

وعن الإمام علي عليه‌السلام : « ألا إني عبد الله واخو رسوله وصديقه الأول قد صدقته وآدم بين الروح والجسد ، ثم إني صديقه الأول في امتكم حقاً ، فنحن الاولون ونحن الآخرون » [٣] .

وعن أبي جعفر عليه‌السلام قال : « يا جابر كان الله ولا شيء غيره ، لا معلوم ولا مجهول ، فأول ما ابتدأ من خلقه ان خلق محمداً صلى‌الله‌عليه‌وآله وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته ، فأوقفنا أظلةً خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر » [٤] .

وعن جابر قال : قلت لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : أول شيء خلق الله تعالىٰ ما هو؟

---

١ ـ بحار الأنوار : ١٥ / ١٠ ـ ١١ باب بدء خلق النبي ح ١١ .

٢ ـ الأنوار النعمانية : ١ / ١٧ ـ ١٨ مع تفاوت عما في بحار الأنوار ليس بيسير رواه عن ابن مسعود .

٣ ـ بحار الأنوار : ١٥ / ١٥ ح ١٩ .

٤ ـ بحار الأنوار : ١٥ / ٢٣ ح ٤١ .

فقال صلى الله عليه وآله : « نور نبيك يا جابر ، فخلقه الله ، ثم خلق منه كل خير » [1] .

* *أقول* : هذا ما رواه المجلسي في بحاره مختصراً ، ورواه القسطلاني مفصلاً عن عبد الرزاق مع تفاوت عما يأتي في الينابيع [2] .

ورواه النبهاني عنه في الأنوار المحمدية [3] .

ووجدت الحديث بطوله في كتاب ينابيع المودة ينقله عن كتابي : (ابكار الافكار) لابن الصلاح ، و(شرح الكبريت الاحمر) للشيخ عبد القادر عن الشيخ علاء الدولة السمناني والحديث هو :

قال جابر الأنصاري : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن أول شيء خلقه الله تعالىٰ.

قال صلى الله عليه وآله : « هو نور نبيك يا جابر ، خلقه الله ثم خلق فيه كل خير وخلق بعده كل شيء ، وحين خلقه إقامه في مقامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أقسام ، فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم .

وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام الرابع في مقام الخوف اثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء ؛ وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أجزاء ، فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء

---

١ ـ بحار الأنوار : ١٥ / ٢٤ ح ٤٣ .

٢ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٣٦ ـ المقصد الأول في تشريف الله له عليه السلام سبق نبوته في سابق ازليته.

٣ – الأنوار المحمدية : ١٣ .

اثنى عشر ألف سنة .

ثم نظر الله إليه فترشح ذلك النور عرقاً قطرت منه مائة ألف وعشرون الفا وأربعة آلاف قطرة من النور ، فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي ورسول ، ثم تنفست أرواح الأنبياء ، فخلق الله من انفساهم أرواح الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين الى يوم القيامة .

فالعرش والكرسي وحملة العرش وخزنة الكرسي من نوري . والقلم والكروبيون والروحانيون من الملائكة ، والجنة وما فيها من النعيم من نوري . وملائكة السموات السبع والشمس والقمر والكواكب من نوري . والعقل والعلم والحلم والعصمة والتوفيق من نوري ، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري ، وأرواح الأولياء والشهداء والسعداء والصالحين من نتائج نوري »[١] .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « *إن الله كان إذ لا كان ، فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار ، وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار ، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً ، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كون قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام* »[٢].

قال المولى المازندراني شارحاً للحديث: قوله (قال إن الله كان إذ لا كان) أي إن الله كان موجوداً وحده إذ لم يكن شيء من الممكنات موجوداً أو لم يوجد شيء منها، أولاً وجود لغيره سبحانها، أو لا كأين غيره، فـ(كان) الثاني إما ناقصة أو تامة و«كان» الأول ناقصة قطعاً، وجعلها تامة بمعنى وجد يوهم

---

١ ـ ينابيع المودة : ١ / ١٥ ـ ١٦ ط . النجف و ١٤ ط . اسلامبول الباب الثاني في شرف آباء النبي صلى الله عليه وآله .

٢ ـ الكافي : ١ / ٤٤٢ ، وبحار الأنوار : ١٥ / ٢٤ ح ٤٦ .

الحدوت تعالىٰ الله عنه.

قوله (فخلق الكان والمكان) الكان مصدر مثل القيل والقال ولذلك أدخل عليه الألف واللام أي فخلق الكون والوجود أو الكاين من الممكنات ولا دلالة في الفاء على القدم الزماني لمدخولها لوقوعه على عقب آخر الأجزاء الموهومة من الزمان الموهوم[1] المراد من «إذ» ههنا.

قوله (وخلق نور الأنوار) لعل المراد به آلة نورانية ومادة روحانية لنبينا صلى الله عليه وآله وبالأنوار نظائرنا للأنبياء والأوصياء عليهم السلام وتلك الأنوار تستفيض النور من ذلك النور كما أشار إليه بقوله (الذي نورت منه الأنوار) فهو نور فوق تلك الانوار كما أن نور الشمس فوق أنوار الكواكب ثم أجرى الله تعالىٰ في نور الأنوار من نوره، وهو الروح النبوي والإضافة لكمال الاختصاص أو العلم، وإطلاق النور عليهما شايع، والضمير في قوله «وهو النور» راجع إلىٰ نور الأنوار، وهو الذي خلق الله تعالىٰ منه محمداً وعلياً عليهما السلام فلم يزالا نورين أولين إذ لم يكن شيء قبلهما ولا معهما وهذه العناية مطويّة ليتم الدليل فلم يزالا من لدن آدم عليه السلام يجريان طاهرين من الأخباث مطهرين من الذنوب والأرجاس في الأصلاب الطاهرة من السفاح حتى افترقا في صلب عبد المطلب ووقعا في صلب أطهر طاهرين في عصره في صلب عبد الله وصلب أبي طالب فخرج من صلب عبد الله سيد الأنبياء ومن صلب أبي طالب أشرف الأوصياء صلى الله عليهما، هذا ما خطر بالبال والله أعلم بحقيقة الحال[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كان الله ولا شيء معه، فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسماوات والأرض

---

(١) الزمان الموهوم يوجب الحدوث الموهوم (ش).

٢ ـ شرح أصول الكافي: ٧ / ١٥١.

واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة وآدم وحواء »[١].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أصل المخلوقات كلها وابو الروحانية، وآدم أبو الجسمانيات[٢].

وأخرج الإمام أحمد في الفضائل: «*كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام* »[٣].

وقال سالم: شهدت علي بن الحسين عليه السلام يقول: « أنا أول ما خلق الله وآخر من يهلكها »[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « *أنا من الله والكل مني* »[٥].

قال الحافظ البرسي: والى هذا المعنى أشار بقوله صلى الله عليه وآله: « أول ما خلق الله نوري، ثم فتق منه نور علي، فلم نزل نتردد في النور حتى وصلنا الى حجب العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم خلق الخلايق من نورنا، فنحن صنايع الله والخلق من بعد صنايع لنا، أي مصنوعين لأجلنا ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته فاقبل يطوف بالقدرة حتى وصل الى جلال العظمة في ثمانين الف سنة، ثم سجد لله تعظيماً فتفتق منه نور علي، *فكان نوري محيطاً بالعظمة، ونور علي محيطاً بالقدرة*.

ثم خلق العرش، واللوح، والشمس، والقمر، والنجوم، وضوء النهار،

---

١ ـ بحار الأنوار: ١٥ / ٢٧ ـ ٢٨ ح ٤٨.

٢ ـ الروض الفائق: ١٧٠ مجلس ٤٣، واليواقيت والجواهر: ٢ / ١٨ مبحث ٣٢، وينابيع المودة: ١ / ١٠.

٣ ـ فضائل الصحابة: ٢ / ٦٦٣ ح ١١٣٠.

٤ ـ دلائل الإمامة: ٨٥ ترجمة على بن الحسين وإمامته.

٥ ـ مشارق أنوار اليقين: ٢٩.

وضوء الأبصار، والعقل والمعرفة، وأبصار العباد، وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره ، فنحن الأولون ونحن الآخرون، ونحن السابقون ونحن الشافعون، ونحن كلمة الله ونحن خاصة الله، ونحن أحباء الله ونحن وجه الله، ونحن أمناء الله ونحن خزنة وحي الله وسدنة غيب الله، ونحن معدن التنزيل وعندنا معنى التأويل، وفي آبياتنا هبط جبرائيل .

ونحن مختلف أمر الله ، ونحن منتهى غيب الله ، ونحن محال قدس الله ، ونحن مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة وينابيع النعمة ، ونحن شرف الأمة وسادة الأئمة ، ونحن الولاة والهداة والدعاة والسقاة والحماة ، وحبنا طريق النجاة وعين الحياة ، ونحن السبيل والسلسبيل والمنهج القويم والصراط المستقيم ، من آمن بنا آمن بالله ، ومن رد علينا رد على الله ، ومن شك فينا شك في الله ، ومن عرفنا عرف الله ، ومن تولى عنا تولى عن الله ، ومن تَبعنا أطاع الله .

ونحن الوسيلة الى الله ، والوصلة الى رضوان الله، ولنا العصمة والخلافة والهداية، وفينا النبوة والإمامة والولاية، ونحن معدن الحكمة وباب الرحمة، ونحن كلمة التقوى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى، التي من تمسك بها نجا »[1] .

وعن محمد بن سنان عن ابن عباس قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وآله : « ***مرحباً بمَن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة*** » .

قال : فقلنا يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟

فقال : نعم إن الله خلقني وعلياً من نور واحد قبل خلق آدم بهذه المدة ، ثم قسمه نصفين ، ثم خلق الأشياء من نوري ونور علي ، ثم جعلنا عن يمين العرش

---

١ - مشارق أنوار اليقين : ٣٩ ـ ٤٠ .

فسبحنا فسبحت الملائكة ، وهللنا فهللوا وكبرنا فكبروا، فكل من سبح الله وكبره فإن ذلك من تعليمي وتعليم علي » [١].

ومن ذلك ما رواه محمد بن علي بن بابويه مرفوعاً الى عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: «إن الله خلق نور محمد قبل خلق المخلوقات كلها بأربعمائة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة ، خلق منه اثني عشر حجاباً » [٢].

قال الحافظ : والمراد بالحجب الأئمة ، فهم الكلمة التي تكلم الله بها ، ثم أبدى منها سائر الكلم ، والنعمة التي أفاضها وأفاض منها سائر النعم ، والأمة التي أخرجها وأخرج منها سائر الأمم ، ولسانه المعبر عنه ويده المبسوطة بالفضل والكرم وقوامه على عباده بالحكم والحكم [٣].

وعن أبي حمزة الثمالي قال : دخلت حبابة الوالبية على أبي جعفر عليه السلام فقالت : أخبرني اي شيء كنتم في الأظلة؟

قال عليه السلام : « كنا نوراً بين يدى الله قبل خلقه الخلق ، فلما خلق الخلق سبحنا فسبحوا ، وهللنا فهللوا وكبرنا فكبروا » [٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله كما أخرجه الخوارزمي واحمد بسند صحيح: « *خلق الله تعالىٰ روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق آدم بألفي ألف عام* » [٥].

وعن سلمان الفارسي : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته ، وخلق من نوري نور علي عليه السلام فدعاه الى طاعته

---

١ - مشارق أنوار اليقين : ٣٩ .
٢ - مشارق أنوار اليقين : ٣٩ - ٤٠ .
٣ - مشارق أنوار اليقين : ٣٩ - ٤٠ .
٤ - مشارق أنوار اليقين : ٣٩ - ٤٠ .
٥ - أسرار الشريعة : ١٠١ .

فأطاعه ، وخلق من نوري ونور علي فاطمة عليها السلام فدعاها فأطاعته ، وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه ، فسمانا الله بخمسة أسماء من اسمائه .

فالله المحمود وأنا محمد ، والله العلي وهذا علي ، والله فاطر وهذه فاطمة ، والله الاحسان وهذا الحسن ، والله المحسن وهذا الحسين ، ثم خلق منا ومن نور الحسين عليه السلام تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوا قبل أن يخلق الله سماءً مبنية أو أرضاً مدحية أو هواءً أو ماء أو ملكاً أو بشراً ، وكنا بعلمه أنواراً نسبحه ونسمع له ونطيع »[١] .

* *أقول* : ذكر المجلسي في بحاره والجزائري في الأنوار وغيرهما عدة روايات أخرى في أنهم أول الخلق اقتصرنا على ما يكفي لاقناع الناصبي فضلاً عن غيره[٢] .

---

١ ـ إلزام الناصب : ٢ / ٣٣٢ ـ ٣٣ الفرع الثاني الآيات المشعرة بالرجعة عن المقتضب وتفسير البرهان .

٢ ـ بحار الأنوار : ١٥ / ٢ الى ٥٠ ح ٢ الى ٤٨ باب بدء خلق النبي من كتاب تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله ، وارشاد القلوب : ٢ / ٤٠٤ ـ ٤٠٥ و٤١٥ ـ ٤١٦ ـ ٤٢١ ، والأنوار النعمانية : ١٤ ـ ١٥ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ٢٢ .

انتقال نور النبي صلى الله عليه وآله في الأصلاب

قال العباس يمدح النبي صلى الله عليه وآله :

مـن قـبلها طبت فـي الظـلال وفـي *مسـتودع حـيث يـخصف الورق*

ثـم هـبطت البـلاد لا بشـر *انت ولا مـضغة ولا عـلق*

بـل نـطفة تـركب السفين [1] وقـد ألجـم نَسـراً [2] واهـله الغَـرَقُ

تـنقّل مـن صـالب الى رحـم إذا مـضى عـالم بـدا طـبق

حـتى احـتوى بـيتك المـهيمن مـن خَـنْدف عـلياء تـحتها النـطق

وأنت لمـا ولدت اشـرقت الا رض وضـاءت بـنورك الافـق

فـنحن فـي ذلك الضـياء وفـي الذ ور وسُـبُلَ الرشـاد نـخترق [3]

وزاد ابن الجوزي هذا البيت:

وردت نـار الخـليل مكـتتما *تجول فـيها ولست تـحترق* [4] .

أقول : هو إشارة الى ما تقدم في وجود نور النبي محمد في الأنبياء عليهم السلام .

وقال الصفوري : لما أُلقي إبراهيم في النار كان نور محمد صلى الله عليه وآله في جنبه

---

١ ـ في مناقب آل أبي طالب: تركب السفير اي الرسول .

٢ ـ اسم صنم .

٣ – مجمع الزوائد : ٨ / ٤٠٠ ح ١٣٨٣٠ كتاب علامات النبوة ، والمستدرك : ٣ / ٣٢٧ كتاب معرفة الصحابة مناقب العباس .

٤ – الوفا باحوال المصطفى : ٢٨ الباب الثاني ـح ٩ ، وينابيع المودة : ١٣ ـ ١٤ .

وعند الذبح كان النور قد انتقل الى إسماعيل [١].

وزاد القاضي عياض:

يـا بَـرْدَ نـار الخـليل يـا سَـبَباً لعصمة النار وهي تَـحْتَرِقُ [٢].

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾ جاء: انه كان يـنتقل نوره من ساجد الى ساجد، وقال صلى الله عليه وآله: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات» [٣].

وعن ابن عباس أنه قال: «*كانت روحه نوراً بين يدي الله تعالىٰ قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأهْبَطني الله الى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله تعالىٰ ينقلني من الاصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى اخرجني من أبوي، لم يلتقيا عـلى سفاح قط*».

قال القاضي عياض: ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وآله [٤].

* *أقول*: الأحاديث كثيرة في انتقال نور النبي اقتصرنا على هذا المقدار [٥].

---

١ - نزهة المجالس: ٢ / ٢٤٥.

٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١٦٧ ـ ١٦٨ الباب الثالث.

٣ ـ المواهب اللدنية: ١ / ٩١ ـ ٩٢ ذكر رضاعه.

٤ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفي: ١/ ٨٣ فصل في شرف نسبه و١ / ١٦٧ الباب ٣.

٥ ـ راجع تاريخ الخميس: ١ / ٥٦ ذكر آدم و٢٣٤ فضائل الرسول ـ إحياء ابويه، والفردوس بمأثور الخطاب: ١ / ٤٢٣ ح ١٧١٩، ولوامع أنوار الكوكب الدري: ١ / ١٧، والروض الفائق: ١٧٠، وينابيع المودة: ١ / ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧.

لولاك ما خلقت الافلاك

عن سليمان بن عساكر في حديث قدسي: « *لقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا* » [١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: « أنا وأنت من شجرة واحدة ولولانا لم يخلق الله الجنة ولا النار ولا الأنبياء ولا الملائكة » [٢].

* *أقول*: أحاديث « لولاك ما خلقت الافلاك - فلولا محمد صلى الله عليه وآله ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار » ونحوهما، مروي عند الخاصة والعامة بطرق متكثرة [٣].

لولاكم ما استدارت الأكر ولا استنارت شمس ولا قمر

ولا تدلى غصن ولا ثمر ولا تندى ورق ولا خضر

ولا سرى بارق ولا مطر [٤].

---

١ - لوامع أنوار الكوكب الدري: ١ / ١٥.

٢ - بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٤٩ ح ٢٣، والهداية الكبرى: ١٠١.

٣ - الخصائص الكبرى: ١ / ٧ باب خصوصيته بكتب اسمه على العرش، وإلزام الناصب: ١ / ٤٠ الثمرة الخامسة، وعيون أخبار الرضا: ١ / ٢٠٥ باب ٢٦ ح ٢٢، ولوامع أنوار الكوكب الدري: ١ / ١٥، والفتاوى الحديثية: ١٣٤، ومناقب الخوارزمي: ٣١٨، ومقتل الخوارزمي: ١ / ١٥، والفردوس بمأثور الخطاب: ١ / ٧٧ ح ٨٠٣١، وجامع الأحاديث: ١ / ٧٧ ح ٣٦٩، وكنزالعمال: ١١ / ٤٣١ ح ٣٢٠٢٥، وقصص الأنبياء: ٢٥، والمستدرك: ٢ / ٦١٥، وارشاد القلوب: ٢ / ٤١٤، والأنوار النعمانية: ١ / ٢٤٣، وإثبات الوصية: ٧٧.

٤ - مشارق أنوار اليقين: ٢٤٦ - ٢٤٧.

الجمع بين روايات أول الخلق

ـ قال القندوزي : حديث أول ما خلق الله روحي ، وأول ما خلق الله نوري ، وأول ما خلق الله العقل ، وأول ما خلق الله القلم ؛ المراد منها هو الحقيقة المحمدية التي كانت مشهورة بين الكمالين وهي روح نبينا صلى الله عليه وآله [1].

* *أقول* : ويؤيده ما ورد عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « لما خلق الله العرش كتب عليه : لا إله إلّا الله محمد رسول الله به آخذ وبه أعطي » [2].

وفي حديث زاد : « وبهم أعاقب وبهم أُثيب » [3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال آدم : « ما هذه الأشباح يا رب؟

قال الله تعالىٰ : يا آدم هذه الأشباح أشباح أفضل خلائقي وبرياتي: هذا *محمد* وأنا المحمود شققت له اسماً من اسمي ، وهذا *علي* وأنا العلي الاعلى شققت له اسماً من اسمي ، وهذه *فاطمة* وأنا فاطر شققت لها اسماً من اسمي ، وهذا *الحسن* وهذا *الحسين* وأنا المحسن المجمل ومني الاحسان شققت اسميهما من اسمي .

وهولاء خيار خلقي وكرائم بريتي، *بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم*

---

١ ـ ينابيع المودة : ١ / ١٠ الباب الأول .

٢ ـ التدوين في أخبار قزوين : ٣ / ٣٩٣ ـ الفاء في الباء .

٣ – الإنسان الكامل : ١٠٢ عن تفسير الصافي .

أثيب فتوسل الي بهم يا آدم ، وإذا دهتك داهية فاجعلهم لي شفعاء » [١].

وفي الحديث المعروف في خلق العقل أنه به يثيب ويعاقب.

فيكون معنى ما تقدم من روايات «أول ما خلق الله العقل» أنهم هم العقل وهم أول ما خلق الله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « *أنا اللوح أنا القلم أنا العرش أنا الكرسي* » [٢].

وفي رواية : « أنا اللوح المحفوظ وأنا القلم الأعلى » [٣].

وبه تأول أو تفسر روايات: أول ما خلق الله اللوح والقلم والعرش والكرسي، أي أنهم هم أول الخلق.

ـ وقال ابن حجر المكي في شرح الأربعين النووية : إن أولية النور المحمدي أولية مطلقة وأولية ما سواه من الماء والعقل والقلم فنسبية [٤].

ـ وقال القسطلاني : وروى الأسدي بأسانيد متعددة : « إن الله تعالىٰ لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء » فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة الى ما عدا النور النبوي المحمدي [٥].

ـ وقال الميرداماد المعلم الثالث بعد كلام عن العقل ومرتبته : فلذلك كان العقل الأول نور خاتم النبوة [٦].

العقل نور وأنت معناه والكون سر وأنت مبداه

---

١ ـ ينابيع المودة : ١ / ٩٧ ط . اسلامبول و١١٢ ط . النجف.

٢ ـ مشارق أنوار اليقين : ١٥٩، وجامع الاسرار : ٢٠٥ ح ٣٩٤.

٣ ـ جامع الاسرار : ٣٨٣ ح ٧٦٤ ، مشارق أنوار اليقين : ٢٤ و١٥٩ ، والمراقبات : ٢٥٩.

٤ ـ المواهب اللدنية : ١ / ٢٧ المقصد الأول تشريف الله له ـ الهامش ، ونظم المتناثر : ١٨٥ ح ١٩٤، واتحاف ذوي الفضائل : ١٥٨ ح ١٨٠.

٥ ـ المواهب اللدنية : ١ / ٣٨.

٦ ـ نبراس الضياء وتسواء السواء: ١٠٢.

والخلق في جمعهم إذا جمعوا الكل عبد وأنت مولاه [١]
هو أول الأنوار بل هو صفوة الـ جبار والنشر والأريج الفائح
هو سيد الكونين بل هو أشرف الـ ثقلين حقاً والنذير الناصح
لولاك ما خُلق الزمان ولابدت للعالمين مساجد ومصابح [٢].

ـ وقال الحكيم السبزواري شارحاً وجامعاً: كلام في الصادر الأول: اعلم أن الواجب تعالىٰ أحدي الذات واحدي الصفة، وبالجملة واحد من جميع الجهات، وكل من كان كذلك كان أحدي الفعل، فذلك الواحد الذي هو أول صادر عن المبدأ لا يجوز أن يكون عرضاً؛ لاحتياجه الى الموضوع؛ ولا هيولى لاحتياجها الى الصورة في الوجود؛ ولا صورة لافتقارها الى المادة في التشخص ولا جسماً لتركبه.

وقد قلنا أن الصادر الأول يجب أن يكون واحداً بسيطاً [٣].

ولا نفساً لاحتياجها الى البدن في الفعل؛ فبقي ان يكون أول ما خلق الله العقل: فذلك الصادر الأول الواحد من حيث إنه مجردٌ ذاته لذاته لا للمادة، عقلٌ وعاقل ومعقول عبّر عنه: بالعقل، ومن حيث إنه اللب والباطن للعالم عبر عنه: بالروح، ومن حيث إنه ظاهر بذاته مظهر لغيره مما دونه عبر عنه: بالنور.

ثم من حيث انه روحانية الخاتم ومقامه إضافه الى نفسه في قوله صلى الله عليه وآله: «*أول ما خلق الله روحي أو نوري*».

ومن حيث انه يُنتقش به الأرواح والألواح بالعلوم والصورة عبر عنه

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين: ٢٠٠ و ٢٤٥.
٢ – مشارق أنوار اليقين: ٢٢٧.
٣ ـ في حديث الإمام الرضا: فالخلق الأول من الله الابداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حسن» التوحيد للصدوق: ٤٣٦ باب ذكر مجلس الرضا.

بالقلم . كما قال صلى الله عليه وآله أول ما خلق الله القلم، وقال تعالىٰ : ﴿ ن والقلم وما يسطرون،﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ علم بالقلم ﴾ .

وغير ذلك من التعبيرات : « كالأمر والمشية والكلمة التامة والدرة البيضاء والجوهرة التي نظر الحق تعالىٰ إليها بعين الهيبة ونحوها » .

ـ وفي الهامش قال السبزواري أيضاً : فعبر عنه بالأمر لاستهلاك الماهية فيه فكان « كن » ولا يكون فيه « يكون » ولأنه يوجد بمجرد أمر الله ؛ إذ يكفيه مجرد الامكان الذاتي من دون الاحتياج الى استعدادي وحامله، وبالمشية لأنه محض العشق بالله وصورة عشق الله وحبه ومشيته، وبالكلمة لأنه المعرب عن الضمير والغيب المكنون والسرّ المصون، وبالدرة البيضاء لاستهلاك ماهيته وتلونه، والنظر بعين الهيبة : المراد به مقهوريته تحت قاهرية نور الواحد القهار، وباهرية نورِه نورَه»[١] .

ـ وقال : اعلم أيدنا الله وإياك ان جميع الأنبياء من آدم الى عيسى عليهم السلام مظهرٌ من مظاهر خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله ، وجميع الأوصياء والأولياء مظهرٌ من مظاهر سيد الأولياء علي عليه السلام ، لقوله صلى الله عليه وآله : « *بعث علي مع كل نبي سراً وبعث معي جهراً* »[٢] .

ـ وقال صاحب كتاب غوالي اللآلي بعد كلام حول العقل وانه أول المخلوقات وشرح إدباره وإقباله وأنه به يثيب ويعاقب :

فيمكن ان يكون المراد بالعقل نور النبي صلى الله عليه وآله .

ثم أخذ بالاستدلال له الى أن قال : وبهذا التحقيق يمكن الجمع بين ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله : « أول ما خلق الله نوري » وبين ما روي : « أول ما خلق الله العقل »

---

١ ـ شرح دعاء الجوشن : ٦٧٩ ـ ٦٨٠ .

٢ ـ شرح دعاء الجوشن : ١٠٤ ، والمراقبات : ٢٥٩ .

وما روي : « أول ما خلق الله النور » . ان صحت اسانيدها [١] .

وقال : فيمكن أن يكون المراد بالعقل نور النبي صلى الله عليه وآله الذي انشعبت منه أنوار الأئمة صلوات الله عليهم ، لأن أكثر ما اثبتوه لهذه العقول قد ثبت لأرواح النبي والأئمة عليهم السلام في أخبارنا المتواترة على وجه آخر، فانهم اثبتوا القدم للعقل ، وقد ثبت التقدم في الخلق لأرواحهم على جميع المخلوقات أو على سائر الروحانيين في أخبار متواترة .

وأيضاً أثبتوا لهم التوسط في الايجاد أو الاشتراط في التأثير، وقد ثبت في الأخبار كونهم عليهم السلام علة غائية لجميع المخلوقات ، وانه لولاهم لما خلق الله الافلاك وغيرها .

وأثبتوا لها كونها وسائط في إفاضة العلوم والمعارف على النفوس والأرواح، وقد ثبت في الأخبار ان جميع العلوم والحقائق والمعارف بتوسطهم يفيض على سائر الخلق حتى الملائكة والأنبياء ... فكلما يكون التوسل بهم والاذعان لفضيلتهم أكثر كان فيضان الكمالات من الله تعالىٰ أكثر [٢] .

أقول : مراده بصحة الاسانيد ما ذكره سابقاً ان روايات كون العقل أول الخلق غير معتبرة مأخوذة من روايات العامة [٣] .

ولصدر المتألهين كلامٌ مشابه يستدل فيه أن العقل هو رسول الله صلى الله عليه وآله [٤] .

ـ*وقال الحاتمي* في الفتوحات : *إن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح سيدنا محمد* صلى الله عليه وآله ، *إذ هو قطب الاقطاب فهو ممد لجميع الناس أولاً واخراً ، فهو*

---

١ ـ عوالم العلوم والمعارف : ٤٩ ـ ٥٠ـ ٥١ قسم العقل .

٢ – عوالم العلوم والمعارف : ٤٩ ـ ٥٠ قسم العقل .

٣ ـ عوالم العلوم والمعارف : ٤٩ .

٤ ـ تفسير صدر المتألهين : ٤ / ١٣٤ .

محمد كل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه في الغيب ، فإن أنوار رسالته غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين، فكل نبي تقدم على زمان ظهوره فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة [١].

ـ وقال الشيخ ابن عثمان الفرغاني: لم يكن داع حقيقي من الابتداء الى الانتهاء إلا هذه الحقيقة الأحمدية صلى الله عليه وآله ، التي هي أصل جميع الأنبياء ، وهم كالأجزاء والتفاصيل لحقيقته ، فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن خلافة في كل بعض أجزائه ، وكانت دعوته دعوة الكل لجميع اجزائه ، والاشارة الى ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلناك إلّا كافة للناس** ﴾ [٢] والأنبياء والرسل جميعاً أممهم وجميع المتقدمين والمتأخرين داخلون في كافة الناس ، وكان هو داعياً بالأصالة وجميع الأنبياء والرسل يدعون الخلق الى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وآله ، وكانوا خلفاءه ونوابه في الدعوة [٣].

ـ*أقول* : كلامهم مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله : « ***ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ، ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم*** » [٤].

وسوف تأتي أحاديث عرض ولايتهم على الأنبياء عليهم السلام .

ـ وقال السيد المتتبع نعمة الله الجزائري : واما الأخبار بأولية « النور ونوري وروحي » فهي واحدة ، وهي عبارة عن نور النبي صلى الله عليه وآله ، وهو أول مخلوق على الاولية الحقيقية ليس فيه للاضافة مدخل بوجه من الوجوه [٥].

---

١ ـ لوامع أنوار الكوكب الدري : ٢ / ٢١٠ ـ ٢١١ .

٢ – سبأ: ٢٨ .

٣ ـ لوامع أنوار الكوكب الدري : ٢ / ٢١١ .

٤ ـ بصائر الدرجات : ٧٣ باب ما حض به الأئمة ح ٧ .

٥ ـ الأنوار النعمانية : ١ / ١٤ .

ـ وقال السيد حيدر الآملي: هذه المراتب أسماء صادقة عليها على سبيل الترادف كاسم العقل والقلم والنور على حقيقة واحدة ، التي هي حقيقة الإنسان الكبير مثلاً بما ورد في الخبر الصحيح : « أول ما خلق الله العقل ، وأول ما خلق الله القلم وأول ما خلق الله نوري »[1] .

وقال الحافظ البرسي: إذا استقرينا الموجودات ، فإنها تنتهي الى النقطة الواحدة التي هي صفة الذات وعلة الموجودات ، ولها في التسمية عبارات ؛ فهي العقل من قوله صلى الله عليه وآله « أول ما خلق الله العقل » .

وهي الحضرة المحمدية من قوله صلى الله عليه وآله : « أول ما خلق الله نوري » .

ومن حيث إنها أول الموجودات صادرة عن الله تعالىٰ بغير واسطة سميت العقل الأول ، ومن حيث إن الأشياء تجد منه قوة التعقيل سمي العقل الفعال، ومن حيث إن العقل فاض منه الى جميع الموجودات فادركت به حقائق الأشياء سمي عقل الكل .

فعلم بواضح البرهان أن الحضرة المحمدية صلى الله عليه وآله هي نقطة النور وأول الظهور، وحقيقة الكائنات ، ومبدأ الموجودات وقطب الدائرات ، فظاهرها صفة الله ، وباطنها غيب الله ، فهي ظاهر الإسم الأعظم ، وصورة سائر العالم ، وعليها مدار من كفر وأسلم[2] .

---

١ ـ اسرار الشريعة واطوار الطريقة : ٦ ، وجامع الاسراء : ٣٤٧ ح ٦٩٠ .

٢ ـ مشارق أنوار اليقين : ٣٠ .

أسماء آل محمد عليهم السلام على العرش وفي الجنة

ومما يشير الى وجود الكتلة النورانية من آل محمد صلوات الله عليهم قبل الخلق ما ورد أن أسمهم كان على العرش وفي الجنة وعلى جناح جبرائيل.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاء فيه: «*وتمام اسمي واسم أخي علي وابنتي فاطمة وابنيّ الحسن والحسين مكتوبة على سرادق العرش بالنور*» [١].

وعن أبي الحمراء قال: قال رسول الله: «لما أُسري بي الى السماء إذ على العرش مكتوب: لا إله إلّا الله محمد رسول الله أيدته بعلي» [٢].

وأخرجه ابن عساكر وغيره بلفظ: «على ساق العرش محمد صفوتي أيدته بعلي ونصرته» [٣].

وعن عبد الله بن مسعود: «تحت العرش مكتوب لا إله إلّا الله محمد رسول الله نبي الرحمة علي مفتاح الجنة» [٤].

---

١ - الهداية الكبرى: ١٠١ الباب الثاني.

٢ ـ الشفا: ١ / ١٧٤ الباب الثالث، وتاريخ الخميس: ١ / ٣١٣.

٣ ـ تاريخ دمشق: ١٦ / ٤٥٦ ترجمة الخطاب الدمشقي رقم ١٩٨٩، والرياض النضرة: ٣ / ١٣١، ومجمع الزوائد: ٩ / ١٢١، والبغية ١٦١ ح ١٤٧٠٢، والمعجم الكبير: ٢٢ / ٢٠٠، وكنز العمال: ١١ / ٦٢٤ ح ٣٣٠٤٢ ـ ٣٣٠٤٠، وحلية الأولياء: ٣ / ٢٧.

٤ ـ بشارة المصطفى: ٦٨.

وفي الأربعين: « تحت العرش : علي مفتاح الرحمة »[١].

وعن عبد الله بن مسعود: « مكتوب على العرش : علي مقيم حجة »[٢].

وقال صلى الله عليه وآله : « ليلة أُسري بي الى السماء لم أجد باباً ولا حجاباً ولا شجرة ولا ورقة ولا ثمرة إلّا وعليها مكتوب : علي علي ، وإن اسم علي مكتوب على كل شيء»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله : « لما انتهيت الى سدرة المنتهى وجدت عليها مكتوباً أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي ، محمد صفوتي من خلقي أيدته بوزيره علي ونصرته به »[٤].

وقال صلى الله عليه وآله : « اسم علي على كل حجاب في الجنة »[٥].

وأخرج الديلمي والطبراني وغيرهما عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «مكتوب على باب الجنة : لا إله إلّا الله ، محمد رسول الله ، علي أخو رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام »[٦].

---

١ ـ الأربعين : ٥٨ .

٢ ـ ارشاد القلوب : ٢ / ٢٥٧ ـ ٢١٠ ، ومائة منقبة : ١١٠ ، وكشف اليقين : ٢٦ ح ٥ ، وينابيع المودة: ١ / ١١ ـ ٢١ .

٣ ـ مشارق أنوار اليقين : ١٤٩ .

٤ ـ مشارق أنوار اليقين : ١١٩ .

٥ ـ الأنور النعمانية : ١ / ٢٤ .

٦ ـ مجمع الزوائد : ٩ / ١١١ ، وبغية الرائد تحقيق مجمع الزوائد ١٤٣ ح ١٤٦٥٦، والمعجم الاوسط للطبراني : ٦/ ٢٣٤ ح ٥٤٩٤، وكتاب الأربعين للخزاعي : ٤٧ ـ ٥٨ ، وجواهر المطالب : ١ / ٧٢ ـ ٩٢ ، وفرائد السمطين : ٢ / ٧٤ ، والفردوس بمأثور الخطاب للديلمي : ٤ / ١٢٣ ح ٦٣٨٠ و: ٢ / ٢٥٧ ح ٣١٩٥ ، والحاوي للفتاوى : ١٠٤ ، والكامل لابن عدي : ٦ / ٨٣ ح ١٦١٦ ، ونزهة المجالس : ٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، والرياض النضرة : ٣ / ١٢٥ ، وفرائد السمطين : ١ / ٢٣٩ ح ٤٧ ، وكشف الغمة : ١ / ٣٣٩، والذخائر المحمدية : ٦٦ ، وكنزالعمال: ١١ / ٦٢٤ ح ٣٣٠٤٣ ، ومقتل الخوارزمي : ١ / ٣٨ ، ومناقب الخوارزمي : ٣٠٢ ، وكنزالعمال : ١٣ / ١٣٨ ح ٣٦٤٣٥ .

واخرجه القرشي بلفظ : « على باب الجنة : علي ولي الله ، فاطمة أمة الله ، الحسن والحسين صفوة الله » [١] .

والبغدادي بلفظ : « علي حب الله فاطمة خيرة الله » [٢] .

والطبراني بلفظ : « على باب الجنة .... أيدته بعلي ونصرته » [٣] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله على جناح جبرائيل: « لا إله إلّا الله محمد النبي ، وعلى الآخر مكتوب : لا إله إلّا الله علي الوصي » [٤] .

وللإمام الصادق عليه السلام حديث يذكر فيه أن أسماءهم على كل شيء [٥] .

١ ـ مسند شمس الأخبار : ١ / ١٢١ باب ١٣ ، وكشف اليقين : ٤٤٩ ح ٥٥١ .

٢ ـ تاريخ بغداد : ١ / ٢٧٤ و ٧ / ٣٩٨ ، والفضائل الخمسة : ٢ / ١٩٦ .

٣ ـ المعجم الكبير : ٢٢ / ٢٠٠ .

٤ ـ مقتل الحسين للخوارزمي : ١ / ٣٨ ، ومناقبه : ١٤٨ ، وكشف اللغمة : ١ / ٢٩٧ ، وكشف اليقين : ٢٦ ح ٧ .

٥ – الأنوار النعمانية : ١ / ١٦٩ .

طينة آل محمد عليهم السلام في عالم الذر والميثاق

** كيفية خلق طينة آل محمد عليهم السلام*

قال الإمام الباقر عليه السلام : « إن الله تبارك وتعالىٰ حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً، وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان ، فأخذ طيناً من اديم الأرض فعركه عركاً شديداً فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون : الى الجنة بسلام .

وقال لأصحاب الشمال وهم يدبون : الى النار ولا أبالي ، ثم قال : ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين .

ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال : ألست بربكم، ثم قال : وأن هذا محمد رسول الله ، وأن هذا علي أمير المؤمنين؟

قالوا : بلى ، فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم إني ربكم ومحمد رسول الله وعلي أميرالمؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي ، وأن المهدي انتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي، وأعبد به طوعاً وكرها؟

قالوا : أقررنا وشهدنا يا رب » [1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « إن الله خلق محمداً وطينته من جوهرة تحت العرش ، وانه كان لطينته نضح فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان لطينة أمير المؤمنين نضح ، فجبل طينتنا من فضل طينة

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٧٩ باب تفضيلهم على الأنبياء ، وأصول الكافي : ٢ / ٨ ح ١ .

أمير المؤمنين عليه السلام »[١].

وعنه عليه السلام : « إن الله خلق محمداً صلى الله عليه وآله وعترته في طينة العرش ، فلا ينقص منهم واحد ولا يزيد منهم واحد »[٢].

وعن عبد الرحمٰن بن الحجاج قال : « إن الله تبارك وتعالىٰ خلق محمداً وآل محمد من طينة عليين ، وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك »[٣].

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيه : « فلما أراد ان يخلق الخلق نشرهم بين يديه فقال لهم من ربكم؟

فكان أول من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم فقالوا: أنت ربنا فحمّلهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي وهم المسؤلون »[٤].

---

١ ـ بصائر الدرجات : ١٤ باب خلق أبدان الأئمة وقلوبهم ح ١ .

٢ ـ بصائر الدرجات : ١٧ ح ١٢ .

٣ ـ بصائر الدرجات : ١٨ ح ١٤ ، والأنوار النعمانية : ١ / ٢٩٠ .

٤ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٧٧ باب تفضيلهم على الأنبياء ح ١٩ .

حقيقة الذر

هل خلْق عالم الذر وأخذ الميثاق هو أمر واقعي أم أمر افتراضي؟

وهل هو خلْق للأبدان والأرواح معاً أم هو فقط خلق للأرواح؟

مما تقدم يعلم أن الذر أمر واقعي تواترت عليه الروايات خلافاً لما يُنسب للبعض [١].

وانه يرى الإنسان الناس في ذلك العالم أبداناً وأرواحاً ينطقون ويتكلمون.

وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام جاء فيه: « فقال موسى يا رب ليتني كنت أراهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى إنك لن تراهم فليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنان.. افتحب ان اسمعك كلامهم؟

فقال: نعم إلهي.

قال الله جل جلاله: قم بين يدي واشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل.

ففعل ذلك موسى فنادى ربنا عزّ وجلّ: يا أمة محمد، فأجابوا كلهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أُمهاتهم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك » [٢].

---

١ - الأنوار النعمانية: ١ / ٢٩٣.

٢ - بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ح ١٧.

فهذا صريح في سماع موسى لأصوات أُمة النبي ﷺ وسماع الصوت دليل على الوجود الواقعي لا الافتراضي .

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام : « فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يسعى » [١] .

وعنه عليه السلام عند ما سئل كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال : « جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه » [٢] .

لعله إشارة الى خلق اللسان في الإنسان فهو دليل النطق .

وعن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل عن آدم جاء فيه فقال : « يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض ، وبعضهم له نور كثير ، وبعضهم له نور قليل ، وبعضهم ليس له نور؟ [٣] .

وعن الإمام الحسين عليه السلام : إن الأصبغ بن نباتة قرأ على علي عليه السلام : ﴿ وإذ أخذ **ربك من بني آدم من ظهورهم ...**﴾ الآية ـ قال فبكى علي عليه السلام وقال : « إني لأذكر الوقت الذي أخذ الله تعالىٰ علي فيه الميثاق » [٤] .

فهذه الروايات وأشباهها تدل على أنهم ليس مجرد أرواح بل أبدان من نور تنطق فيسمع صوتها .

---

١ ـ أصول الكافي : ٢ / ١١ ح ٢ باب انه أول من اجاب واقر لله بالربوبية .

٢ ـ أصول الكافي : ٢ / ١٢ ح ٣ .

٣ ـ الكافي : ٢ / ٩ ح ٢ أبواب طينة المؤمن .

٤ ـ مناقب ابن المغازلي : ١٧٥ ط . الحياة ، وط . طهران: ٢٧٢ ح ٣١٩ .

الترتب في خلق النور ثم الروح ثم البدن

اعلم وفقنا الله وإياك ، ان بعض هذه الأحاديث تشير الى خلق أبدان الأئمة وبعضها الى خلق نورهم عليهم السلام ، وأنهم أول من نطق في عالم الذر وأخذ الميثاق .

وكأن الله خلق أول الخلق آل محمد عليهم السلام فوضعهم حول عرشه كأشباح يشع منهم النور -كما تقدم- وتكون الأشباح غير الأبدان التي خلقهم بها في عالم الذر .

وعندها لا يشكل علينا كون الأحاديث المتقدمة فيها ان الله خلق الماء والعرش قبل آل محمد ، لأنا نقول هذه مرحلة خلق الأبدان بعد ان انتهت مرحلة خلق الأنوار والأشباح لآل محمد عليهم السلام .

ويكون الله تعالىٰ خلق أبدان الأئمة أيضاً أول شيء ، ثم خلق بقية الأبدان ، وهذا دليل أيضاً على أن أول الخلق كأبدان هو خلق أبدان الأئمة؛ كما أن أنوارهم أول الأنوار في الخلق ، وكما أن أرواحهم أول الأرواح في ابتداء الخلق .

وهل كان خلق الأنوار والأشباح قبل خلق أرواحهم أم العكس؟

المظنون به كما تشير إليه بعض الروايات المتقدمة -ان خلق الأرواح أولاً ، بل قال صدر المتألهين في العرشية أنه من ضروريات المذهب [1] ؛ ذلك أن روايات عالم الأنوار كانت تقول أنهم أنوار حول العرش يسبحون الله ويقدسونه.

---

١ - كتاب العرشية : ٢٣ .

وهذا يدل على وجود الروح في تلك الأنوار والأشباح ، وإلّا لما صدق التسبيح والتقديس ، إضافة الى بعض الروايات التي تقول أنهم علّموا الملائكة التسبيح والتقديس ، فلا محال الروح القدسية لآل محمد كانت موجودة في ذلك الوقت .

هذا وسوف يأتي في رواية لأمير المؤمنين عليه السلام : « *إن الله خلقهم نوراً ، ثم روحاً ، ثم بدناً قبل كل شيء* » [1].

نعم في مرحلة عالم الذر وأخذ الميثاق ، والذي هو بعد عالم الأنوار والأشباح ـ من المقطوع به أن أرواحهم كانت موجودة في أبدانهم وبها نطقوا بالعبودية لله تعالى، وهذا أمر واضح .

١ ـ راجع بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٩١ ح ٥١ .

مما خلقت طينة آل محمد صلى الله عليه وآله

نعم تبقى مسألة أن طينة آل محمد مما خلقت؟ هل من الماء أو الجوهرة أو من العرش أو من طينة عليين؟

وعلى الجميع يوجد روايات وكلها احتمالات.

والصحيح أنها جميعاً للتسهيل على السائل والمستمع، ذلك ان الالتزام بأن طينتهم خلقت من الماء أو العرش فيه تفضيل الماء والعرش على آل محمد لأنهم منها.

خاصة بملاحظة ان أنوار وأشباح آل محمد خلقت قبل الماء والعرش كما تقدم، فلا حاجة لخلق طينتهم من شيء مفضول لاحق على خلقهم، فكما ان الله أوجد أنوارهم وأشباحهم بقدرته ولطفه، فكذلك يُوجِد أبدانهم في عالم الذر والميثاق من نوره الأعظم كما تقدم، سبحان الذي يقول للشيء كن فيكن.

لذا في رواية عبد الرحمن المتقدمة فرّق بين خلق آل محمد وبين خلق قلوبهم.

إلّا أن يراد به الروح، وعندها يشكل خلق الروح من الطينة لأن الروح أمر بعيد عن الماديات.

* *أقول*: للعلامة الطباطبائي بيان واسع في عالم الميثاق والذر وكيفية أخذه مفصّل في تفسيره، وكذلك العلامة نعمة الله الجزائري فليراجع ذلك [1].

---

١ ـ تفسير الميزان: ٨ / ٣٠٦ الى ٣٣١، سورة الأعراف: ١٧٢، والأنوار النعمانية: ١ / ٢٩٣.

عرض ولاية آل محمد عليهم السلام على الأنبياء في عالم الذر

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم﴾ الآية، قال: « كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوة، ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامة »[١].

وفي حديث قدسي: « وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي؛ أخذت مواثيقهم لي بالربوبية، ولك يا محمد بالنبوة، ولعلي بن أبي طالب بالولاية »[٢].

وعنه عليه السلام: في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾ قال: « التوحيد، ومحمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين عليه السلام »[٣].

وعن أبي الحسن قال: « ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله نبياً إلّا بنبوة محمد ووصيه علي صلوات الله عليهما »[٤].

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « يا علي ما بعث الله نبياً إلّا وقد دعاه الى ولايتك »[٥].

وعن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٦٨ ح ٢.

٢ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٧٢ ح ١١.

٣ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٧٧ ح ١٨.

٤ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٨٠ ح ٢٤، وبصائر الدرجات: ٧٢ باب ٨.

٥ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٨٠ ح ٢٥.

عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم »[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلّا بها »[٢].

ونحوه عن الإمام الصادق[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « يا مفضل والله ما استوجب آدم ان يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلّا بولاية علي عليه السلام وما كلم الله موسى تكليماً إلّا بولاية علي عليه السلام ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلّا بالخضوع لعلي عليه السلام ، ثم قال : « *أُجمل الأمر، ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلّا بالعبودية لنا* »[٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الإسراء: « يا محمد سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا.

فقلت : معاشر الرسل والنبيين على ما بعثكم الله قبلي؟

قالوا : *على ولايتك يا محمد وولاية علي بن أبي طالب* »[٥].

وقال صلى الله عليه وآله : « أمرني الله أن أوصي ، فقلت : الى من يا رب؟

قال : أوصي يا محمد الى ابن عمك علي بن أبي طالب فإني قد اثبته في الكتب السابقة ، وكتبت فيها أنه وصيك، وعلى هذا أخذت ميثاق الخلايق ومواثيق أنبيائي ورسلي أخذت مواثيقهم بالربوبية ولك يا محمد بالنبوة ولعلي بن أبي طالب بالوصية»[٦].

وعن سليم عن المقداد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما تنبأ نبي إلّا بمعرفته

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٨١ ، وبصائر الدرجات : ٧٣ و ٧٥ ح ٧.

٢ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٨١ ، وبصائر الدرجات : ٧٣ و ٧٥ ح ٧.

٣ ـ بصائر الدرجات : ٧٥ ح ٩.

٤ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٩٤ ح ٥٦ عن الاختصاص : ٢٥٠ .

٥ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٣٠٧ ح ٧٠ ، وكشف اليقين : ٢٥ ح ٤ ، ومناقب الخوارزمي : ٢٢١ فصل ٩.

٦ ـ بشارة المصطفى : ٣٩ ح ٦٦ ، والأنوار النعمانية : ١ / ٢٧٧ ـ ٢٨٢ .

(علي) والإقرار لنا بالولاية ، ولا استأهل خلق من الله النظر إليه إلّا بـالعبودية له والاقرار بعدي »[١] .

وعن أمير المؤمنين عليه‌السلام : « لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلّا أخذ عليه العهد في محمد ؛ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه »[٢] .

وعن الإمام الحسين عليه‌السلام : إن الأصبغ بن نباتة قرأ على علي عليه‌السلام : ﴿ وإذ **أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ...**﴾ الآية ـ قال فبكى علي عليه‌السلام وقال : « إني لأذكر الوقت الذي أخذ الله تعالىٰ علي فيه الميثاق »[٣] .

وعن الإمام الباقر عليه‌السلام : « فأخذ الميثاق منهم [من السمٰوات والأرض وكل خلق] له بالربوبية ولمحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله بالنبوة ولعلي بالولاية ... »[٤] .

وعن أبي سلمى عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في حديث قدسي: « يـا مـحمد إنـي خلقتك وعلياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من شبح نـور مـن نوري ، وعرضت ولايتكم على أهل السموات وأهل الأرضين ، فمن قَبِلَها كـان عندي من المؤمنين ، ومن جحدها كان عندي من الكافرين »[٥] .

وقال صادق أهل البيت عليهم‌السلام : « *إن ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبي قط إلّا بها ، إن الله عزّ اسمه عرض ولايتنا على السموات والأرض والجبال والأمصار* »[٦] .

وعن الإمام زين العابدين عليه‌السلام في كلام حوت يونس معه : « يا سيدى إن الله لم يبعث نبياً من آدم الى أن صار جدك محمداً صلى‌الله‌عليه‌وآله إلّا وقد عرض عليه

---

١ ـ كتاب سليم بن قيس : ٢٤٨ .

٢ ـ الأنوار المحمدية : ١١ .

٣ ـ مناقب ابن المغازلي : ١٧٥ ط . الحياة ، وط . طهران: ٢٧٢ ح ٣١٩ .

٤ ـ الاختصاص : ١٢ / ١٢٩ حديث جابر .

٥ ـ مائة منقبة : ٦٥ المنقبة ١٧ .

٦ ـ امالي المفيد : ١٣ / ١٤٢ ح ٩ من المجلس ١٧ .

ولايتكم أهل البيت عليهم السلام » (١).

ومن هذا الباب أخذ ولايتهم في الميثاق على سائر الخلق :

فعن الإمام الباقر عليه السلام : « إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر يوم أخذ الميثاق على الذر والاقرار له بالربوبية ولمحمد بالنبوة ، وعرض الله على محمد أُمته في الطين وهم أظلة ، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم ، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم ، بألفى عام وعرضهم عليه وعرفهم رسول الله وعرفهم علياً ، ونحن نعرفهم في لحن القول » (٢).

وعن زيد بن علي عن أبيه عليه السلام أنه قال : « إن الله تعالىٰ أخذ ميثاق من يحبنا وهم في أصلاب آبائهم ، فلا يقدرون على ترك ولايتنا ؛ لأن الله عزّ وجلّ جبلهم على ذلك » . اخرجه الجعابي (٣).

ونحو هذه الروايات كثير (٤).

---

١ ـ الأنوار النعمانية : ١ / ٢٥ .

٢ ـ بصائر الدرجات : ٨٩ باب أنهم يعرفون ما رأوا في الميثاق .

٣ ـ جواهر العقدين : ٣٣٥ الباب العاشر .

٤ ـ بصائر الدرجات : ٨٩ باب أنهم يعرفون ما رأوا في الميثاق .

تنوير ولائي مرتضوي

جاء حديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله : « *بعث علي مع كل نبي سراً وبعث معي جهراً* »[1].

ورواه الجزائري عن العامة بلفظ : « يا علي ان الله تعالىٰ قال لي : يا محمد بعثت علياً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً » ، ثم قال صاحب كتاب القدسيات : وصرح بهذا المعنى في قوله : *أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدي* ؛ ليعلموا ان باب النبوة قد ختم وباب الولاية قد فتح [2].

أقول : يوجه كلام صاحب كتاب القدسيات : إن باب الولاية كان موجوداً مع كل نبي سراً ، إلّا أنه لم يفتح ظاهراً ، فكان الأنبياء عليهم السلام جميعاً يستفيدون من هذا السرّ الولائي الى أن وصل الى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فظهر هذا السرّ الى العلن .

* ويؤيد ذلك :

١ ـ ما ورد من توسل جميع الأنبياء بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وقد قدمنا نموذجاً منه .

٢ ـ ما روي عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال : « *فنحن السنام الأعظم وفينا النبوة والولاية والكرم ، ونحن منار الهدى والعروة الوثقى ، والأنبياء كانوا يقتبسون*

---

١ ـ شرح دعاء الجوشن : ١٠٤ ، وجامع الاسرار : ٣٨٢ ـ ٤٠١ ح ٧٦٣ ـ ٨٠٤ ، والمراقبات : ٢٥٩ .

٢ ـ الأنوار النعمانية : ١ / ٣٠ .

من أنوارنا ويقتفون آثارنا » [١].

فهذا صريح في أن أنوار محمد وآل محمد عليهم السلام كانت مع كل نبي سرّاً، والكون هنا ليس لمجرده بل ليستفيدوا منه، ويقتفون آثاره وآثار آل محمد التي لا يعرف تفسيرها إلا هم، وإلّاكيف يكون للنور السرّي مع كل نبي أثراً يقتفى ويهتدى به؟!

٣ ـ ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام لمن سأله عن فضله على الأنبياء الذين أعطوا من الفضل الواسع والعناية الإلهية قال:

« والله قد كنت مع إبراهيم في النار؛ وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً، وكنت مع نوح في السفينة فأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلّمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلّمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجبّ فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخّرت له الرياح » [٢].

٤ ـ روى ابن الجوزي والقاضي عياض قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وآله:

وردت نــار الخــليل مكــتتما تجول فيها ولست تــحترق [٣].

يــا بَرْدَ نـار الخـليل يـا سَبَباً لعصمة النار وهي تَـحْتَرِقُ [٤].

٥ ـ قال القسطلاني في المواهب:

سكــن الفــؤاد فــعش هــنيئا يــا جسـد

هــذا النــعيم هــو المــقيم الى الأبــد

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٦٤ باب جوامع مناقبهم ح ٤٩، ومشارق أنوار اليقين: ٤٩.

٢ ـ الأنوار النعمانية: ١ / ٣١.

٣ ـ الوفا باحوال المصطفى: ٢٨ الباب الثاني ـ ح ٩، وينابيع المودة: ١٣ ـ ١٤.

٤ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١٦٧ ـ ١٦٨ الباب الثالث.

روح الوجـود حـياة مـن هـو واجـد

لولاه مـا تـم الوجـود لمـن وجـد

عـيسى وآدم والصـدور جـميعهم

هـم أعـين هـو نـورها لمـا ورد

لو أبـصر الشـيطان طـلعة نـوره

فـي وجـه آدم كـان أول مـن سـجد

أو لو رأى النـمرود نـور جـماله

عـبدالجـليل مـع الخـليل ولا عـند

لكـن جـمال الله جـل فـلا يـرى

إلا بـتخصيص مـن الله الصـمد [١]

٦ـ قال الشيخ محمد حسين الأصفهاني:

طـأطأ كـل الأنـبياء لطـاها ذلك عِـزٌّ عَـزَّ أن يـضاهى

تـقبلت تـربة آدم الصـفي بـيمنه أكـرم بـه مـن خـلف

وسـجدة الأمـلاك لا لغـرته بـل نـور يـاسين بـدا فـي غـرّته

بـه نـجى نـوح مـن الطـوفان بمرسلات اللطف والإحسان [٢]

٧ـ قال الصفوري: لما أُلقي إبراهيم في النار كان نـور مـحمد ﷺ فـي جنبه، وعند الذبح كان النور قد انتقل الى إسماعيل [٣].

٨ـ ما روي أن الإمام الصادق عليه السلام هو الذي أبطل سحر موسى عليه السلام قال: ثم قال عليه السلام: ويلكم أنا الذي أبطلت سحر آبـائكم أيـام مـوسى وأنـا الذي أبـطل

---

١ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٤٤.

٢ - الأنوار القدسية: ٢٠.

٣ - نزهة المجالس: ٢ / ٢٤٥.

سحركم، ثم نادى يرفع صوته قسورة فوثب كل واحد منهم على صاحبه فافترسه في مكانه ووقع أبو جعفر المنصور من سريره وهو يقول: يا أبا عبد الله أقلني فو الله لا عدت إلى مثلها أبداً.

فقال: قد أقلتك.

قال: فرد السباع كما كانت.

قال: هيهات إن رد عصا موسى فستعود السباع [١].

٩ ـ ما عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

« قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا سبع طبقات أعلام الورى بالهداية، فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى وطعناء العدى فينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل ...، فالكليم لبس حلّة الاصطفاء لما شاهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة ... وهذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة وقطرة من بحر الحكمة » [٢].

١٠ ـ ما روي في معنى قوله صلى الله عليه وآله « الله المعطي وأنا القاسم »: جميع ما يخرج من الخزائن الإلهية دنيا وآخرى إنما يخرج على يديه [٣].

١١ ـ حديث أمير المؤمنين عليه السلام: « أنا آدم الأول أنا نوح الأول » [٤].

١٢ ـ وروى صاحب بستان الكرامة أن النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً وعنده جبرائيل فدخل علي عليه السلام فقام له جبرائيل عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أتقوم لهذا الفتى!

---

١ ـ الاختصاص: ٢٤٧.

٢ ـ المراقبات: ٢٤٥.

٣ ـ شرح الشمائل: ٢ / ٢٤٦.

٤ ـ الإنسان الكامل: ١٦٨.

فقال له عليه السلام : نعم إنّه لهُ عليّ حق التعليم .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : كيف ذلك التعليم يا جبرائيل؟

فقال : *لمّا خلقني الله تعالىٰ سألني من أنت وما أسمك ومن أنا وما اسمي ؟ فتحيّرت في الجواب وبقيت ساكتاً ، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلّمني الجواب ، فقال : قل أنت ربّي الجليل واسمك الجليل ، وأنا العبد الذليل واسمي جبرائيل .*

ولهذا قمت له وعظمته » [١].

١٣ ـ وروى الصفوري قول أمير المؤمنين عليه السلام : « *سلوني قبل أن تفقدوني عن علمٍ لا يعرفه جبرائيل وميكائيل »* [٢].

١٤ ـ وقال الشعراوي قلت : « *وبذلك قال سيدي على الخواص سمعته يقول : إن نوحاً عليه السلام أبقىٰ من السفينة لوحاً علىٰ اسم علي بن أبي طالب رفع عليه الى السماء فلم يزل محفوظاً من الغرق حتىٰ رفع عليه »* [٣].

١٥ ـ وقال رسول البشرية محمد صلى الله عليه وآله : « *أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه ، وعَلَّمْتُ خزنة النار وحملة العرش »* [٤].

---

١ - الأنوار النعمانية : ١ / ١٥ .

٢ - نزهة المجالس : ٢ / ١٢٩ ط. التقدم العلمية بمصر ١٣٣٠ هـ، و٢ / ١٤٤ ط. بيروت المكتبة الشعبانية المصورة عن مصر الازهرية ١٣٤٦ هـ.

٣ - الفتوحات الأحمدية لسليمان الجمل : ٩٣ .

٤ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ١ / ١٧٠ الباب الثالث ـ الفصل الأول .

أدلة الولاية المظهرية لآل محمد عليهم السلام

تنبيه

قبل الخوض في سرد الأدلة لابد من التنبه لأمر قد يخفى على البعض، ألا وهو أن ما يأتي من أدلة ليس فيه هذا المصطلح «*ولاية تكوينية أو مظهرية*» حيث أنه لم يكن مستعملاً في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار صلوات المصلين عليهم.

إنما كان المستعمل والدارج هو لفظة: القدرة أو التصرف بالأشياء ونحو ذلك.

وأيضاً ينبغي التنبه على أن زمن الرسول والأئمة عليهم السلام لم يكن زمناً يستطيعون التصريح به في كل ما يعتقدون، أو يمتلكون من تصرف وقدرة.

أمّا زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فلقرب عهدهم بالجاهلية ووجود المنافقين وأهل الكتاب.

واما زمن الأئمة عليهم السلام فهو إما زمن تقية، وإما زمن لا يستطيعون التصريح به لعدم تحمل شيعتهم ذلك، وإما لكي لا يجعلونهم أرباباً من دون الله، وهم مع أنهم لم يصرحوا بحقيقة أمرهم وعلمهم وقدرتهم وولايتهم لأكثر الناس، مع ذلك كله ادعوا لهم الربوبية، وقالوا فيهم ما لا يجوز عليهم، والذين منهم فرقة الغلاة، وسوف يأتي شرح هذا الاجمال في كثير من المطالب الآتية فارتقبه.

دليل الآيات القرآنية

تقدم بعض الآيات الصريحة المحكمة في إثبات الولاية التكوينية أو المظهرية للأنبياء ولغير الأنبياء، فليس من العجيب بوجود آيات تدل على ولاية النبي الأعظم ﷺ التكوينية أو المظهرية والذي يعتبر أفضل الأنبياء على الاطلاق.

ويمكن تصنيف الآيات الى طوائف:

الطائفة الأولى:

إعطاؤهم الروح الأمرية

قال تعالىٰ: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾ [١].

والعمدة في هذه الآية تفسير « *الروح الأمرية* » التي منحها الله تعالىٰ لنبيه ﷺ.

وقد ذكر تعالىٰ الروح والأمر في عدة آيات منها:

﴿ **قل الروح من أمر ربي** ﴾ [٢].

ثم ذكر نماذج لهذا الأمر:

---

١ ـ الشورى: ٥٢.

٢ ـ الاسراء: ٨٥.

﴿ وما أمرنا إلّا واحد كلمح بالبصر ﴾ [١].

﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ ﴿ ولتجري الفلك بأمره ﴾ [٢].

ثم حدد ذلك الأمر بقوله :

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ [٣].

وخلاصة هذه الآيات : أن الله أفاض على نبيه روحاً من أمره ، هذا الأمر الذي لا يخضع للأمور الزمانية والمكانية ، بل هو واحد ، وقد سخر الله لأمره كل شيء : الشمس والقمر والنجوم والفلك والملكوت ، بل كل ما له قابلية أن يقال له : «كن» ، ولا محال سوف يكون .

وبذلك تكون الآية الأولى ظاهرة في إعطاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله روحاً من الأمر ، أو أمراً في الروح ، يملك من خلاله التصرف بالأمور الكونية ، أو لا أقل بالأمثلة المذكورة في الآيات؛ وهو المدعى من إثبات الولاية والتصرف التكويني للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله .

هذا كله بعيداً عن الروايات .

أمّا إذا جئنا الى الروايات التي فسرت لنا هذه الآية ، فإنها تزيد المطمئن اطمئناناً ، وتزيل الشكوك من قلب الشاك .

فعن جابر الجعفي في حديث طويل مع الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه: قلت : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن المقصر؟

قال عليه السلام : « *الذين قصروا في معرفة الأئمة وعن معرفة ما فرض الله عليهم من*

---

١ ـ القمر : ٥٠ .

٢ ـ الأعراف: ٥٤ ـ الروم: ٤٦ .

٣ ـ يٰس: ٨٤.

أمره وروحه ».

قلت : يا سيدي وما معرفة روحه؟

قال عليه السلام : « *إن يعرف كل مَن خصّه الله بالروح فقد فوّض إليه أمره: يخلق بإذنه ويحيى بإذنه ، ويعلم الغير ما في الضمائر ، ويعلم ما كان وما يكون الى يوم القيامة ، وذلك ان هذا الروح من أمر الله تعالىٰ، فمَن خصّه الله تعالىٰ بهذا الروح فهو كامل غير ناقص ، يفعل ما يشاء بإذن الله ، يسير من المشرق الى المغرب في لحظة واحدة ، يعرج به الى السماء وينزل به الى الأرض ، ويفعل ما شاء وأراد* » [١].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾ قال : « منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيه ما صعد الى السماء وإنه لفينا» [٢].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها » .

قلت : جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟

قال : « نعم ، وما دون العرش » [٣].

وفي حديث : « إنما الروح خلق من خلقه ، نصر وتأييد وقوة ، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين » [٤].

وعن مولى الموحدين وإمام المتصرفين علي عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ قال : « وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلّا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتخب ، فمن أعطاه الله هـذا

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ١٤ ـ ١٥ باب نادر في معرفتهم بالنورانية ح ٢ ، وإلزام الناصب : ١ / ٤٢ ، والهداية الكبرى : ٤٣١ .

٢ ـ بصائر الدرجات : ٤٥٧ ح ١٣ باب الروح التي من أمر الله .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٤٥٤ ح ١٣ باب أن روح القدس يتلقاهم .

٤ ـ التوحيد : ١٧١ باب معنى قوله تعالىٰ : ونفخت فيه من روحي) ح ٢ (باب ٢٧) .

الروح فقد أبانه من الناس، وفوض إليه القدرة وأحيىٰ الموتى، وعلم بما كان وما يكون، وسار من المشرق الى المغرب » [١].

وفي حديث آخر فيه: « ولا يعطى هذا الروح إلّا من فوّض إليه الأمر والقدر، وأنا أحيي الموتى، واعلم ما في السموات والأرض » [٢].

وقال عليه السلام: « أنا أمر الله والروح » [٣].

* أقول: سوف يأتي زيادة توضيح عن الروح الأمرية في النحو الثاني من أدلة الولاية التكوينية أو المظهرية في الطائفة الرابعة.

فلسنا هنا في صدد ذكر كل الروايات، إنما أردنا ان نأتي ببعضها لتقوية النفس بما تضمنته الآية الشريفة.

كما ويأتي أن هذه الروايات لا تؤدي للقول بالغلو بآل محمد عليهم السلام، فكن من ذلك على ذكر.

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٥ باب نادر في معرفتهم بالنورانية من كتاب الإمامة ح ١، وإلزام الناصب: ١ / ٣٤.

٢ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٦١.

٣ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٧٠.

الطائفة الثانية :

قدرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

قال تعالى : ﴿ سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ... انه هو السميع البصير ﴾ [١] .

وقال عزّ من قائل : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ [٢] .

وقال عزت الآؤه : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ﴾ [٣] .

في هذا الآيات الشريفة ، وبعد الغض عن مضامينها العالية ؛ فيوضات ربانية على الحقيقة المحمدية ، فقد أعطاه الله قدرة خرق الأمور المادية ، كسقف داره عند الاسراء والمعراج ، كما في الروايات [٤] ، وخرق الأمور المعنوية كحجب النور التي خرقها دون جبرائيل ، حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، بل هو أدنى .

أعطاه الباري عزّ وجلّ قدرة العروج الى الملكوت ، وخوض السحاب والتنقل في مدارج السموات السبع ، ورؤية الأنبياء في عالم الآخرة ، والتكلم معهم، ذلك العالم البعيد عن الزمان والمنزه عن المكان [٥] .

---

١ ـ الاسراء: ١ .

٢ ـ النجم: ١٠ .

٣ ـ الزخرف: ٤٥ .

٤ – راجع الشفا : ١ / ١٨٠ ـ ١٨٥ ـ ١٩١ فصل في الاسراء .

٥ – والمشركون إنما أنكروا الاسراء لاستحالة قطع هذه المسافة بزمن قليل، راجع تاريخ الخميس: ١ / ٣١٥ ذكر قصة المعراج .

أعطاه الحق طي المسافات ، سواء منها الأرضية أم السماوية ، حتى أسرىٰ به الى المسجد الاقصى في أقل من البرهة [١] ، وعرج به الى ملكوت السموات وعرش الرحمٰن ، حتى سمع منه ما سمع ، ورأىٰ ما رأىٰ ، فوصفه الباري عزت الاؤه : ﴿ انه هو السميع البصير ﴾ أصبحت الحقيقة المحمدية بعد هذا العروج تتصف بأنها سميعة بصيرة.

ولعل الشيطان يأتيك عزيز القارىء ليصرف فطرتك وفهمك لآيات الله ليقول: إن الآيات أجنبية عن الولاية التكوينية أو المظهرية وغايتها إثبات العروج لرسول الله صلى الله عليه وآله الى السماء .

ولكنك إذا تأملت أن الإسراء كان من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى بأقل من الزمن ، أدركت انه طيّ للأرض ، وهو تصرفٌ تكويني بشيء خارق للعادة .

وإذا تأملت العروج من البيت المحمدي الى البيت الرباني أدركت أنه طيّ للسماوات السبع ، وخرق للسقف والحجب وكل طبقات السماء ، وهو أيضاً تصرف في أمور تكوينية غير متعارفة لدىٰ الناس [٢] .

كيف؟ وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن فضل النبي محمد صلى الله عليه وآله على النبي سليمان عليه السلام الذي سخر له الريح وأعطي التصرف ببعض الكونيات فقال : ***«إن سليمان كان يقطع الشهرين بيوم واحد ، وأما جدي فقد قطع مسير خمسين ألف سنة بساعة واحدة »*** [٣] .

---

١ - حتى قيل أن الاسراء والمعراج كله استمر ثلاث ساعات ، راجع تاريخ الخميس: ١ / ٣١٥ ذكر قصة المعراج .

٢ - وروي أن جبرائيل تخلف عند السدرة كما يأتي ، بل حتى البراق فارقه قبل العرش راجع تاريخ الخميس : ١ / ٣١١ ذكر قصة المعراج .

٣ - الأنوار النعمانية : ١ / ٢١٤ .

وعن علي بن الحسين عليه السلام في حديث جاء فيه: ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ قال: « ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات، ثم تدلى فنظر من تحته الى ملكوت الأرض، حتى ظن انه في القرب من الأرض، كقاب قوسين أو أدنى »[١].

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في الآية: « انقطعت الكيفية عن الدنو: ألا ترى كيف حجب جبرائيل عن دنوه، ودنا محمد الى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان، فتدلى بسكون قلبه الى ما أدناه، وزال عن قلبه الشك والارتياب»[٢].

وعنه عليه السلام قال: «وذلك أنّه يعني النبي صلى الله عليه وآله أقرب الخلق إلى الله تعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرائيل لما أُسري به إلى السماء: تقدّم يا محمّد فقد وطأت موطئاً لم يطأه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، *ولولا أن روحه ونفسه كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه*، وكان من الله عزوجل كما قال الله عزوجل ﴿قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ أي: بل أدنىٰ»[٣].

وقال النبي لجبرائيل صلى الله عليه وآله: «في هذا الموضع تفارقني».

فقال جبرائيل: لو دنوت أنملة لاحترقت[٤].

وفي رواية: «يا جبرائيل لما تخلفت عني؟

قال: *وما منا إلّا له مقام معلوم، لو دنوت انملة لاحترقت، وفي هذه الليلة*

---

١ ـ تفسير الميزان: ١٣ / ١٩ ـ ٢٠ ـ الاسراء: ١.

٢ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ٢٠٥ فصل في قوله: فأوحى الى عبده.

٣ ـ تفسير الميزان: ١٩ / ٣٣ مورد الآية.

٤ ـ راجع تفسير الميزان: ١٩ / ٣٥، وتفسير نور الثقلين: ٥ / ١٥٥، وعيون الأخبار: ١ / ٢٠٥ باب ٢٦ ح٢٢، وينابيع المودة: ٢ / ٥٨٣، وكمال الدين: ١ / ٢٥٥ وبحار الأنوار: ٢٦ / ٣٣٧، وتاريخ الخميس: ١ / ٣١١ ذكر المعراج.

بسبب احترامك وصلت الى هذا المقام، وإلّا فمقامي المعهود عند السدرة» [١].

وفي رواية أُخرى قال له: *«تقدّم أمامك فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك»* [٢].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام في قوله تعالىٰ ﴿ دنا فتدلّى ﴾ قال: «ذاك رسول الله دنىٰ من حجب النور» [٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿ ثم دنا فتدلّى . . .فأوحى إلى عبده ما أوحىٰ﴾ قال: *«فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه وفتحه فنظر إليه فإذا فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم، ثم طوى الصحيفة فأمسكها بيمينه وفتح صحيفة أصحاب الشمال فإذا فيها أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم نزل معه الصحيفتان فدفعهما الى علي»* [٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «حتى انتهى إلى ساق العرش فدنى بالعلم فتدلّى» [٥].

وعن الحسن قال: «دنا من عبده محمّد صلى الله عليه وآله فتدلّى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته» [٦].

قال القاضي عياض: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله، فليس بدنو مكان ولا قرب مدى، بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمّد الصادق ليس بدنو حدٍّ، وإنّما دنو النبي صلى الله عليه وآله من ربّه وقربه منه، أبانه عظيم

---

١ ـ تاريخ الخميس: ١ / ٣١١ ذكر قصة المعراج.

٢ ـ تفسير الميزان: ١٩ / ٣٣، ٣٥، مورد الآية، ونور الثقلين: ٥ / ١٥١ مورد الآية.

٣ ـ الدر المنثور: ٥ / ١٤٨، ١٤٩ مورد الآية.

٤ ـ نور الثقلين: ٥ / ١٥٠ ح ٢٥ مورد الآية.

٥ ـ تفسير نور الثقلين: ٥ / ١٥٠ ـ ١٥١ مورد الآية.

٦ ـ الشفا: ١ / ٢٠٤.

منزلته وتشريف رتبته ، واشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ، ومن الله تعالىٰ مَبَرَّةٌ وتأنيسٌ وبسطٌ وإكرامٌ [١].

وفي رواية عن رسول الله ﷺ قال : « *فسمع النداء يقول : ادن يا محمّد فدنا، فقطرت عليه من العرش قطرة ما أخطأت فمه، فوقعت على لسانه فكانت أحلى من كل شيء ، فأراه الله بها علم الأوّلين والآخرين* » [٢].

ويشير إليه ما روي عن ابن عباس ضمن حديث طويل عن رسول الله قال ﷺ : «.. ﴿ **ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ قال : وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها بين ثديي فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى . . . وعلمني القرآن *فكان جبرائيل* عليه السلام *يذكرني به* » [٣].

---

١ ـ تاريخ الخميس : ١ / ٣١٣ ، والشفا : ١ / ٢٠٢ .

٢ ـ تاريخ الخميس : ١ / ٣١٣ قصة المعراج .

٣ ـ المواهب اللدنية : ٢ / ٣٨١ ـ ٣٨٢ بحث الاسراء والمعراج ـ الربع الاخير منه ، وسوف يأتي الحديث بتمامه ، ولوامع أنوار الكوكب الدري : ١ / ١١٨ .

الطائفة الثالثة:

تصرف النبي الأعظم بالأمور الداخلية للإنسان

قال تعالى في حق نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ﴾ [1].

وقال: ﴿ إن تطيعوه تهتدوا ﴾ [2].

وقال: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ [3].

مما لا شك فيه ان صاحب الولاية على التوفيقيات وعلى الميول والتحولات الداخلية للإنسان هو الله عزت آلاؤه. فهو الذي يؤثر ويتصرف بقلب الإنسان، يجذبه للطاعة والهداية، وما الى ذلك من الأمور التكوينية الداخلية في الإنسان.

ونجد ان الله عزّ وجلّ قد أعطى نبيه وأهل بيته عليهم السلام هذا الحق فكانوا صلوات الله عليهم يستطيعون التصرف بالتوفيقيات والميول الداخلي للإنسان، ولذا كانت الهداية منحصرة فيهم لما منحهم الله من القدرة على التصرف في أسبابها.

« *بلية الناس عظيمة ان دعوناهم لم يجيبونا وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا* »[4].

---

١ ـ الطلاق: ١٢.

٢ ـ النور: ٥٤.

٣ ـ الأنبياء: ٧٣.

٤ ـ امالي الصدوق: ٣٦٣، وبحار الأنوار: ٢٣ / ٩٩.

والروايات في انحصار الهداية واخراج الناس من الظلمات الى النور بأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله كثيرة .

ومن هذا الباب الادعية التي كان الأئمة يدعون بها لشيعتهم بالهداية ، ودعاؤهم مستجاب .

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدونا بأمرنا** ﴾ قال: «نزلت في ولد فاطمة خاصة » .

وله ألفاظ أُخرى [١] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه لعلي وفاطمة : « وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة ، واجعل في ذريتهما البركة ، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك الى طاعتك ، ويأمران بما يرضيك » [٢] .

قال العلامة الطباطبائي في تفسير قوله : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدونا بأمرنا**﴾:

(ولا تنفك النبوة عن الهداية ، بمعنى إرادة الطريق ، فلا يبقى للإمامة إلّا الهداية، بمعنى الإيصال الى المطلوب ، وهي نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمل ، ونقلها من موقف معنوي الى الموقف آخر ، وإذا كانت تصرفاً تكوينياً وعملاً باطنياً فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ، ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري ، بل ما يفسره في قوله : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون**﴾ فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي بها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ، ويتلبسون بها رحمة من ربهم .

وإذا كان الإمام عليه السلام يهدي بالأمر ـ والباء للسببية أو الآلة ـ فهو متلبس به أولاً ، ومنه ينتشر في الناس على اختلاف مقاماتهم ، فالإمام هو الرابط بين

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٤ / ١٥٨ ـ ١٥٧ ح ١٥ وما بعده .

٢ ـ تفسير نور الثقلين : ٣ / ٤٤١ ح ١٠٧ .

الناس وبين ربهم في إعطاء الفيوضات الباطنية وأخذها .. والإمام دليل هاد للنفوس الى مقاماتها)[١].

* أقول : سوف يأتي مزيد كلام عن الهداية التكوينية في دليل الروايات، الطائفة الحادية عشر.

---

١ ـ تفسير الميزان : ١٤ / ٣٠٤ مورد آية ٧٣ من الأنبياء .

الطائفة الرابعة:

الولاية على النفس

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَئْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ﴾[1]

وقال: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم ﴾ [2].

قال السيد الطباطبائي: أنفس المؤمنين هم المؤمنون فمعنى كون النبي أولى بهم من أنفسهم انه أولى بهم منهم.

وكذا النبي صلى الله عليه وآله أولى بهم فيما يتعلق بالأمور الدنيوية أو الدينية كل ذلك لمكان الاطلاق في قوله: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم ﴾ [3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لبريدة: « يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: من كنت مولاه فعلي مولاه » [4].

فولاية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام على الناس تعطيهما الحق

---

١ - سورة النور: ٦٢.

٢ ـ الاحزاب: ٦.

٣ ـ تفسير الميزان: ١٦ / ٢٧٦ و٢٨٢ مورد الآية.

٤ ـ تفسير الميزان: ١٦ / ٢٧٦ و٢٨٢ مورد الآية.

في التدخل في كل شؤون الناس الدنيوية والدينية، وتجعل إرادتهما وتصرفهما مقدماً على إرادتهم.

وهذه الأولوية المذكورة في الآية، كما تجعل الحق للنبي صلى الله عليه وآله في التصرف في الأمور الدينية، أيضاً تجعل له الصلاحية في التدخل في الأمور الدنيوية، والتي منها حق التصرف بأموال الناس وأنفسهم وأعراضهم وما شابه ذلك.

وكذلك تعطي النبي صلى الله عليه وآله القدرة على التحكم والتصرف بالميولات الداخلية للإنسان، كمسألة الحب والبغض، كما في أحاديث كثيرة في تعليق الايمان على أن يكون النبي أحب الى الإنسان من نفسه.

بل ورد: «*لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهلي أحب إليه من أهله*» [1].

وهذه الأمور ليست من الأمور التشريعية، بل هي من الأمور التكوينية أو المظهرية أقدر الله تعالىٰ نبيه عليها.

إن قيل: هذه الآيات في حق رسول الله صلى الله عليه وآله:

قلنا يأتي أنهم في الفضل والعلم سواء، هذا وقال الإمام الخميني:

(هم عليهم السلام *من جهة الولاية متحدون، أولنا محمد أوسطنا محمد آخرنا محمد، كلنا نور واحد*) [2].

---

١ ـ كنزالعمال: ١ / ٤١ ح ٩٣، والمعجم الكبير للطبراني: ٧ / ٧٥ ح، وامالي الشجري: ١ / ١٥٥، والمعجم الاوسط ٦ / ٣٦٩ ح، والفردوس بمأثور الخطاب: ٥ / ١٥٤ ح ٧٧٩٦.

٢ ـ شرح دعاء السحر: ٦٤.

الطائفة الخامسة :

كون النبي وآله أماناً للأمة

قال تعالىٰ : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ [١].

ومفاد هذه الآية أن وجود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بين الناس كان أمناً للأمة من العذاب، ولولاه صلوات الله عليه لساخت بأهلها.

وكذلك كان أهل البيت عليهم السلام فعن الإمام الحسن عليه السلام في أول خطبة له بعد بيعته : «*نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين ، ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، بنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض ، ولولا ما على الأرض منا لساخت بأهلها*»[٢].

هم الراقدون في أوج الكمال — وهم أهل المعارف والمعالي
هم سفن النجاة إذا ترامت — بأهل الأرض أمواج الضلال
أمان الأرض من غرق وخسف — وحصن الملة الصعب المنال [٣]

قال ابن حجر : أشار صلى الله عليه وآله وسلم الىٰ وجود ذلك المعنىٰ في أهل بيته وأنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم أماناً لهم ، وفي ذلك أحاديث كثيرة يأتي غالبها في هذا الكتاب [٤].

وأخرج الحاكم وقال صحيح الاسناد عن ابن عباس أنه قال : « النجوم

---

١ - الأنفال : ٣٣.

(٢) أهل البيت لتوفيق : ٧٣.

(٣) رشفة الصادي: ٥ ط . مصر .

٤ ـ الصواعق المحرقة : ١٥٢ ط. مصر و٢٣٣ ط. بيروت الاية السابعة ، والمشرع الروي : ١ / ٧.

امان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس »[١].

أقول تخصيص الأمان بالاختلاف ورد فقط في هذه الروايـة وأمـا بـقية الروايات فتعمم، وقد يؤول هذا الحديث بـأن الاخـتلاف قـد يـؤدي الى خـراب الوجود أو التأثير عليه .

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «النجوم أمـان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض » .

أخرجه أحمد في المناقب [٢].

وسيأتي في حق عامة قريش قوله صلى الله عليه وآله : « أمان لأهل الأرض من الغرق القوس ، وامان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش » [٣] .

وقال السمهودي روح الله روحه بعد ايراده هذه الاحـاديث : (يـحتمل أن المراد من أهل البيت الذين هم أمان للأمة ؛ علماؤهم الذين يهتدىٰ بهم كما يهتدىٰ بنجوم السماء ، وهم الذين إذا خلت الأرض منهم جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون وذهب أهـل الأرض ، وذلك عـند مـوت المـهدي الذي أخـبر بـه النبي صلى الله عليه وآله وسلم) [٤] .

وأطال ـ أعني السمهودي ـ في ذلك المقام الىٰ أن قال : (ويـحتمل وهـو

---

١ ـ ومستدرك الصحيحين : ٣ / ١٤٩ ـ مناقب أهل البيت من كتاب المعرفة .

٢ ـ فضائل الصحابة لاحمد : ٢ / ٦٧١ ح ١١٤٥ ، ومستدرك الصحيحين : ٢ / ٤٤٨ كتاب التفسير ـ الزخرف ، وكنوز الحقائق : ٢ / ٢٤٠ ح ٨٢١٧ ، ومجمع الزوائد : ٩ / ١٧٤ ط. مصر والبغية : ٢٧٧ ح ١٥٠٢٥ .

٣ ـ فانظر تخريجه هناك .

٤ ـ جواهر العقدين : ٢٦٢ الباب الخامس .

الأظهر عندي أن المراد من كونهم أماناً للأمة أهل البيت مطلقاً ، وأن الله تعالىٰ لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته ، فإذا انقضوا طوىٰ بساطها ، ولعل حكمته وسره أن الله تعالىٰ جعل أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مساوين له في أشياء كثيرة ، عد الفخر الرازي منها خمسة كما تقدم .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ [١] فألحق الله تعالىٰ وجود أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الأمة بوجوده صلى الله عليه وآله وسلم فجعلهم أماناً لهم ، كما سبق من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « اللهم إنهم مني وأنا منهم » .

قال: وقد يقوىٰ هذا بأن فاطمة رضي الله عنها وعنهم بضعة منه صلى الله عليه وآله وسلم ، كما في الصحيح ، وأولادها بضعة من تلك البضعة ، فيكونون بضعة منه بالواسطة ، وكذا بنو بنيهم وهلم جراً ، وكل من يوجد منهم في كل زمان بضعة منه بالواسطة ؛ فأُقيم وجودهم في كونهم أماناً للأمة مقامه صلى الله عليه وآله وسلم [٢] .

والىٰ هذا يشير ما في نهج البلاغة من ان علياً عليه السلام كان يأمر في مواطن الحرب بكف الحسنين عن القتال ، فقال أحدهما : اتبخل بنا عن الشهادة ، أو ترانا دون ما تطمح إليه نفوسنا من البسالة .

فقال : ما هذا حيث ظننت ، ولكنني اشفقت ان ينطفيء نور النبوة من الأرض»[٣] .

أي بانقطاع الذرية الطاهرة ، وفي هذا من مزيد الكرامة وعلو المنزلة والخطوة ما لا يخفىٰ) . انتهىٰ كلام السمهودي [٤].

---

١ ـ الأنفال : ٣٣ .

٢ ـ للشيخ الرفاعي كلاماً مفيداً في كونهم أماناً للأمة ـ ضوء الشمس : ١ / ١٢٢ .

٣ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٦٦ ط. النجف و٤٦ ط. الهند .

٤ ـ جواهر العقدين : ٢٦٢ ـ ٢٦٣ الباب الخامس .

وقال صاحب الذخائر المحمدية : من خصائص آل البيت أنه سبحانه وتعالى جعل آثارهم في الأرض سبباً لبقاء العالم وحفظه ، فلا يزال العالم باقياً ما بقيت آثارهم ، فإذا ذهبت آثارهم من الأرض فذاك أول خراب العالم [١].

وقال الحكيم الترمذي بعد الحديث : وشبههم عليه السلام بالنجوم لأن بهم الإقتداء وهم من الأصحاب قليل عددهم كالنجوم، لأنهم أهل بصائر ويقين وجاز لهم إجتهاد الرأي بفضل اليقين والبصائر .

إلى أن قال : وقوله : « أهل بيتي أمان لأمتي» فأهل بيته من خلفه من بعده على منهاجه وهم الصدّيقون والأبدال الذين روى علي كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلاً، بهم يسقى الغيث وينصرهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء» [٢].

فهؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ وأمان هذه الأُمة فإذا ماتوا فسدت الأرض وخربت الدنيا[٣] .

أقول: روايات كون النبي وأهل البيت عليهم السلام كثيرة فلتراجع في مضانها.[٤]

---

(١) الذخائر المحمدية : ٣٤٣ خصائص آل البيت .

(٢) الحديث أو ما في معناه في الحاوي للفتاوى : ٢ / ٤٢٦ ـ ٤٢٨ ـ ٤٣٠ .

(٣) نوادر الأصول : ٢٦٣ الأصل ٢٢٢ ، وفي طبعة : ٣ / ٦١ .

ـ ٤

مصادر حديث الأمان

الفردوس : ٤ / ٣١١ ح ٦٩١٣ ط. دار الكتب و ٥ / ٥٦ ح ٧١٦٦ ط. دار الكتاب ، والمعجم الكبير للطبراني : ٧ / ٢٢ ح ٦٢٦٠ ترجمة إياس ، ونوادر الأصول : ٣ / ٦١ ـ ٦٦ الأصل ٢٢٢ ، والمطالب العالية : ٤ / ٧٤ ح ٤٠٠٢ ـ ، وتفسير آية المودة : ٨٩ و ٩٠ ، وأمالي الشجري : ١ / ١٥٣ عن علي ، واسعاف الراغبين : ١٤١ ، والفوائد المجموعة : ٣٩٧ ، وفضائل الصحابة : ٢ / ٦٧١ ح ١١٤٥ ،

=

آثار وجود أهل البيت عليهم السلام على الكون

وردت مجموعة روايات نتبين مقام محمد وآل محمدعليهم السلام وأثـره عـلى الكون غير ما تقدم من كونهم أماناً للأمة، وسوف نورد هنا جزءاً منها تاركين التفصيل الى كتاب آخر نتحدث فيه عن جملة من آثار أهل البيتعليهم السلام على الكون والكونيات.

١ ـ نزول المطر:

عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنينعليه السلام قال: قال لي رسول اللهصلى الله عليه وآله على منبره يا علي: «**إن الله عزوجل وهب لك حب المسـاكـين والمستضعفين في الأرض فرضيت بهم إخواناً ورضوا بك إماماً فطوبىٰ لمن أحبك وصدق عليك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، يا علي أنت أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين، يا علي شيعتك المنتجبون، ولولا أنت وشيعتك ما قام لله عزوجل دينٌ، ولولا من في الأرض منكم لما أنزلت السماء قطرها، يا علي لك كنز في الجنة**

=ومجمع الزوائد : ٩ / ٢٧٧ ، وفرائد السمطين : ٢ / ٢٤١ ـ ٢٥٢ ح ٥١٥ - ٥٢١ - ٥٢٢ ، ومشارق الأنوار : ١٠٩ ، وذخائر العقبى : ١٧ ، ومقتل الخوارزمي : ١ / ١٠٨ ، وكنز العمال: ١٢ / ١٠٢ ح ٣٤١٨٩ ، ومستدرك الصحيحين : ٣ / ١٤٩ ـ مناقب أهل البيت من كتاب المعرفة ، وكشف الخفاء : ٢ / ١٣٥ و٣٢٧ ، ودر السحابة : ٢٦٧ مناقب أهل البيت ح ٩ ، والشفا : ٢ / ٤٧ ـ ٤٨ الباب الثالث ، وإحياء الميت للسيوطي : ٢٤٦ ـ ٢٥٥ عن سلمة بن الاكوع وابن عباس .

وأنت ذو قرنيها، وشيعتك تعرف بحزب الله عزوجل»[١].

٢ ـ دفع العذاب :

٣ ـ إنزال الرحمة:

عن أبي الحسن علي بن موسىٰ الرضا، عن أبيه موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أخبرني جبرائيل، عن الله جل جلاله أنه قال: علي بن أبي طالب حجتي علىٰ خلقي، وديان ديني أُخرج من صلبه أئمة يقومون بأمري، ويدعون إلىٰ سبيلي، بهم أدفع العذاب عن عبادي وإمائي وبهم أنزل رحمتي»[٢].**

٤ ـ حفظ الدين:

٥ ـ تعمير البلاد:

٦ ـ رزق العباد:

٧ ـ نزول قطر السماء:

عن الأصبغ بن نباتة قال: خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ويده في يد إبنه الحسن عليه السلام وهو يقول: **«خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ويدي في يده هكذا وهو يقول: خير الخلق بعدي[٣] وسيدهم بعد الحسن إبني أخوه الحسين**

---

١ - أمالي الصدوق: ٥٠٢.

٢ - أمالي الصدوق: ٤٨٧.

٣ - في بعض المصادر: خير الخلق بعدي وسيدهم أخي هذا، وهو إمام كل مسلم، ومولىٰ كل مؤمن بعد وفاتي. ألا وإني أقول: خير الخلق بعدي وسيدهم ابني هذا، وهو إمام كل مؤمن، ومولىٰ

=

المظلوم بعد أخيه المقتول في أرض كربلاء، أما إنه وأصحابه من سادات الشهداء يوم القيامة، ومن بعد الحسين تسعة من صلبه خلفاء الله في أرضه وحججه على عباده، وامناؤه على وحيه، وأئمة المسلمين، وقادة المؤمنين، وسادة المتقين، تاسعهم القائم الذي يملأ الله عزوجل به الأرض نوراً بعد ظلمتها، وعدلاً بعد جورها، وعلماً بعد جهلها، والذي بعث أخي محمداً بالنبوة واختصني بالإمامة لقد نزل بذلك الوحي من السماء على لسان الروح الأمين جبرائيل، ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وأنا عنده ـ عن الأئمة بعده فقال للسائل: ﴿ والسماء ذات البروج ﴾[1] عددهم بعدد البروج، ورب الليالي والأيام والشهور إن عدتهم كعدة الشهور[2] فقال السائل: فمنهم يارسول الله؟ فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على رأسي فقال: أولهم هذا وآخرهم المهدي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أنكرهم فقد أنكرني، ومن عرفهم فقد عرفني، بهم يحفظ الله عزوجل دينه، وبهم يعمر بلاده، وبهم يرزق عباده، وبهم ينزل القطر من السماء، وبهم يخرج بركات الأرض، هؤلاء أصفيائي وخلفائي وأئمة المسلمين وموالي المؤمنين»[3].

=كل مؤمن بعد وفاتي، ألا وإنه سيظلم بعدي كما ظلمت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن. الحديث.

١ - البروج: ١.

٢ - في بعض المصادر: ان عددهم كعدد الشهور.

٣ - كمال الدين: ١ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ط ١٣٩٠ هجـ ـ طهران.

الطائفة السادسة :

قدرة النبي على هداية الجن

قال تعالىٰ : ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ [١] .

فالنبي صلى الله عليه وآله كان هادياً لعالم الجن ، واستطاع بقدرته الكونية أن يخرق أسماع وأبصار الجن حتى أمنوا به .

قال الإمام الرضا عليه السلام في حديثه مع الجاثليق: « لقد اجتمعت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه ان يحيي لهم موتاهم ، فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اذهب الى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قوموا بإذن الله ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين ، وكلمه البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه رباً من دون الله عزّ وجلّ »[٢].

ويؤيده ما يأتي في الروايات من تسخير الجن لأهل البيت عليهم السلام [٣] .

وعن سدير الصيرفي قال : وصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة؛

---

١ - الجن : ١ - ٢ .

٢ ـ التوحيد للصدوق : ٤٢٣ باب ٦٥ ح ١ باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام .

٣ - انظر الأنوار النعمانية : ١ / ٣٢٨ .

فخرجت فبينما أنا بين فج الروحاء[١] علىٰ راحلتي إذا إنسان يلوي بثوبه[٢] قال: فملت إليه وظننت أنّه عطشان، فناولته الاداوة[٣] فقال لي: *لا حاجة لي بها وناولني كتاباً طينه رطب*، قال: فلما نظرت إلىٰ الخاتم إذا خاتم أبي جعفر عليه السلام فقلت: متىٰ عهدك بصاحب الكتاب قال: الساعة وإذا في الكتاب أشياء يأمرني بها ثمّ التفتّ فإذا ليس عندي أحد، قال: ثمّ قدم أبوجعفر عليه السلام فلقيته فقلت: جعلت فداك رجل أتاني بكتابك وطينه رطب؟ فقال: *يا سدير إنّ لنا خدماً من الجنّ فإذا اردنا السرعة بعثناهم*.

وفي رواية اخرى قال: *إن لنا أتباعاً من الجن كما أن لنا أتباعاً من الإنس. فإذا أردنا أمراً بعثناهم*[٤].

في بصائر الدرجات: أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن مالك بن عطية عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت أستأذن علىٰ أبي جعفر عليه السلام فقيل: إن عنده قوماً فأثبتّ قليلاً حتّىٰ يخرجوا فخرج قوم أنكرتهم ولم أعرفهم ثمّ اذن فدخلت عليه فقلت: جعلت فداك هذا زمان بني أمية وسيفهم يقطر دماً؟ فقال: *يا أبا حمزة هؤلاء وفد شيعتنا من الجنّ جاءوا يسألوننا عن معالم دينهم*.[٥]

---

١ ـ الفج: الطريق الواسع، والروحاء: موضع بالحرمين علىٰ ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.
٢ ـ أي يشير به.
٣ ـ الاداوة: الاناء الذي يسقى منه.
٤ ـ أصول الكافي: ١ / ٣٩٥ / ح ٤.
٥ ـ بصائر الدرجات: ٢ / ١١٦ / ب ١٨ / ح ٣.

الطائفة السابعة :

كون آل محمد الأسماء الحسنى

قال تعالىٰ :﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [١] .

أخرج المفيد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله : « إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزّوجلّ وهو قوله ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ »[٢] .

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : « نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا » .

رواه الكليني بسند حسن [٣] .

وقريب منه عن الإمام الباقر عليه السلام [٤] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إنـي لأعرف بطرق السماوات من طرق الأرض، نحن الإسم المخزون المكنون، ونحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عزّوجلّ بها أجاب، نحن الأسماء المكتوبة على العرش ولأجلنا خلق الله عزّوجلّ السماء والأرض والعرش والكرسي ، والجنّة والنار ، ومنّا تعلّمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير » [٥] .

---

١ - الأعراف : ١٨٠ .

٢ ـ الاختصاص : ٢٥٢ .

٣ ـ أُصول الكافي : ١ / ١٤٣ باب النوادر من كتاب التوحيد ح ٤ ، وتفسير العياشي : ٢ / ٤٢ ح ١١٩ ، والبرهان : ٢ / ٥٢ .

٤ ـ البحار : ٢٥ / ٤ ح ٧ .

٥ ـ البحار : ٢٧ / ٣٨ ح ٥ .

وقال عليه السلام: « أنا الأسماء الحسنىٰ » [١].

-وفي عيون الأخبار ان أمير المؤمنين عليه السلام مر في طريق فسايره خيبري فمرى بواد قد سال، فركب الخيبري مرطه وعبر على الماء، ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام: يا هذا لو عرفتَ كما عرفتُ لجريت كما جريت.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: « مكانك »، ثم أومأ الى الماء فجمد ومر عليه.

فلما رأى الخيبري ذلك أكب على قدميه وقال: يا فتى ما قلت حتى حولت الماء حجراً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « فما قلت أنت حتى عبرت على الماء؟ ».

فقال الخيبري: أنا دعوت الله باسمه الأعظم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « وما هو؟ ».

قال: سألته باسم وصي محمد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « أنا وصي محمد ».

فقال الخيبري: أنه الحق. ثم أسلم [٢].

وقريب منه قصة جرت مع أمير المؤمنين عليه السلام وعمار في تحويل الحجر الى ذهب حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: « ادع الله بي حتى تلين، فإنه اسمي ألان الله الحديد لداود » [٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: « وباسمي تكوّنت الأشياء » [٤].

ويؤيّد ذلك كونهم قدرة الله، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام [٥].

---

١ ـ شرح دعاء الجوشن: ٥٧٦، والأنوار النعمانية: ٢ / ١٠٠.

٢ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٧٢ ـ ١٧٣.

٣ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٧٣.

٤ ـ مشارق أنوار: ١٥٩.

٥ ـ الهداية الكبرى: ٤٣٤.

وروى الكفعمي في دعاء النجاح : « اللهم وأسألك باسمك الأعظم الذي به تقوم السماء والأرض وتحيي الموتى وترزق الأحياء » [١].

وفي المصباح عن الإمام الصادق عليه السلام : « اللّهم إني أسألك باسمك الذي به ابتدعت عجائب الخلق في غامض العلم بجود جمال وجهك .. وأسألك باسمك الذي تجلّيت به للكليم على الجبل العظيم فلما بدا شعاع نور الحجب من حجاب العظمة أثبت معرفتك في قلوب العارفين بمعرفة توحيدك [٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : « وأسألك باسمك الذي نتقت به الجبل فوقهم كأنه ظلّة » [٣].

وروي في أدعية الأيّام : « اللّهم إنّي أسألك باسمك الذي يمشي به المقادير، وبه يمشي على ظلل الماء كما يمشى به على جدد الأرض، وأسألك باسمك الذي تهتز به أقدام ملائكتك » [٤].

فمن مجموع هذه الروايات يتبين مدى قدرة الأسماء الحسنى على التأثير على الأمور الكونية.

* أقول : هناك روايات مستفيضة في قدرة الأسماء الحسنى مذكورة في كتب الأدعية، وسوف يأتي قسم منها في دليل الأحاديث على الولاية[٥].

---

١ ـ البلد الأمين : ١٨ ، والبحار : ٨٦ / ٧٥ ح ١٠ .

٢ ـ مصباح المتهجد : ٣٠١ .

٣ ـ الدروع الواقية لابن طاووس : ٢٣٨ ، والبحار : ٩٧ / ٢١٨ .

٤ ـ العدد القوية للحلي : ٣٠٥ ، والبحار : ٩٧ / ٢٨٣ .

٥ ـ راجع بحار الأنوار : ٨٩ / ٢٣٤ و ٨٦ / ٧٥ ـ ٥٩ و ٥٢ / ٣٩٢ ، ومهج الدعوات : ٦١ ـ ٦٨ ، ومصباح المتهجد : ٢٥٨ ـ ٢٣١ ـ ٣٠١ .

الطائفة الثامنة :

امتلاك النبي وآله عليهم السلام للقرآن

وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولو أن قرآناً سيّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى** ﴾ [١].

وقال عز من قائل : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ [٢].

وأهل البيت عليهم السلام يملكون القرآن وعلمه ، دلت عليه الروايات الآتية.

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أخبرني عن النبي ورث النبيين كلهم؟

قال : نعم .

قلت : من لدن آدم حتى انتهت الى نفسه؟

قال : « *ما بعث الله نبياً ومحمد أعلم منه* » .

قال : قلت : إن عيسى ابن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله تعالىٰ .

قال : « صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل » .

الى أن قال : « وأن الله يقول في كتابه : ﴿ **ولو أن قراناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى** ﴾ ***وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به***

---

١ - الرعد : ٣١ .

٢ - الحشر : ٢١ .

الجبال وتقطع به البلدان وتحيىٰ به الموتىٰ »[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث تبيين ان علمهم من القرآن قال: «*فعندنا ما يقطع به الجبال ويقطع به البلدان ويحيي به الموتى بإذن الله* »[٢].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[٣] أنا هو الذي عنده علم الكتاب[٤].

المناقب لابن المغازلي عن عبدالله بن عطاء: كُنت عند أبي جعفر جالساً إذ مَرَّ عليه ابن عبدالله بن سلام، قلت: جعلني الله فداك، هذا ابن الذي عنده علم من الكتاب؟

قال عليه السلام: *لا، ولكنّه صاحبكم عليّ بن أبي طالب الذي نزلت فيه آياتٌ من كتاب الله عزّ وجلّ، الذي عنده علم من الكتاب*[٥].

وقال الإمام الحسين عليه السلام: نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه، وليس لأحد من خلقه ما عندنا، لأنّا أهل سرّ الله[٦].

الكافي عن عبدالرحمن بن كثير عن الإمام الصادق عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٧] ـ فَفَرَّج

---

١ ـ إلزام الناصب: ٢ / ٣٣١ الآيات القرآنية المشعرة بالرجعة عموماً عن الكافي.

٢ ـ بصائر الدرجات: ١٥ ح ٣ باب أنهم ورثوا علم آدم.

٣ ـ الرعد: ٤٣.

٤ ـ بصائر الدرجات: ٢١٦ / ٢١ عن سلمان.

٥ ـ المناقب لابن المغازلي: ٣١٤ / ٣٥٨، شواهد التنزيل: ١ / ٤٠٢ / ٤٢٥؛ تفسير الحبري: ٢٨ / ٤١ وليس فيهما «الذي نزلت فيه...»، شرح الأخبار: ٢ / ٣٤٧ / ٦٩٨ كلّها نحوه وراجع تفسير العيّاشي: ٢ / ٢٢٠ / ٧٧ والعمدة: ٢٩٠ / ٤٧٦ والمناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ٢٩.

٦ ـ المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٥٢ عن الأصبغ بن نباتة، بحار الأنوار: ٤٤ / ١٨٤ / ١١.

٧ ـ النمل: ٤٠.

أبو عبدالله عليه السلام بين أصابعه فوضعها في صدره، ثمّ قال: *وعندنا والله علم الكتاب كلّه*[1].

١ ـ الكافي: ١ / ٢٢٩ / ٥ و ص ٢٥٧ / ٣ عن سدير نحوه، مختصر بصائر الدرجات: ١٠٨، الخرائج والجرائح: ٢ / ٧٩٧ / ٦ كلاهما عن الحسين بن علوان، بصائر الدرجات: ٢١٢ / ٢، تأويل الآيات الظاهرة: ١ / ٢٣٩ / ٢٢.

الطائفة التاسعة قوله تعالىٰ :

﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾

ـ في موثقة محمد بن عبد الجبار عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن الله خلق محمداً عبداً فأدبه حتى إذا بلغ أربعين سنة أوحى إليه ، *وفوّض إليه الأشياء* فقال : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [١].

وفي رواية عنه عليه السلام : « وان الله فوّض الى محمد نبيه فقال : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

فقال رجل : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مفوضاً إليه في الزرع والضرع .

فلوى الإمام الصادق عليه السلام عنه عنقه مغضباً فقال عليه السلام : «*في كل شيء والله في كل شيء*»[٢].

ـ وعن زيد الشحام قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ﴾ قال : « أعطي سليمان ملكاً عظيماً ، ثم جرت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله فكان له ان يعطي ما شاء و يمنع ما شاء ، وأعطاه أفضل مما أعطى سليمان لقوله :﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [٣].

قال المازندراني: قوله (ثمّ جرت هذه الآية) لأنّه فوّض إليه صلى الله عليه وآله المنع

---

١ – بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣١ باب نفي الغلو ح ٦ ، وبصائر الدرجات : ٣٧٨ باب التفويض الى الرسول .

٢ – بصائر الدرجات : ٣٨٠ باب التفويض الى الرسول ح ٩ ، وبحار الأنوار : ١٧ / ٩ ح ٦١ باب وجوب طاعته صلى الله عليه وآله .

٣ – أصول الكافي : ١ / ٢٦٨ باب التفويض إليهم ح ١٠ .

والإعطاء المتعلّقين بالرئاسة الدنيوية أيضاً. وقوله (أفضل ممّا أعطى سليمان)[1] حيث فوّض إليه أمر الدين المتعلّق بالرئاسة الأُخرويّة.

---

(١) قوله «أفضل ممّا أعطى سليمان» حاصل أحاديث هذا الباب والمعنى الذي يتفق عليه جميعها أن بعض الأحكام مفوّض إلى الرسول ﷺ وبعضها موحى إليه من الله تعالى ويشكل بأن ما يفرضه الرسول ﷺ لا يمكن أن يكون إلّا بأمر الله تعالى وهو ﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾ والجواب أن جميعها وإن كانت من الله تعالى وبأمر الله لكن الفرق في الطريق الموصل فبعض الأحكام يوحى إليه قرآناً بوسيلة روح القدس وبعضها غير قرآن وبعضها إلهام وإلقاء في الروع وبعضها بعلمه ﷺ بالمصلحة الملزمة وليس هذا أمراً غريباً كما يتفق للعلماء وإنهم يستنبطون الحكم تارة من الكتاب الكريم وتارة من نص الرسول ﷺ وتارة من فحوى الخطاب كاستفادة حرمة ضرب الأبوين وشتمهما من قوله تعالى ﴿ولا تقل لهما أفٍّ﴾ وتارة يعرفون الحكم من العقل مجرّداً من النص المنقول كحرمة الغصب وقتل النفوس وليس معنى تفويض الله تعالى بعض أحكامه إلى رسوله أنه تعالى لا يعلم ولا يقصد ما يفعله الرسول ولا يجعل حكماً ولا يريد شيئاً إلّا تبعاً لإرادة الرسول ﷺ بل الأمر بالعكس لكن عرف ﷺ وجوب الركعتين الأوليين بنص جبرئيل في ليلة الإسراء ووجوب الركعات الأُخر بإلهام وقوّة قدسية من الله أيضاً كما أن جميع ما نعرفه بعقلنا بل بحسّنا إنّما هو من جانب الله تعالى وإن لم يكن بوحي وإلهام بل بإعداد مقدّمات وحصول معدّات لا تنفك في سنّته تعالى عن إفاضة العلم والإدراك ولما جرت عادة الناس بأن ينسبوا ما استفادوا من غير سبب وواسطة إلى نفس المسبب وما استفادوا بواسطة إلى الواسطة مع اعتقادهم بأنه من ذي الواسطة فيتبادر من قولهم: شربت الماء من النهر إنّهم شربوا منه بلا واسطة لا من الحياض والحباب والكوز التي في دارهم مع أنها من النهر أيضاً جرى في هذه الأخبار على اصطلاحهم كما هو دأب الشرع في التكلّم مع الناس بلسانهم فسمّى ما أوحى إليه بلفظه من الله تعالى مثلاً فرض الله وما أُلهم به بقوّته القدسية وعلمه بالمصلحة الملزمة مثلاً فرض الرسول وإن كانت جميعاً فرض الله تعالى ومذهبنا المتفق عليه بيننا أن الأنبياء لا يشرعون حكماً باجتهادهم على ما صرّح به علماؤنا في كتب التفسير والكلام فراجع ما قالوا في تفسير آية ﴿ففهمناها سليمان ـ الآية﴾ لكنّه تعالى أدّب رسوله فأحسن أدبه وجعل فيه الخُلق العظيم وإذا حصلت فيه القوّة القدسية استعد لقبول الإلهام والإلقاء في الروع وأمثالهما كما في هذه الأخبار، وبيّنه الشيخ الرئيس في الإشارات أحسن بيان. (ش)

* أقول : يفهم من هذه الرواية ان الله أعطى الولاية المظهرية أو التكوينية لسليمان وللنبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، وانه اختص رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام بالولاية التشريعية ، كما في ذيل الرواية .

ويؤيد ذلك ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لا والله ما فوّض الله الى أحد من خلقه إلّا الى الرسول والى الأئمة فقال : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ وهي جارية في الأوصياء » [1] .

فهذه صريحة في نفي الولاية التشريعية والتفويض في أمر الدين لأيّ كان، سوى أهل البيت عليهم السلام ، نعم التفويض في بعض الأمور الكونية ثابت كما تقدم لغير أهل البيت عليهم السلام .

- وفي رواية : سألته عن الإمام فوّض الله إليه كما فوّض الى سليمان .

قال عليه السلام : « نعم » [2] .

وعليه فلا تكون آية ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ مختصة بالولاية التشريعة .

- وعنه أيضاً عليه السلام : « إن الله أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال : ﴿ **إنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ، ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده ... » [3] .

فتفويض أمر الدين يشير الى الولاية التشريعية، أما أمر الأمة فهو اعم من الأمور الدينية ، بل لعله إشارة فقط الى الأمور التي تتعلق بالأمة من ناحية الكون والكونيات ، سواء منها العطاء والرزق أم غيرها من الأمور التي تأتي في القسم

---

١ - بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٤ ح ١١ ، وبصائر الدرجات : ٣٨٦ ح ١٢ .

٢ - بصائر الدرجات : ٣٨٧ ح ١٣ .

٣ - أصول الكافي : ٢٦٦ ح ٤ ، وبحار الأنوار : ١٧ / ٤ ح ٣ .

الأول من الأدلة [١].

قال المازنراني شارحاً لهذا الحديث: قوله (عن أبي إسحاق النحوي) هو ثعلبة بن ميمون وكان وجهاً في أصحابنا قارئاً فقيهاً نحوياً لغوياً عابداً زاهداً ثقة.

قوله (أدّب نبيّه على محبّته) التأديب تعليم الأدب وهو ما يدعو إلى المحامد من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة.

قوله (على محبّته) متعلّق بأدب على تضمين معنى القيام أو حال عن الضمير المجرور أي كائناً على محبته. ومحبّته لله عبارة عن الإتيان بمرضاته والصبر على موجبات قربه والتوجّه بالكلية إلى قدس ذاته. ومحبة الله إيّاه عبارة عن إفاضة الخير عليه وتتابع الإحسان إليه وإجابة ما يتمناه وإعطاء ما يرضاه.

قوله (فقال وإنّك لعلى خلق عظيم) متفرّع على التأديب يعني بعدما أدبه وأكمل له محامده وبلغه إلى غاية كماله خاطبه بذلك القول مؤكّداً بأن واللام واسمية الجملة، والتنكير المفيد للتعظيم والتصريح به للدلالة على علوّ قدره وتفرّده بذلك وتقرير حبّه في الأذهان إذ ما من أحد ولو كان كافراً إلّا وهو يمدح الخُلق وصاحبه.

قوله (ثمّ فوّض إليه) للتفويض معان بعضها باطل وبعضها صحيح أما الباطل فهو تفويض الخلق والإيجاد والرزق والإحياء والإماتة إليه يدل على ذلك ما روي عن الرضا عليه السلام قال «اللهمّ من زعم أننا أرباب فنحن منه براء ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن عنه براء كبراءة عيسى بن مريم من النصارى» وما روي عن زرارة قال: «قلت للصادق عليه السلام: إنّ رجلاً من ولد عبد المطّلب بن سبأ يقول بالتفويض فقال: وما التفويض؟ فقلت: إنّ الله عزّوجلّ خلق محمّداً صلى الله عليه وآله

---

١ - أصول الكافي: ٢٦٦ ح ٤، وبحار الأنوار: ١٧ / ٤ ح ٣.

وعليّاًعليهما السلام ثمّ فوّض الأمر إليهما فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا، فقالعليه السلام : كذب عدوّ الله إذا رجعت إليه فاقرأ عليه الآية التي في سورة الرعد ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كلّ شيء وهو الواحد القهّار﴾[1] فانصرفت إلى الرجل فأخبرته بما قال الصادقعليه السلام فكأنّما ألقمته حجراً ـ أو قال فكأنّما خرس» ـ وأمّا الثاني فأقسام منها تفويض أمر الخلق إليه بمعنى أنه أوجب عليهم طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه سواء علموا وجه الصحة أم لم يعلموا وإنّما الواجب عليهم الانقياد والإذعان بأن طاعته طاعة الله تعالى. ومنها تفويض القول بما هو أصلح له أو للخلق وان كان الحكم الأصلي خلافه كما في صورة التقية وهي أيضاً من حكم الله تعالى إلّا أنه منوط على عدم إمكان الأوّل بالإضرار ونحوه. ومنها تفويض الأحكام والأفعال بأن يثبت ما رآه حسناً ويرد ما رآه قبيحاً، فيجيز الله تعالى لإثباته إيّاه. ومنها تفويض الإرادة بأن يريد شيئاً لحسنه ولا يريد شيئاً لقبحه فيجيز الله تعالى إيّاه.

وهذه الأقسام الثلاثة لا تنافي ما ثبت من أنه لا ينطق إلّا بالوحي لأن كل واحد منها ثبت من الوحي إلّا أن الوحي تابع لإرادته يعني إرادة ذلك فأوحى إليه كما أنه أراد تغيير القبلة وزيادة الركعتين في الرباعية والركعة في الثلاثية وغير ذلك فأوحى الله تعالى إليه بما أراد، إذا عرفت هذا حصلت لك بصيرة على موارد التفويض في أحاديث هذا الباب فليتأمّل.

قوله (وما أتاكم الرسول فخذوه) هذا ظاهر في القسم الأوّل[2].

قوله (ونحن فيما بينكم وبين الله عزّوجلّ) نبيّن لكم ما أراد الله منكم

---

١ ـ سورة الرعد : ١٦ .

(٢) قوله «ظاهر في القسم الأوّل» لكن الحق أن المراد به التفويض في الأحكام بقرينة سائر الروايات. (ش)

ونحصّل لكم ما أردتم منه ونوردكم مورد الكرامة منه.

قوله (في خلاف أمرنا) خلافه عبارة عن عدم الاعتقاد بحقّيته سواء كان مع الاعتقاد بحقّية نقيضه أم لا.

- وفي رواية أُخرى قال عليه السلام : « ثم فوّض إليه فقال : **﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾** وان نبي الله فوّض الى علي وأئمته فسلمتم وجحد الناس ، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وان تصمتوا إذا صمتنا ، ***ونحن فيما بينكم وبين الله عزّ وجلّ ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا*** » [١].

فقوله : «نحن فيما بينكم وبين الله » يشير الى توسطهم في الفيض والعطاء وهذا في غير الأمور الشرعية كما سوف يأتي في أدلة الروايات .

- وعنه أيضاً في حديث موثق : « إن الله فوّض الى نبيه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ... » [٢].

- و عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل بعد قدرته على هزّ الأرض وخوف الناس قال لجابر: « ***اختارنا الله من نور ذاته ، وفوض إلينا أمر عباده ، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ، ونحن لا نشاء إلّا ما شاء الله ، وإذا أردنا أراد الله ، فمن أنكر من ذلك شيئاً ورده فقد رد على الله*** » [٣].

* أقول : الروايات كثيرة في إثبات التفويض المطلق لأهل البيت عليهم السلام تأتي قريباً في أدلة الروايات فارتقب [٤].

---

١ - أصول الكافي : ١ / ٢٦٥ ح ١ ـ ٢ ، والاختصاص : ١٢ / ٣٣٠ في أنهم محدثون ، وبحار الأنوار : ٢٥ ٣٣٥ ح ١٣ ، والوسائل : ١٨ / ٩١ ح ٣٣٣٧٥ .

٢ - بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٢ باب نفي الغلو ح ٧ ، وبصائر الدرجات : ٣٨٠ ح ١٠ .

٣ - الهداية الكبرى : ٢٢٩ ـ ٢٣٠ باب ٦ .

٤ - يراجع بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٠ الى ٣٤٠ باب نفي الغلو من كتاب الإمامة ، وبصائر =

تقريب الاستدلال بروايات التفويض :

مما لا شك فيه ان هذه الطائفة هي أم الطوائف لاشتمالها على لفظة : «التفويض» ، وسوف يأتي توضيح ذلك في مفاد أدلة الروايات .

والتفويض التكويني هو المدعى في هذا الباب ، وعليه مدار الأدلة نفياً وإثباتاً، ويأتي شرح معنى التفويض وأنه ليس هو تفويض بعرض قدرة وتصرف الله ولا حتى بطولهما كما تقدم .

ومن قول الإمام الصادق عليه السلام في الرواية المتقدمة : مفوض إليه في كل شيء » يثبت عدم اختصاص الآية بالولاية التشريعة .

وكذلك في الرواية الأُخرى « يفعل ما يشاء » .

=الدرجات : ٣٧٨ الى ٣٨٧ باب التفويض الى الرسول وآله، وأصول الكافي : ١ / ٢٦٥ ـ ٤٤١ ـ ١٩٣ : وبحار الأنوار : ١٧ / ١ الى ١٤ باب وجوب طاعة النبي والتفويض إليه من تاريخ النبي ، والوسائل : ١٨ / ٥٠ ح ٣٣٢١٨ .

دليل الروايات على الولاية المظهرية

والأدلة الروائية على نحوين:

قسم يثبت بعض مصاديق التصرف الكوني لأهل البيت عليهم السلام، نعم من مجموع المصاديق المذكورة في الأدلة نثبت أن ولايتهم على أمور كثيرة من الكونيات.

وقسم يثبت الولاية ومطلق التصرف من دون تحديد مصاديق معينة، كولاية الله عزت إرادته.

والكلام يقع على كلي النحوين تباعاً:

النحو الأول

وينظمه طوائف :

الطائفة الأولى :

قدرة آل محمد على تسخير السحاب والبرق والرعد والريح وعين القطر

ـ فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : سأله رجل عن الإمام فوّض الله إليه كما فوّض الى سلمان عليه السلام .

فقال عليه السلام : « نعم ، وذلك انه ... » [١] .

ـ وفي رواية : « كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله أعطى ، وإذا دعا به أجاب ، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا » [٢] .

وقد فوّض الله لسليمان الريح وعين القطر ، بل وآتاه من كل شيء قال تعالى : ﴿ **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه ـ وقال : يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء** ﴾ [٣] .

فكل ما ثبت لسليمان بهذه الآية يثبت لآل محمد عليهم السلام .

---

١ ـ أصول الكافي : ١ / ٤٣٨ باب في معرفتهم أوليائهم ح ٣ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٢٩ باب نفي الغلو .

٢ ـ بصائر الدرجات : ٢١١ باب أنهم أعطوا الإسم الأعظم .

٣ ـ سبأ : ١٢ ، والنمل : ١٦ .

- وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: « *ما أعطى الله نبياً شيئاً قط إلّا أعطاه محمداً، وأعطاه ما لم يكن عندهم، وكل ما كان عند رسول الله فقد أعطاه أمير المؤمنين* عليه السلام »[1].

وقريب منه عن أبي عبد الله عليه السلام[2].

- وعن الإمام علي عليه السلام عن رسول الله في وصف القائم (عج): « لأملكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرنّ له الرياح، ولأذللنّ له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الاسباب »[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « إن الريح كما كانت مسخرة لسليمان فقد سخّر لمحمد وآله »[4].

- وفي كرامات الإمام الرضا عليه السلام قال بعض بني العباس: يا قوم هذا رجل له عند الله منزلة، ولله به عناية، ألم تروا إنكم لما لم ترفعوا له الستر أرسل الله الريح وسخرها لرفع الستر كما سخرها لسليمان[5].

وفي الباب عن علي بن الحسين عليه السلام وتسخير الريح لحمله[6].

وعن القائم المنتظر وتسخير الريح له[7].

---

١ ـ بصائر الدرجات: ٢٧٠ باب أنهم يحيون الموتى.

٢ ـ بصائر الدرجات: ٣٨٢ باب التفويض الى الرسول.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ١ / ٢٠٦ باب ٢٥ ح ٢٢.

٤ ـ الخرايج والحرايج: ٢٥٦ باب ٦.

٥ ـ كشف الغمة: ٣ / ٥٠ ذكر الإمام الرضا، وجامع كرامات الأولياء: ٢ / ٢٥٧، والأنوار النعمانية: ٤ / ٨٥.

٦ ـ دلائل الإمامة: ٨١ معاجزه.

٧ – الأنوار النعمانية: ٢ / ٩٣.

وهو المشهور عن أمير المؤمنين في قصة أصحاب الكهف [١].

ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: « إن الله تبارك وتعالىٰ خير [٢] ذا القرنين السحابتين الذلول والصعب فاختار الذلول، وهو ما ليس فيه برق ولا رعد، ولو اختار الصعب لم يكن له ذلك، لأن الله ادخره للقائم » [٣].

ـ وقريب منه عن الإمام الكاظم عليه السلام [٤].

وقال الإمام الصادق في حق الإمام الكاظم عليهما السلام: « بلغ ما بلغه ذو القرنين وجازه أضعافاً مضاعفة فشاهد كل مؤمن ومؤمنة » [٥].

قال تعالىٰ في ذي القرنين: ﴿وَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً .... قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً. ءاتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً. فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً. قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَ كَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقّاً﴾ [٦].

فما ثبت لذي القرنين ثابت لآل محمد عليهم السلام.

ـ وعنه قال عليه السلام: « أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر

---

١ ـ الهداية الكبرى: ١١٢.

٢ – كذا في المصدرين، وفيه نوع تشويش إذ كيف يخيره الله ثم لا يكون له ذلك؟!
وقد يقال ان هذا التخيير للامتحان ليرى الله ماذا يختار.
نعم في رواية أُخرى: « إن ذا القرنين خيّر السحابين فاختار الذلول » البصائر: ٤٠٩.

٣ ـ الاختصاص: ١٢ / ٣٢٦ غرائب احوالهم، وبصائر الدرجات: ٤٠٩.

٤ ـ بصائر الدرجات: ٤٠٨ باب في ركوب أمير المؤمنين السحاب، والهداية الكبرى: ٢٧٠.

٥ ـ الهداية الكبرى: ٢٧٠.

٦ ـ الكهف: ٨٤ ـ ٩٨.

صاحبكم ».

قلت : من صاحبنا؟

قال : أمير المؤمنين عليه السلام »[١].

ـ وعن أمير المؤمنين في خبر طويل جاء فيه: « *لقد فتحت لي السبل وأجرى لي السحاب* »[٢].

* أقول : وفي ذلك روايات كثيرة[٣].

تقريب الاستدلال بهذه الطائفة :

هذه مجموعة من الأحاديث الشريفة تبين قدرة آل محمد على التصرف ببعض الأمور التكوينية ، وبعض هذه الأحاديث صريحة في إعطائهم قدرة التصرف، وبعضها جاء بلسان التسخير، ومعلوم أن التسخير هو طاعة الشيء لهم ، فإن الله عزّ وجلّ أعطى نبيه وآل بيته عليهم السلام قدرة ومكانة حتى أصبح السحاب والبرق والرعد وما شابه مسخراً لهم ويطيعهم فيما يأمرونه .

والأحاديث الصريحة كالتي تشبههم بسليمان وبذي القرنين عليهما السلام .

والتي كان مضمونها تسخير السحاب ونحوه مما ذكر صريحاً في القرآن من قدرة سليمان وغيره على التصرف بالأمور الكونية، نعم آل محمد عليهم السلام يملكون أكثر مما أثبت لسليمان وذي القرنين ، إنما نحن في صدد

١ ـ الاختصاص : ١٢ / ٣٢٧ .

٢ ـ بصائر الدرجات : ٢٠١ باب أنهم جرى لهم ما جرى للرسول .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٤٠٨ باب في ركوب أمير المؤمنين السحاب ، والهداية الكبرى : ٢٧٠ ، والأنوار النعمانية : ١ / ٢١٤ ، و٢ / ١٠٠ ـ ١٠١ .

ذكر مصاديق الطائفة الأولى.

وكذلك حديث أمير المؤمنين عليه السلام في المهدي (عج): « لأملكته مشارق الأرض » فإن تمليك الله عزّ وجلّ لولي العصر المشرق والمغرب والسحاب عبارة أُخرى عن قدرة الإمام المهدي (عج) في إمكان التصرف فيما يملكه .

أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى الآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة الثانية :

قدرة آل محمد على التصرف بالدنيا
وسوق الأرض والجبال والماء

ـ فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « إن الدنيا تمثل للإمـام فـي مـثل فـلقة الجوز، فلا يعزب عنه منها شيء ، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء » [1].

ـ وفي رواية : « إن منا أهل البيت لمن الدنيا عنده مثل هذه ـ وعـقد بـيده عشرة ـ» [2].

ـ وعن أبي جعفر عليه السلام : *« إن بيننا وبين كل أرض تراً مثل تر البناء ، فإذا أمرنا في الأرض بأمر جذبنا ذلك التر ، فأقبلت الأرض إلينا بقليبها وأسواقها ودورها حتى ننفذ فيها ما نؤمر به من أمر الله تبارك وتعالىٰ »* [3].

ـ وقريب منه عن الإمام الرضا عليه السلام [4].

---

١ ـ الاختصاص : ١٢ / ٢١٧ قدرة الأئمة عليهم السلام ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٦٧ باب غرائب افعالهم ، وبصائر الدرجات : ٤٠٨ باب قدرتهم .

٢ ـ الاختصاص : ١٢ / ٣٢٦ غرائب احوالهم ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٦٧ ، وبصائر الدرجات : ٤٠٨ .

٣ ـ الاختصاص : ١٢ / ٣٢٤ غرائب احوالهم ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٦٦ ، وبصائر الدرجات : ٤٠٨ ، والخرايج والجرايح : ٢٥٦ ، والهداية الكبرى : ٢٤٢ باب ٧ .

٤ ـ بصائر الدرجات : ٤٠٨ .

ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: « *يا جابر ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم ... إن الله قد أقدرنا على ما نريد فلو شئنا أن نسوق الأرض بأزمتها لسقناها* »[١].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « إن المؤمن لو قال لهذه الجبال أقبلي أقبلت .

قال : فنظرت الى الجبال قد اقبلت فقال لها: على رسلك إني لم أردك »[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قصة زيادة ماء الفرات وأخذه القضيب بيده اليمنى وحرك شفتيه بكلام لا يفهمه أحد ، وضرب به الماء ضربة فهبط نصف ذراع ،

فقال لهم: يكفي هذا؟

فقالوا: لا يا أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم ضرب ثانية فهبط نصف ذراع آخر..»[٣].

وقريب منه قصة ارتفاع البئر للإمام الكاظم عليه السلام [٤] ، وقدرة القائم المنتظر(عج) على إنباع الماء[٥] .

وعنه في الزلزلة العظيمة التي أصابت الناس في عهد أبي بكر حتى لجؤا إليه فضرب الأرض بيده ، ثم قال : ما لك اسكني فسكتت فعجبوا من ذلك »[٦] .

وقريب منه في زمن الإمام زين العابدين والإمام الباقر عليهما السلام حيث حرك

---

١ ـ الاختصاص : ١٢ / ٢٧٢ معجزة لأميرالمؤمنين عليه السلام .

٢ ـ الاختصاص : ١٢ / ٣٢٥ غرائب احوالهم .

٣ ـ فضائل ابن شاذان: ١٠٦ و ١٠٧ خبر ضرب الماء ، والخرايج والجرايح : ١٦٧ باب ٢ .

٤ ـ جامع كرامات الأولياء : ٢ / ٤٠٧ .

٥ – مجموعة ورام : ٦٢٣ .

٦ ـ دلائل الإمامة : ٢ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٧٩ باب غرائب أفعالهم .

الأرض فزلزت ورجفت [١] ، وكذا في زمن الإمام الهادي [٢] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قصته مع اليوناني أنه ضرب بيده على اسطوانة عظيمة على رأسها سطح مجلسه الذي هو فيه وفوقه حجرتان فاحتملها مع الحيطان فغشي على اليوناني ... » [٣] .

وفي قصة بيعة أمير المؤمنين عليه السلام للخليفة الأول جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام الى المسجد وأرادت أن تدعو على القوم فيقول سلمان : لقد رأيت حيطان المسجد ارتفعت حتى لو أن رجلاً يريد أن ينفذ لنفذ » [٤] .

ومن هذا الباب قلع أمير المؤمنين عليه السلام لباب خيبر حتى قال : « *والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً ؛ بقوة جسدية ولا حركة غذائية، لكن أُيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة ، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء* »[٥].

وقد تواتر قلع أميرالمؤمنين عليه السلام لباب خيبر [٦] .

وروي ان ضربته لمرحبة كادت أن تشق الأرض نصفين [٧] .

وعن حذيفة وكعب الأحبار في قدرة المهدي عليه السلام : « فيكبر المهدي سبع تكبيرات فيخر كل سور منها [القسطنطينية] » [٨] .

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين : ٨٩ ، والهداية الكبرى : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ باب ٦ .

٢ – الهداية الكبرى : ٣٢٢ باب ١٢ .

٣ ـ مناقب آل أبي طالب : ٢ / ٣٠١ معجزات أمير المؤمنين .

٤ ـ وفاة الزهراء : ٦٣ ، والاحتجاج : ٥٦ ، والمسترشد للطبري : ٣٨٢ ، ومشارق أنوار اليقين : ٨٥ .

٥ – أمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ والطرائف : ٥١٩ .

٦ ـ شرح نهج البلاغة لابن ميثم : ١ / ٨٨ ، وأعلام الورى : ١٨٣ .

٧ ـ مشارق أنوار اليقين : ١١٠ .

٨ ـ عقد الدرر : ١٨٠ ـ ١٨١ الباب التاسع .

وقال عليه السلام لمن سأله عن معاوية ومجلسه: « لو أقسمت على الله أن آتي به قبل أن أقوم من مجلسي هذا ومن قبل أن يرتد الى أحدكم طرفه لفعلت ، ولكنا كما وصف الله عز من قائل: ﴿ **عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾[1].

وفي قصة الإمام الكاظم مع علي البزاز وإحضار الإمام للكتاب من الكوفة الى مكة ما يدل على ذلك [2].

وفي قصة أمير المؤمنين عليه السلام مع سلمان ما يشهد لتصرف الأمير عليه السلام بالدنيا وما فيها[3].

* *أقول* : يأتي التصريح في الطائفة السادسة من النحو الثاني إطاعة كل شيء لأهل البيت عليهم السلام بسبب إعطائهم الإسم الأعظم فكن من ذلك على ذكر.

تقريب الاستدلال :

وهذه الأحاديث أيضاً صريحة في إعطاء الله لهم الولاية والتصرف ببعض الأمور الكونية .

وأما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى الآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين، وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم

---

١ ـ الهداية الكبرى : ١٢٥ .

٢ ـ الهداية الكبرى : ٢٦٨ الباب ٩ .

٣ – الأنوار النعمانية : ٤ / ٢٣٨ .

من آيات تدل على هذه الطوائف .

لو شئت مسخهم في دارهم مسخوا أو شئت قلت لها يا ارض انخسف

وان أسماءك الحسنى إذا تليت على مريض شفى عن سقمه وكفى [١] .

---

١ - مشارق أنوار اليقين : ١٧٧ .

الطائفة الثالثة:

قدرة آل محمد على طي الأرض وتثبيتها واستقرار الجبال والسماء

-فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « ...ان وصيي لأفضل الأوصياء ...ومن ولده الأئمة الهداة بعدي، بهم يمسك السماء ان تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم ... أولئك أولياء الله حقاً ... » [١].

-وفي الزيارة المطلقة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام التي رواها ابن قولويه بإسناد صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام: «... وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم وتستقر جبالها على مراسيها... إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم » [٢].

-وفي الزيارة الجامعة: « .. وبكم يمسك السماء ان تقع على الأرض إلّا بإذنه»[٣].

-وعن أبي جعفر عليه السلام: « جعلهم الله أركان الأرض ان تميد بأهلها » [٤].

-وعن أمير المؤمنين عندما زلزلت الأرض قال: « كأنكم قد هالكم، وحرك شفتيه وضرب الأرض بيده، ثم قال: مالك اسكني فسكنت ... » [٥].

---

١ ـ الاختصاص: ١٢ / ٢٢٤ حديث في الأئمة.

٢ ـ كامل الزيارات: ٢٠٠ الباب ٧٩.

٣ ـ بحار الأنوار: ١٠٢ / ١٤٤.

٤ ـ بصائر الدرجات: ١٩٩ باب انه جرى لهم ما جرى للرسول.

٥ ـ بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٧٩ باب غرائب افعالهم، ودلائل الإمامة: ٢.

وعن المهلب انه رأى الإمام الصادق عليه السلام يمشي على الماء [١].

ـ وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: « إن الأوصياء لتطوى لهم الأرض، ويعلمون ما عند أصحابهم » [٢].

* أقول: روايات طيّ الأرض للائمة عليهم السلام جميعاً من الروايات المتواترة فمن أراد الاطمئنان فليراجع الهامش [٣].

وسوف يأتي في روايات الإسم الأعظم إطاعة كل شيء لهم.

تقريب الاستدلال:

وهذه الطائفة أيضاً صريحة بإعطائهم التصرف بالأرض والسماء والجبال.

نعم في هذه الطائفة انه بآل محمد عليهم السلام يمسك الله السماء ان تقع، وتستقر الجبال وعدم إمادة الأرض.

وهذا كما يفسر بقدرتهم على هذه الأمور وتصرفهم فيها، كذلك يحمل على أنهم وسائط بين الله وبين خلقه يرفع عنهم العذاب لمكانتهم من الله تعالىٰ.

وهذا صحيح إلّا ان كونهم واسطة في الفيض، يعني أن آل محمد مظهراً ودالاً لأعمال الله عزت الاؤه في عباده، فكل أمر يريده الله ان يتحقق في عالم

---

١ ـ دلائل الإمامة: ١١٤ معاجزه.

٢ ـ الاختصاص: ١٢ / ٣١٦ طي الأرض لهم.

٣ ـ الاختصاص: ١٢ / ٣١٥ الى ٣٢٥، وبحار الأنوار: ٢٥ / ٣٦٨، وبصائر الدرجات: ٣٩٧ الى ٤٠٢ باب ما أعطوا من القدرة في السير في الأرض، واعلام الورى: ٣٣٢، والهداية الكبرى: ٢٣٩ ـ ٢٦٦، وفضائل ابن شاذان: ٩١، ودلائل الإمامة: ٢١١ ـ ١١٤ معاجز الرضا، والخرايج والجرايح: ٣٤٢ ـ ٣٤٣ باب ١٠، والأنوار النعمانية: ٢ / ٩٣ طي الأرض للمهدي عج.

الامكان لابد ان يتوسط بهم ويصدر من عندهم أو عبرهم حتى يصل الى العبد.

وهذا ما نبغيه من الولاية المظهرية لآل محمد عليهم السلام، فليست هي في عرض ولاية الله، ولا في طول ولايته كما تقدم، بل هي مظهر لولاية الله وآثاره وتصرفاته.

وعليه يحمل حديث «*السلطان ظل الله في الأرض*»[1].

قال الإمام الخميني قدس سره: *إن سلسلة الوجود ومنازل الغيب ومراحل الشهود من تجليات قدرته تعالىٰ ودرجات بسط سلطنته ومالكيته، ولا ظهور لمقدرة إلّا مقدرته، ولا إرادة إلّا إرادته، بل لا وجود إلّا وجوده، فالعالم كما أنه ظلّ وجوده ومرشحة جوده، ظلُّ كمال وجوده*[2].

والظل هو الحاكي عن الشيء وخصوصياته، وخلفاء الله كذلك، يرشدون الى الله ويجسدون بأفعالهم كل ما يقرب الى الله تعالى.

* أما صحة روايات هذه الطائفة، فهي كالطوائف السابقة مروية من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون ومع ملاحظة الطوائف الأُخرى الآتية يقطع الإنسان بصدقها فيصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف.

---

١ - أمالي الطوسي: ٦٣٤ ح ١٣٠٧، وتوحيد الصدوق: ١٢٩ ح ٨.

٢ ـ شرح دعاء السحر: ١٢٣ ـ ١٢٢.

الطائفة الرابعة :
قدرتهم على تحويل الماهيات

كتحويل التراب الى دنانير وذهب وجواهر ، وإيجاد ما لم يكن ، وتغير الإنسان الى حيوان .

ـ فعن إبراهيم بن موسى قال أَلْحَحْتُ على أبي الحسن الرضا عليه السلام في شيء أطلبه منه فكان يعدني ، فقلت : جعلت فداك هذا العيد قد أظلنا ولا والله ما أملك درهماً فما سواه ، فحك سوطه الأرض حكاً شديداً ، ثم ضرب بيده فتناول منه سبيكة ذهب ، ثم قال : « استنفع بها واكتم ما رأيت » [1] .

ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لنا خزائن الأرض ومفاتيحها ولو أشاء أن أقول بإحدى رجلي أخرجي ما فيك من الذهب [لأخرجت] ثم قال بإحدى رجليه فخطها في الأرض خطاً فانفرجت الأرض ، ثم [أشار] بيده ، فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر فتناولها ، ثم قال : « انظروا فيها حسناً حسناً حتى لا تشكون ... » [2] .

ـ وعن أميرالمؤمنين عليه السلام قال : « يا فلان أترى نريد الدنيا فلا نعطاها ، ثم قبض قبضته من الحصى فإذا هي جواهر » [3] .

ـ وعن أبي هاشم الجعفري قال : شكوت الى أبي محمد الحسن بن علي

---

١ ـ ارشاد الشيخ المفيد : ٢ / ٢٥٨ دلائل وأخبار الإمام الرضا ، وأصول الكافي : ١ / ٤٠٨ ، والاختصاص : ١٢ / ٢٧٠ .

٢ ـ الاختصاص : ١٢ / ٢٦٩ خزائن الأرض للائمة ، وبصائر الدرجات : ٣٧٤ باب أنهم أعطوا خزائن الأرض .

٣ ـ الاختصاص : ١٢ / ٢٧١ معجزة للاميرالمؤمنين عليه السلام .

[العسكري] عليه السلام الحاجة، فحك بسوطه الأرض فأخرج منها سبيكة فيها نحو الخمس مائة دينار، فقال: « خذها يا أبا هاشم واعذرنا » [1].

وعن علي بن الحسين عليه السلام في قصة طويلة مع رجل من بلخ قال لزوجته: إن الرجل الذي تهدي إليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة وجميع ما في أيدي الناس تحت ملكه، لأنه خليفة الله في أرضه وحجته على عباده، وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وإمامنا، الى أن يقول: فقال الإمام عليه السلام للرجل: « ما هذا؟

فقال: ماء.

قال الإمام عليه السلام: بل هو ياقوت أحمر، فنظر الرجل فإذا هو قد صار ياقوتا أحمر بإذن الله تعالىٰ.

ثم قال عليه السلام: يا رجل صب الماء فصب حتى امتلأ ثلثا الطست فقال عليه السلام: ما هذا؟

قال: هذا ماء.

قال عليه السلام: بل هذا زمرد اخضر، فنظر الرجل إليه فإذا زمرد اخضر ... » [2].

وكان من علامات إمامة الباقر عليه السلام تحويل الأرض ذهبا [3].

وقد حول الإمام الصادق عليه السلام الحائط ذهبا لمن سأله عن علامة الإمامة [4].

ومن علامات إمامة الرضا عليه السلام تحويل قصعة الى ذهب [5].

ومن علامات إمامة العسكري عليه السلام تحويل الآس الى لؤلؤاً [6].

---

١ ـ الإرشاد: ٢ / ٣٢٩ أخبار ومناقب الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٢ ـ بحار الأنوار: ٤٦ / ٤٧ ـ ٤٨ باب معجزات السجاد ح ٤٩.

٣ ـ دلائل الإمامة: ١٠٠ معاجزه.

٤ ـ دلائل الإمامة: ١١٤ و ١٣٦ معاجزه.

٥ ـ دلائل الإمامة: ٢١٢ معاجزه.

٦ ـ دلائل الإمامة: ٢٢٤ معاجزه.

وفي الباب تحويل الإمام الجواد والرضا عليهما السلام التراب والرمل الى ذهب [١].

وما تحويل إمام زماننا ـ عجل الله فرجه ـ للتراب ببعيد [٢].

* *أقول* : ونحو هذه الروايات كثير ومن أراد المزيد فعليه بالهامش [٣].

وعن أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فركض برجله الأرض فإذا بحر فيه سفن من فضة ، فركب وركبت معه حتى انتهى الى موضع فيه خيام من فضة[٤].

وقد حول أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً مستهيناً الى كلب [٥].

وعن أبي حمزة قال : حججت مع الإمام الصادق عليه السلام وذكر بعض كراماته واعتراض الأعرابي عليها . الى أن قال : فقال الأعرابي : نعم ، فدعا الله فصار كلباً في الوقت ومضى على وجهه [٦].

ومن هذا الباب قول النبي لما رأى خيالاً : كن أبا ذر . فكان كما قال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

قال ابن العربي : ولم يرد نص عن الله تعالىٰ ولا عن رسوله في مخلوق أنه أعطي « كن » سوى الإنسان خاصة [٧] ، فظهر ذلك في وقت النبي صلى الله عليه وآله في غزوة

---

١ ـ الخرايج والجرايح : ٣٠١ ـ ٣٠٢ باب ٩ و ٣٤٥ باب ١٠ ، واعلام الورى : ٣٤٣ .

٢ ـ اعلام الورى : ٤٢٢ الفصل الثاني من الباب الثالث من إمامته ، والأنوار النعمانية : ٢ / ٩٣ .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٣٧٤ الى ٣٧٦ باب أنهم أعطوا خزائن الأرض ، وكشف الغمة : ٣ / ٩٤ ، والاختصاص : ١٢ / ٢٧١ ، والأنوار النعمانية : ٢ / ٩٣ .

٤ ـ بصائر الدرجات : ٤٠٥ باب أنهم يسيرون في الأرض من شاؤوا .

٥ ـ الخرايج والجرايح : ٢٠٣ الباب الثاني ، والهداية الكبرى : ١٢٤ ـ ١٢٥ باب ٢ .

٦ ـ كشف الغمة : ٢ / ٤١٢ معجزات الصادق ، والخرايج والجرايح : ٢٦٣ باب ٧ .

٧ ـ مراده به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله .

تبوك فقال: «*كن أبا ذر*» ، فكان هو أبا ذر [١] .

وعن يونس بن ظبيان قال: كنت عند الإمام الصادق عليه السلام مع جماعة قلت : قول الله لإبراهيم : ﴿ **خذ أربعة من الطير فصرهن إليك** ﴾ أكانت أربعة عن أجناس مختلفة أو من جنس واحد؟

قال عليه السلام : «*أتحبون أن أُريكم مثله*»؟

قلت : نعم .

قال عليه السلام :« يا طاووس ، فإذا طاووس طار الى حضرته ، فقال : يا غراب ، فإذا غراب بين يديه ، ثم قال : يا بازي ، فإذا باز بين يديه ، ثم قال : يا حمامة ، فإذا حمامة بين يديه ، ثم أمر بذبحها كلها وتقطيعها ونتف ريشها وأن يخلط ذلك كله بعضه ببعض.

ثم أخذ برأس الطاووس فقال : يا طاووس ، فرأينا لحمه وعظامه وريشه يتميز من غيره حتى إلتزق ذلك برأسه وقام الطاووس بين يديه حياً .

ثم صاح بالغراب ، فقام حياً وبالباز والحمامة فقامتا كذلك حتى قامت كلها أحياء بين يديه » [٢] .

وعن عمر في حديثه مع سلمان الفارسي قال : كان بيد علي عليه السلام قوس فلما صرنا في الجبانة رمى بقوسه من يده فصار ثعباناً عظيماً مثل ثعبان موسى عليه السلام فتح فاه وأقبل نحوي ليبتلعني، فلما رأيت ذلك صار قلبي من الخوف وتنحيت وضحكت في وجه علي عليه السلام وقلت له: الأمان يا علي بن أبي طالب اذكر ما كان بيني وبينك من الجميل .

---

١ - الإنسان الكامل : ٦٢ عن الفتوحات المكية الباب ٣٦١ .

٢ ـ كشف الغمة : ٢ / ٤١٢ معجزات الإمام الصادق عليه السلام ، والخرايج والجرايح : ٢٦٤ ، والمحجة البيضاء : ٤ / ٢٦٥ .

فلما سمع هذا القول استفرغ ضاحكاً . وقال : « لطفت في الكلام فإنا أهل بيت نشكر القليل » .

فضرب بيده الى الثعبان وأخذه بيده وإذا هو قوسه الذي كان بيده .

ثم قال عمر : *يا سلمان إني كتمت ذلك عن كل أحد وأخبرتك به ، يا أبا عبد الله فإنهم أهل بيت يتوارثون الاعجوبة كابراً عن كابر ، ولقد كان إبراهيم عليه السلام يأتي بمثل ذلك ، وكان أبو طالب وعبد الله يأتيان بمثل ذلك في الجاهلية* [1] .

وفي الباب تحويل أمير المؤمنين الماء لحجر والحجر لماء [2] .

وعن أبي بصير قال : حججت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما كنا في الطواف قلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله يغفر الله لهذا الخلق ؟.

فقال : « *يا أبا بصير إن أكثر من ترى قردة وخنازير* .

قال : قلت له : أرينهم .

قال : فتكلم بكلمات ، ثم أمرّ يده على بصري ، فرأيتهم قردة وخنازير » [3] .

وعن أبي إسماعيل السندي قال : قلت [لعلي بن موسى الرضا عليه السلام] : إني لا أحسن شيئاً من العربية ، فادع الله أن يلهمنيها لأتكلم بها مع أهلها، فمسح يده على شفتي فتكلمت بالعربية من وقتي [4] .

والروايات كثيرة في مثل هذه الأمور تحكي حقيقة تصرف أهل البيت عليهم السلام بالكون وتغيير الماهيات، طيول المقام بذكرها .

---

١ ـ الفضائل لابن شاذان : ٦٣ خبر عطرفة الجني .

٢ ـ مشارق أنوار اليقين : ١٧٣ .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٢٧٠ باب أنهم يحيون الموتى .

٤ ـ كشف الغمة : ٣ / ٩٤ في إثبات امامة الرضا عليه السلام .

تقريب الاستدلال :

وهذه الطائفة صريحة في إعطائهم القدرة التكوينية للتصرف ببعض الأمور الكونية .

وصحيح أن هذه الطائفة تبين نماذج للتصرف التكويني إلّا بعض أحاديثها كان يعلق المسألة على إرادتهم ومشيئتهم ، وأنهم متى أرادوا ان يتصرفوا لكان لهم ، وهذا يستفاد منه سعة قدرتهم المظهرية على التصرف ، وأنه يشمل الكثير من الأمور الكونية، كما سوف نبينه في مفاد الأدلة .

أما صحّة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى الآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة الخامسة :

إطاعة الشجر لآل محمد وقدرتهم على إثماره في حينه وأنه بنورهم وببركتهم تنبت الأرض

عن الإمام الصادق عليه السلام في مدح ووصف الإمام عليه السلام : « *حجج الله ودعائه ورعاته على خلقه ، يدين بهديهم العباد وتستهل بنورهم البلاد ، وينمو ببركتهم التلاد* »[1] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام في ذكر آل محمد: « *بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار ، وبنا نزل غيث السماء ونبت عشب الأرض، بعبادتنا عبد الله ، ولولا نحن ما عبد الله* » [2] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في مدح الأئمة عليهم السلام : « وبهم يسقي خلقه الغيث وبهم يخرج النبات » [3] .

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : قال : إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له أرني آية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لشجرتين : « اجتمعا » ، فاجتمعتا ، ثم قال : « تفرقا » فافترقا ورجع كل واحدة منهما الى مكانهما .

---

١ ـ أصول الكافي : ١ / ٢٠٣ و ٢٠٤ باب نادر في فضل الإمام ح ٢ .

٢ ـ التوحيد للصدوق : ١٥٢ باب ١٢ ح ٨ .

٣ ـ الاختصاص : ١٢ / ٢٢٤ حديث في الأئمة .

قال : فآمن الرجل [١] .

وإطاعة الشجر لرسول الله كثير في بداية الدعوة [٢] .

وفي الباب اطاعة الشجر للإمام الكاظم في إثبات إمامته [٣] .

ـ وعن الحرث قال : خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهى الى العاقول[٤] فإذا هو بأصل شجرة قد وقع لحاؤها وبقي عمودها فضربها بيده ، ثم قال : « *ارجعي بإذن الله خضراء مثمرة* » ، فإذا هي تهتز بأغصانها حَمْلها الكمثري ، فقطعنا وأكلنا وحملنا معنا ، فلما كان من الغد غدونا فإذا نحن بها خضراء فيها الكمثري [٥] .

ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام قال : « خرج الحسن بن علي في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير ... نزلوا تحت نخل يابس . فقال الزبيري : لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه .

فقال له الحسن عليه السلام : *وإنك لتشتهي الرطب* .

قال : نعم ، فرفع الحسن عليه السلام يده الى السماء ودعا بكلام لم يفهمه الزبيري فاخضرت النخلة ، ثم صارت الى حالها وفارقت وحملت رطباً [٦] .

وقريب منه روي عن الإمام الجواد عليه السلام وإثمار الشجر اليابس في حينه[٧].

---

١ ـ بصائر الدرجات : ٢٥٣ قدرتهم في اطاعة الشجر .

٢ ـ الهداية الكبرى : ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٨٧ .

٣ ـ أعلام الورى : ٢٩٢ .

٤ ـ معطف الوادي .

٥ ـ بصائر الدرجات : ٢٥٤ .

٦ ـ بصائر الدرجات : ٢٥٦ ، وكشف الغمة : ٢ / ١٨٣ ـ ١٨٤ عبادة الإمام الحسن عليه السلام .

٧ ـ الخرايج والجرايح : ٣٣٧ باب ١٠، وجامع كرامات الأولياء : ١ / ١٣٦ .

وأيضاً روي عن أمير المؤمنين عليه السلام [١].

- وروي أنه نزل أبو جعفر الباقر عليه السلام بواد فضرب خباه ، ثم خرج أبو جعفر بشيء حتى انتهى الى النخلة فحمد الله عندها بمحامد لم أسمع بمثلها ، ثم قال : « *أيتها النخلة أطعمينا ما جعل الله فيك* » .

قال : فتساقط رطب أحمر وأصفر فأكل ومعه أبو أمية الأنصاري ، فأكل منه وقال : « *هذه الآية فينا كالآية في مريم إذ هزت إليها بجذع النخلة فتساقط عليها رطباً جنياً* » [٢].

- ونحوه عن أبي عبد الله عليه السلام وأنه هو الذي طلب من النخلة [٣].

- وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قدرة المهدي عليه السلام : « ويغرس [المهدي] قضيباً في بقعة من الأرض فيخضر ويورق » [٤].

وفي الزيارات السبع المطلقة للإمام الحسين عليه السلام والتي رواها ابن قولويه بسند صحيح من الإمام الصادق عليه السلام : « *وبكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخرج الأرض أثمارها وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها* » [٥].

وفي الباب قصة الإمام الصادق عليه السلام المعروفة في إتيان العنب في غير

---

١ ـ الخرايج والجرايح : ٢٠٣ باب ٢ ، والهداية الكبرى : ١٥٣ باب ٢ .

٢ ـ بصائر الدرجات : ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، وكشف الغمة : ٢ / ٤١١ معجزات الصادق عليه السلام ، ودلائل الإمامة : ٩٧ معاجزه ، والخرايج والجرايح : ٢٤٣باب ٦ .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، وكشف الغمة : ٢ / ٤١١ معجزات الصادق عليه السلام ، والهداية الكبرى : ٢٥٥ .

٤ ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر : ١٣٨ الباب السادس ، والهداية الكبرى : ٤٠٤ ، والأنوار النعمانية : ٢ / ٨٨ .

٥ ـ كامل الزيارات : ٢٠٠ باب ٧٩ .

أوانه[1].

وعن الإمام الرضا عليه السلام في قصة أكل الصورتين الأسدين لرجل كان عند المأمون قال: « *فإن الله إعطاني من طاعة سائر خلقه* مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصورتين إلّا جهال بني آدم » [2].

* أقول: يأتي في روايات الإسم الأعظم ما يؤكد هذه الطائفة.

تقريب الاستدلال:

الأحاديث المتقدمة صريحة في إعطائهم القدرة والتصرف، واطاعة الشجر عبارة عن تسخيره لهم وقدرتهم على التصرف بأمور الكون من شجر وثمر ونحوه.

وهذه الطائفة من أوضح الطوائف على التصرف الكوني لأن معنى اطاعة كل شيء لآل محمد أنهم متى أحبوا أن يفعلوا شيئاً أو أرادوا فإن ذلك الشيء بحكم إطاعته لهم سوف يستجيب لهذه الرغبة والحب فيما أوتيه من قوة.

ان قيل: هذا يصح في حدود قدرة كل شيء وهي مختلفة؟

قلنا: الله أجل من أن يسخر الأشياء لآل محمد عليهم السلام، ثم يسلبها القدرة بل هو من اللغو.

أما كون المراد من بعض هذه الروايات العلة الغائية لتعبيرها « بنا ».

فإن كان المراد بالعلة الغائية التوسط في إيصال الخير وأن لولاهم لما رزقنا فهو لا ينافي التصرف لأن حقيقة التصرف صدور الشيء من المتصرف،

١ ـ جامع كرامات الأولياء: ٢ / ٥، والروض الفائق: ١٥٨ مجلس ٤١، وغرر البهاء الضوي: ٣٢٨.

٢ ـ دلائل الإمامة: ١٩٩ معاجزه.

وتوسط الرزق بهذا المعنى صدور للرزق من أهل البيت عليهم السلام بإذن الله تعالىٰ .

وإن أُريد منه الاستقلالية في التصرف ، فمحال للزوم الشريك لله وهو الغلو .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون ، وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى الآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة السادسة :

تسخير الجن والإنس والشياطين والملائكة والطيور والدواب

ـ فعن أبي عبد الله عليه السلام عندما سئل عن الإمام فوّض الله إليه كما فوضى الى سليمان عليه السلام ؟

فقال : « نعم » [١] .

ـ وفي حديث: « كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله أعطى ، وإذا دعا به اجاب ، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا » [٢] .

وقد أعطى الله سليمان بقوله تعالىٰ : ﴿ **ولسليمان الريح ...ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه** ﴾ وقال : ﴿ **ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك** ﴾ وقال عز من قائل: ﴿ **وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء** ﴾ [٣] .

وقد كان للإمام الصادق عليه السلام جماعة من الجن تخدمه [٤] .

ـ وعنه عليه السلام قال : « إن الله فوّض الى سليمان بن داود فقال ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب** ﴾ وفوض الى نبيه صلى الله عليه وآله فقال ﴿ **ما اتيكم الرسول**

١ ـ أصول الكافي : ١ / ٤٣٨ في معرفتهم أوليائهم ح ٣ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٢٩ .

٢ ـ بصائر الدرجات : ٢١١ في أنهم أعطوا الإسم الأعظم .

٣ ـ سبأ : ١٢ ، والأنبياء : ٨١ ـ ٨٢ ، والنمل : ١٦ .

٤ ـ الأنوار النعمانية : ١ / ٣٢٨ .

فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا ﴾ فما فوّض الى رسول الله فقد فوضه إلينا » [١].

-وعن علي بن الحسين عليه السلام: « يا أبا حمزة علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ».

ونحوه عن أبي جعفر عليه السلام [٢].

-وعنه عليه السلام: « يا ابن مسلم كل شيء خلقه الله من طين أو بهيمة أو شي فيه روح هو أسمع لنا وأطوع من ابن آدم » [٣].

-وعن أمير المؤمنين عليه السلام: « إن الله علمنا منطق الطير كما علمه سليمان ابن داود ومنطق كل دابة في بر وبحر » [٤].

-وعنه عليه السلام في قدرة المهدي: « فيومىء المهدي (عج) الى الطير فيسقط على يده » [٥].

والروايات في ذلك كثيرة فلتراجع [٦].

-وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث طويل جاء فيه: « *وإن الملائكة تنزل علينا في رحالنا، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون، وتصلي معنا وتدعو لنا، وتلقي علينا أجنحتها، وتتقلب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل*

---

١ ـ بصائر الدرجات: ٣٨٥ فإن ان ما فوّض للرسول فرض إليهم.

٢ ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر: ١٣٨ الباب السادس، وبصائر الدرجات: ٣٤٢ باب أنهم يعرفون منطق الطير، وبحار الأنوار: ٤٦ / ٢٣ ح ٣ باب معجزات الإمام زين العابدين، والاختصاص: ١٢ / ٢٩٣.

٣ ـ بصائر الدرجات: ٣٤٢ باب أنهم يعرفون منطق الطير، وبحار الأنوار: ٤٦ / ٢٣ ح ٣ باب معجزات الإمام زين العابدين.

٤ ـ بصائر الدرجات: ٣٤٤.

٥ ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر: ١٣٨ الباب السادس.

٦ ـ بصائر الدرجات: ٣٤١ ـ الى ٣٥٤، وإلزام الناصب ٢ / ٣٣١ آيات الرجعة.

إلينا، وتأتينا مما في الأرض من كل نبات في زمانه ، وتسقينا من ماء كل أرض ، نجد ذلك في آنيتنا ، وما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلّا وهي تنبهنا لها » [١] .

* أقول : يأتي في روايات الإسم الأعظم ما يؤكد هذه الطائفة [٢] .

تقريب الاستدلال :

ما تقدم من طوائف كان تسخيراً للأمور المادية الجمادات، واما هذه الطائفة ففيها تسخير الأمور التي تمتلك الشعور .

ولا يفرق بين هذه الأمور والأمور المادية ، لأنهما كلاهما من مخلوقات الله الموجودة بهذا الكون ، فالتصرف فيها تصرف تكويني لا محال .

على أن مثل الجن والملائكة ونحوهم كانوا يتصرفون بالأمور الكونية لصالح آل محمد عليهم السلام وامتثالاً لأوامرهم ، وهذا تصرف تكويني غير مباشر .

كما نسب التصرف التكويني لسليمان عليه السلام في إتيان آصف بعرش بلقيس، وما ذلك إلّا لأمر سليمان إياه ، ولكونه وصيّه عنده لا يعمل إلّا بأمره ، ومما لا شك فيه أن سليمان كان أعلم وأقدر منه على ذلك ، ولكن فسح له المجال لمكانه منه ، ولكونه وصيه وخليفته كما في بعض الروايات [٣] .

فكذلك آل محمد هم أفضل واعلم واقدر من هؤلاء الموجودات ، إنما الله سخرها لهم لمكان فضلهم ورُتَبِهم عنده عزّ وجلّ .

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٧٤ باب غرائب افعالهم من كتاب الإمامة ح ٢٤ .

٢ ـ الطائفة السادسة من النحو الثاني .

٣ ـ الاختصاص : ٩٣ ، والخرايج والجرايح : ١٧ .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى الآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة السابعة :

التفويض لآل محمد في تنزل الرحمة وصرف العذاب

عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل جاء فيه: « نحن مصابيح الحكمة ونحن مفاتيح الرحمة » [1].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث جاء فيه : « *ونحن الذين بنا تنزل الرحمة، وبنا تسقون الغيث ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب* » [2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « الأئمة من ولدك تسقى بهم أمتي الغيث وبهم يستجاب دعاءهم ، وبهم يصرف الله عنهم البلاء ، وبهم تنزل الرحمة من السماء».

وأومأ الى الحسن فقال : هذا أولهم ، وأومأ الى الحسين وقال : الأئمة من ولده» [3].

وعنه صلى الله عليه وآله في ذكر الأئمة : « *...بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض ، وبهم يمسك السماء ان تقع على الأرض إلّا بإذنه ، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم*» [4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام : « بهم يدفع الضيم ، وبهم ينزل الرحمة وبهم يحيي

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٥ / ٢٢ .

٢ ـ بصائر الدرجات : ٦٣ باب أنهم حجة الله وبابه ، وبحار الأنوار : ٢٦ / ٢٤٩ ح ١٨ باب جوامع مناقبهم .

٣ ـ دلائل الإمامة : ٨٠ ذكر علي ومناقبه .

٤ ـ الاختصاص : ٢٢٤ حديث في الأئمة .

ميتاً وبهم يميت حياً »[١].

وعنه عليه السلام في وصف الأئمة عليهم السلام : « جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم»[٢].

ونحوه عن أبي جعفر عليه السلام [٣].

وعنه عليه السلام : « جعلنا الله عينه في عباده ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة »[٤].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت »[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: « *لو ان الإمام رفع من الأرض ساعة لساخت بأهله، ولماجت كما يموج البحر بأهله* »[٦].

وفي الباب أحاديث كثيرة[٧].

تقريب الاستدلال:

تعتبر هذه الطائفة قسم ومصداق مما يأتي في الطائفة الثالثة من النحو الثاني من الأدلة على كونهم واسطة في الفيض.

---

١ ـ التوحيد : ١٦٧ باب ٢٤ ح ١.

٢ ـ أصول الكافي : ١ / ١٩٧ ح ٢ و ٣ باب أنهم اركان الأرض.

٣ ـ أصول الكافي : ١ / ١٩٧ ح ٢ و ٣ باب أنهم اركان الأرض.

٤ ـ التوحيد : ١٥١ باب ١٢ ح ٨.

٥ ـ بصائر الدرجات : ٤٨٨ باب أن الأرض لا تبقى بغير إمام ، وأصول الكافي : ١ / ١٧٩ باب أن الأرض لا تخلو منه ح ١٠.

٦ ـ بصائر الدرجات : ٤٨٨ ، وأصول الكافي : ١ / ١٧٩ ح ١٢.

٧ ـ بصائر الدرجات : ٤٨٨ ، وأصول الكافي : ١ / ١٧٩ ح ١٢.

فصرف العذاب واستقرار الأرض وعدم وقوع السماء، وكونهم أماناً للأمة من الغرق ، وانه لولاهم لساخت الأرض بأهلها، كل هذه الأمور لكونهم وسائط فيض الله تعالىٰ ونعمه .

ويأتي هناك أن كونهم وسائط بنفسه قدرة تكوينية على التصرف في الأمور التي وسطهم الله فيها، وان ولايتهم على هذه الأمور من باب المظهرية والمرآتية والإذنية، لا في طول ولاية الله ولا في عرضها .

وتقدم أن كونهم واسطة في الرزق والرحمة لا ينافي التصرف التكويني .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق كما تقدم تصل الى حدّ التواتر.

الطائفة الثامنة :

التفويض لآل محمد في إبراء المرضى وكشف الضر

في الحديث الصحيح عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام وقلت لهما : أنتما ورثة رسول الله؟

قال عليه السلام : « نعم » .

قلت : فرسول الله وارث الأنبياء عَلِمَ كلّما علموا؟

فقال لي : « نعم » .

فقلت : أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤا الأكمه والأبرص؟

فقال لي : « نعم بإذن الله » .

ثم قال : « ادن مني يا أبا محمد ، فمسح يده على عيني ووجهي وأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في الدار . قال: *أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة ، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً* » .

قلت : أعود كما كنت .

قال : فمسح على عيني فعدت كما كنت .

قال علي : فحدثت به ابن أبي عمير . فقال : أشهد أن هذا حق كما أن النهار حق[1] .

---

١ ـ بصائر الدرجات : ٢٨٩ ج ٦ باب ٣ ح ١ .

* أقول: وفي الباب من قصة أبو بصير روايات كثيرة [١].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: الأئمة يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء؟

قال عليه السلام: « *ما أعطى الله نبياً شيئاً إلّا وقد أعطاه محمداً صلى الله عليه وآله، وأعطاه ما لم يكن عندهم* » [٢].

وعن مالك الأشتر قال: خرج أمير المؤمنين فخرجنا معه، فإذا بالباب رجل مكفوف ورجل أزمن ورجل أبرص، فقال لهم أمير المؤمنين: « ماذا تصنعون ببابي في هذا الوقت »؟

قالوا: يا أمير المؤمنين جئناك تشفينا مما بنا، فمسح أمير المؤمنين يده المباركة عليهم فقاموا من غير زمن ولا عمى ولا برص [٣].

وفي الزيارة الجامعة: « بكم ينفس الهم ويكشف الضر ».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: « *بهم يدفع الله الضيم وبهم ينزل الرحمة* » [٤].

وعن الأصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً فيه قطع أمير المؤمنين ليد أحد السارقين، ثم أعادها كما كانت بإذن الله [٥].

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام كثيراً ما يشفي المرضى [٦].

---

١ ـ بصائر الدرجات: ٢٦٩ الى ٢٧٢ باب أنهم يحيون الموتى، والمحجة البيضاء: ٤ / ٢٤٩، والهداية الكبرى: ٢٤٣ ـ ٢٤٤ با ٧.

٢ ـ بصائر الدرجات: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

٣ ـ الهداية الكبرى: ١٦٠ باب ٢.

٤ ـ التوحيد: ١٦٧ باب ٢٤ ح ١.

٥ ـ الفضائل لابن شاذان: ١٧٣ ذيل الكتاب، وجامع كرامات الأولياء: ١ / ١٢٦.

٦ ـ جامع كرامات الأولياء: ١ / ١٢٦.

وأُتي علي بن الحسين بطفل مكفوف فمسح عينيه فاستوى بصره، وبأبكم فكلمه فأجابه وتكلم، وبمقعد فمسح عليه فسعى ومشى [١].

ومسح يده على وجه حبابة الوالبية فشفيت من برصها [٢].

وروي عن الإمام الباقر خبر حبابه [٣].

وجيىء بمكفوف للإمام الباقر عليه السلام فمسح يده عليه فاستوى قائماً يعدو كأن لم يكن بعينه ضرر [٤].

وجيىء للإمام الهادي عليه السلام برجل في ذراعه بياض فمسح عليها فبرئت [٥].

وفي الباب إشفاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله للأبكم والأبرص والمجانين [٦].

ومسح الإمام الرضا عليه السلام على فم اكتم فتكلم [٧].

وأعاد الإمام الجواد عليه السلام بَصَرَ محمد بن ميمون وشفى كثيراً من المرضى [٨].

وفي الباب إشفاء الإمام المهدي المنتظر عليه السلام لرجل [٩].

أقول: سوف يأتي في روايات إعطائهم الإسم الأعظم أنهم به يشفون

---

١ ـ المحجة البيضاء: ٤ / ٣٤٩.

٢ ـ دلائل الإمامة: ٩٣ معاجزه.

٣ ـ المحجة البيضاء: ٤ / ٢٤٩.

٤ ـ دلائل الإمامة: ٢١١ معاجزه.

٥ ـ دلائل الإمامة: ٢٢٢ معاجزه.

٦ ـ التوحيد: ٤٢٣ ح ١ باب ٦٥.

٧ ـ الخرايج والجرايح: ٣٠٣ باب ٩.

٨ ـ الخرايج والجرايح: ٣٣٤ باب ١٠، والمحجة البيضاء: ٤ / ٣٠٦، والهداية الكبرى: ٣٠١ باب ١١.

٩ ـ الهداية الكبرى: ٣٩٨.

المرضى ويبرؤون الأعمى والأبرص كما كان يفعل عيسى عليه السلام [١].

تقريب الاستدلال :

إشفاء المرضى وإبراء الأعمى والأبرص من معاجز أهل البيت عليهم السلام وهي من الأمور المسلمة ان في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله أو في عصر الأئمة جميعاً صلوات الله عليهم.

إنما الكلام في تحليل هذا الابراء هل هو من باب استجابة الدعاء، لأن دعاء كل آل محمد مستجاب [٢]، أم انه من باب قدرتهم وولايتهم المظهرية أو التكوينية؟

وإذا رجعنا الى الروايات نجدها تشبه آل محمد بعيسى، وأنهم كانوا يبرؤون الأعمى والأبرص، كما كان عيسى يبرئهم، ومعلوم ان عيسى كان يفعل ذلك بإذن الله تعالىٰ ومن باب ولايته لذا اتهم بالربوبية.

إن قلت: الحال واحد في آل محمد وفي عيسى من باب استجابة الدعاء.

قلنا: إن ألسنة الدعاء معروفة وموجودة في رواياتهم عليهم السلام ، فكانوا يأمرون شيعتهم بالدعاء، واحياناً يدعون لهم ودعاؤهم مستجاب، وغالباً ما يكون الدعاء بلفظ : اللهم ...».

---

١ ـ في الطائفة السادسة من النحو الثاني من الأدلة.

٢ ـ يراجع الفصول المهمة : ٢١٥ ـ ٢١٦، ذخائر العقبى : ٧٤ و ١٤٥، وعيون أخبار الرضا: ١ / ١٦٩ ـ ١٧٠ و ٢ / ٢٢٦، وإلزام الناصب : ١ / ٢٤، وربيع الابرار : ٢ / ٢٤٩، وكشف الغمة : ٢ / ٤٠٣ ـ ٤١١ ـ ٤١٣ ـ ٤١٥ ـ ٣٨١ ـ ٣٧٢ ـ و ٣ / ١٥٧ ـ ٨٠، وكتاب مجابي الدعوة: ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٥ ـ ٣٧ ـ ٧٠ ح ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ٤٢ ـ ١١٢، وامالي الشجري : ١ / ١٦٠، وأعلام الورى : ٤٢٢، وجامع كرامات الأولياء : ٢ / ٢٢٧ ..

كما في دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة: « *اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهما تطهيرا* » [١].

وهذا غير قوله تعالىٰ : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ لأنه هذا من باب إرادة الله المظهرية أو التكوينية التي لا تتخلف، اما الدعاء فليس هو من باب الإرادة المظهرية أو التكوينية التي لا تتخلف ، إنما هو وعد من الله باستجابة ادعية آل محمد ، ووعد الله حق .

على أنه يوجد روايات لا تشبههم بعيسى ، بل مباشرة تثبت لهم القدرة على هذا التصرف .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى الآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

---

١ ـ ينابيع المودة : ١٧٥ ـ ١٧٧ ط . اسلامبول و٢٠٦ ط . نجف، وجواهر العقدين : ٣٠٢ باب ٨، ومناقب آل أبي طالب : ٢ / ١١١ ، والمعجم الكبير : ٢٤ / ١٣٥ و ٢٢ / ٤١٢ .

الطائفة التاسعة :

التفويض الى آل محمد في إحياء الموتى وإماتة الأحياء

* *أقول* : تقدم التصريح بإحيائهم للموتى في خبر أبي بصير وأبي حمزة الثمالي في الطائفة الثامنة .

- وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أخبرني عن النبي ورث النبيين كلهم؟

قال : نعم ،

قلت : من لدن آدم حتى انتهت الى نفسه؟

قال : *ما بعث الله نبياً إلّا ومحمد أعلم منه* .

قال : قلت : إن عيسى ابن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله تعالىٰ .

قال : صدقت ، وسليمان بن داود كان يَفْهم منطق الطير ، وكان رسول الله يقدر على هذه المنازل . الى أن قال : وإن الله يقول في كتابه : ﴿ **ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى** ﴾ وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحيى به الموتى » [1] .

- وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خبر طويل جاء فيه: « يا سلمان ويا جندب: ***أنا أحيي وأميت بإذن ربي ، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئـمة مـن أولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا ، لأنّا كلنا واحد أولنا محمد آخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد ، فلا تفرقوا بيننا ، ونحن إذا شئنا شاء الله ، وإذا كرهنا***

١ ـ إلزام الناصب : ٢ / ٣٣١ الآيات القرآنية المشعرة بالرجعة عموماً عن الكافي .

كره الله ، الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا ، لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزّ وجلّ ومشيئته فينا » [١].

- وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث تبيين ان علمهم من القرآن قال : « فعندنا ما يقطع به الجبال ويقطع به البلدان ويحيىٰ به الموتى بإذن الله » [٢].

- وقريب منه عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث كشفه عن بصر أبي بصير حيث سأله : أنتم تقدرون ان تحيوا الموتى وتبرؤوا الأكمه والأبرص؟

فقال الإمام : « نعم بإذن الله » [٣].

- وفي خبر طويل رواه ابن شاذان عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه أحيىٰ رجلاً من شيعته [٤].

- وروى الصفار خبراً آخر عنه عليه السلام وأنه أحيىٰ رجلاً في عهد النبي صلى الله عليه وآله [٥].

- وعن الفتح الجرجاني قال : قلت للرضا عليه السلام : جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق؟

قال : إن الله تعالىٰ يقول: ﴿ تبارك الله احسن الخالقين ﴾ *فقد أخبر أن في عباده خالقين منهم عيسى ابن مريم ، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله »* [٦].

سئل الإمام الرضا عليه السلام عن مسائل منها قيل له : جعلت فداك وغير الخالق

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٦ ـ ٧ باب نادر في معرفتهم بالنورانية من كتاب الإمامة ح ١ .

٢ ـ بصائر الدرجات : ١١٥ / ح ٣ باب أنهم ورثوا علم آدم .

٣ ـ المحجة البيضاء : ٤ / ٢٤٩ كرامات الإمام الباقر ، والخرايج والجرايح : ٢٤٥ الباب السادس .

٤ ـ فضائل ابن شاذان : ٦٧ شفاعة الأئمة وإحياء الموتى لعلي .

٥ ـ الهداية الكبرى : ٦٩ الباب الأول ، وبصائر الدرجات : ٢٧٣ باب أنهم أحيوا الموتى .

٦ ـ التوحيد للصدوق : ٦٣ باب ٢ باب التوحيد ح ١٨ .

الجليل خالق ؟

قال عليه السلام : *إن الله تبارك وتعالى يقول:* ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1] *فقد أخبر أن في عباده خالقين منهم عيسى ابن مريم خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله والسامري خلق لهم عجلاً جسداً له خوار.*

قلت: إن عيسى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوته والسامري خلق عجلاً جسداً لنقض نبوة موسى عليه السلام وشاء الله أن يكون ذلك كذلك إن هذا لهو العجب.

فقال عليه السلام : *ويحك يا فتح إن لله إرادتين ومشيتين إرادة حتم وإرادة عزم ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك ولو لم يشأ لم يأكلا ولو أكلا لغلبت مشيتهما مشية الله وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشية الله عزّ وجلّ..* [2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في ذكر آل محمد صلى الله عليه وآله : « بهم ينزل الرحمة وبهم يحيي ميتاً وبهم يميت حياً » [3].

وعن الإمام الرضا عليه السلام في حديثه مع الجاثليق: « لقد اجتمعت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه ان يحيي لهم موتاهم ، فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اذهب الى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قوموا بإذن الله ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين ، وكلمه البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه رباً

---

(١) سورة المؤمنون : ١٤ .

٢ ـ التوحيد : ٦٤ ح ١٥ باب التوحيد و نفي التشبيه .

٣ ـ التوحيد للصدوق : ١٦٧ باب ٢٤ ح ١ .

من دون الله عزّ وجلّ »[١].

وعنه عليه السلام لمن قال ان علامة الإمام تكليم ما وراء البيت وان يحيي الموتى: *« أنا أفعل ، اما الذي معك فخمسة دنانير ، وأما أهلك فإنها ماتت منذ سنة ، وقد أحييتها الساعة وأتركها معك سنة أُخرى ، ثم أقبضها إلي لتعلم أني إمام »*[٢].

وعن جميل الدراج قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخلت عليه أمرأة فذكرت أنها تركت ابنها بالملحفة على وجهه ميتا . قال لها : « لعله لم يمت ، فقومي فاذهبي الى بيتك واغتسلي وصلي ركعتين وادعي وقولي : يا من وهبه لي ولم يك شيئاً جدد لي هبته ، ثم حركيه ولا تخبري بذلك أحداً » .

قال : ففعلت ، فجاءت فحركته فإذا هو بكى [٣] .

وفي الباب أيضاً إحياء الإمام الصادق عليه السلام لامرأة وطيور وبعض الحيوانات، والنبي صلى الله عليه وآله لصبية وخاروف وشاة ، وإحياء الإمام الجواد عليه السلام لطفل ابن سنان ، وإحياء علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله ولبعض أصحابه ولأصحاب الكهف ، وإحياء الإمام السجاد عليه السلام لامرأة ، وإحياء الإمام الكاظم عليه السلام لحيوان، والإمام الحسين عليه السلام لامرأة[٤] .

وتقدم إحياء الإمام الصادق عليه السلام لعدة طيور ، كما أحياها إبراهيم في

---

١ ـ التوحيد للصدوق : ٤٢٣ باب ٦٥ ح ١ باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام .

٢ ـ دلائل الإمامة : ١٨٧ معاجزه .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٢٧٢ باب أنهم احيوا الموتى بإذن الله .

٤ ـ بحار الأنوار : ٤٦ / ٤٧ ـ ٤٨ باب معجزات السجاد ح ٤٩ ، والهداية الكبرى : ٣٠٧ باب ١١ ، والخرايج والجرايح : ٢٧٩ – ٢٢٥ ـ ٢٤٥ ، ومشارق أنوار اليقين : ٨٨ فصل ٥ ، ومناقب آل أبي طالب : ١٣١ ، وبصائر الدرجات : ٢٧٢ – ٢٧٤ ، وفضائل ابن شاذان : ١٧٣ ، وكشف الغمة : ٢/ ٤١١ ، والاختصاص : ١٢ / ٢٧٣ ، ومناقب آل أبي طالب : ١ / ١٣٢ في اعجاز النبي ، والأنوار النعمانية : ٢٩ ـ ٣٠ ، والهداية الكبرى : ١٥٩ باب ٢ و٤٥ ـ ١١٢ ـ ٢٥٦ باب ٨ .

الطائفة الرابعة .

* *أقول* : وسوف يأتي في الطائفة الآتية أحاديث إحياؤهم للموتى، ويأتي أيضاً في الطائفة السادسة من النحو الثاني من الأدلة روايات إعطائهم الإسم الأعظم وانه به يحيون الموتى ، فكن من ذلك على ذكر .

تقريب الاستدلال :

* أقول : إحياء الموتى في هذه الطائفة من أعظم التصرفات التي يمتلكها آل محمد عليهم السلام ، وإذا سلم بعض المنكرين لولايتهم المظهرية أو التكوينية ، فإنه لا يسلمها في الإحياء والاماتة أو الخلق ، وما ذاك إلّا لكون الإحياء من مختصات الله عزت آلاؤه .

ولكن يأتي أن التصرف لآل محمد بالإحياء لا ينافي كونه من مختصات الله عزّ وجلّ ، إذ لا نريد أن نثبت إحياءهم للموتى بالاستقلال ، بل هو لا أقل نظير ولاية الملائكة المدبرة في الإحياء والاماتة كما يأتي مفصلاً .

وعلى كل حال فهذه الأدلة المتكثرة من أكثر آل محمد تفيد وقوع الإحياء منهم للإنسان والحيوان ، وتدل على تصرفهم التكويني في الاماتة والإحياء .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون ، وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى الآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة العاشرة :
التفويض الى آل محمد في الخلق والرزق والقدرة

قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام : « مَن خصّه الله بالروح فقد فوّض إليه أمره أن يخلق بإذنه »[١].

ـ وعن الفتح الجرجاني قال : قلت للرضا عليه السلام : جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق؟

قال : إن الله تعالىٰ يقول: ﴿ **تبارك الله احسن الخالقين** ﴾ *فقد أخبر أن في عباده خالقين منهم عيسى ابن مريم ، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله* »[٢].

وفي زيارات أبي عبد الله الحسين عليه السلام التي رواها ابن قولويه بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيها:« بكم يباعد الله الزمان الكلب ، وبكم يمحو الله ما يشاء وبكم يثبت، وبكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخرج الأرض أثمارها وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم ينزل الله الغيث، إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم »[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خبر طويل جاء فيه:« وصرت أنا صاحب أمر النبي صلى الله عليه وآله قال الله: ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ وهو روح الله

---

١ ـ الهداية الكبرى : ٢٣٠ الباب السادس .

٢ ـ التوحيد للصدوق : ٦٣ باب ٢ باب التوحيد ح ١٨ .

٣ ـ كامل الزيارات : ٢٠٠ الباب ٧٩ .

لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلّا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب، *فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس، وفوض إليه القدرة واحيى الموتى*» [١].

وقال عليه السلام: قال تعالىٰ ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ ولا يعطى هذا الروح إلّا من فوّض إليه الأمر والقدر، وأنا أحيي الموتى » [٢].

وعن جابر الجعفي في حديث طويل مع الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه:

قلت: يا سيدي وما معرفة روحه؟

قال عليه السلام: «*أن يعرف كل من خصّه الله تعالىٰ بالروح فقد فوّض إليه أمره؛ يخلق بإذنه ويحيي بإذنه ... فمن خصه الله تعالىٰ بهذا الروح فهذا كامل غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن الله* » [٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قصة المرأة التي ماتت فأحياها فقال لملك الموت: «*ألست أمرت بالسمع والطاعة لنا* ».

قال: بلى.

قال: « فإني أمرك ان تأخر أمرها عشرين سنة ».

قال: السمع والطاعة [٤].

وعنه عليه السلام في حديث طويل في وصف الإمام: «وغشاه من نور الجبار يمد بسبب الى السماء، لا ينقطع عن مواده ولا ينال ما عند الله إلّا بجهة أسبابه ... تستهل بنورهم البلاد وينمو ببركتهم التلاد، جعلهم الله حياة للأنام ومصابيح للظلام » [٥].

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٥ باب نادر في معرفتهم بالنورانية ح ١.
٢ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٦١.
٣ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ١٤ ـ ١٥ باب نادر في معرفتهم بالنورانية ح ٢.
٤ ـ الخرايج والجرايح: ٢٦٣ الباب السابع.
٥ ـ أصول الكافي: ١ / ٢٠٣ باب نادر في فضل الإمام ح ٢.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل جاء فيه: « نحن مصابيح الحكمة ، ونحن مفاتيح الرحمة ، ونحن ينابيع النعمة ...ونحن الوسيلة الى الله والوصلة»[١].

وفي الزيارة الجامعة : « بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث » [٢].

وفي دعاء الندبة: « أين السبب المتصل بين الأرض والسماء » [٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام في وصف آل محمد: « نحن الذين بنا تنزل الرحمة وبنا تسقون الغيث » [٤].

وقريب منه عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وبهم يسقي خلقه الغيث » [٥].

وعن على بن الحسين عليه السلام : « *إن الله يقسم في ذلك الوقت* (النوم قبل طلوع الشمس) *أرزاق العباد وعلى أيدينا يجريها* » [٦].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه أخرج مائدة مستوى عليها كل حار وبارد [٧].

وأخرج عليه السلام أيضاً الماء من الصخر [٨].

وعن الإمام الهادي عليه السلام أنه ضرب الأرض فأخرجت البر والدقيق [٩].

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٥ / ٢٢ .

٢ ـ بحار الأنوار : ١٠٢ / ١٤٤ .

٣ ـ البحار : ١٠٢ / ١٠٤ .

٤ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٤٩ ، وبصائر الدرجات : ٦٣ باب أنهم حجة الله و بابه .

٥ ـ الاختصاص : ١٢ / ٢٢٤ .

٦ ـ بحار الأنوار : ٤٦ / ٢٤ باب معجزات السجاد ح ٥ .

٧ ـ دلائل الإمامة : ٩٥ معاجزه و٩٧ .

٨ ـ دلائل الإمامة : ٩٥ معاجزه و٩٧ .

٩ ـ دلائل الإمامة : ٢١٨ معاجزه .

وفي الحديث المستفيض عن قدرة الصديقة فاطمة عليها السلام ، وهي قصة انزال مائدة السماء :

قال المحب الطبري بعد ذكر قصة الدينار وتصدق علي عليه السلام به : ... فوضع النبي صلى الله عليه وسلم كفه المباركة بين كتفي علي ثم هزها وقال : يا علي هذا ثواب الدينار وهذا جزاء الدينار ، هذا من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، ثم استعبر النبي صلى الله عليه وسلم باكياً وقال : الحمد لله كما لم يخرجكما من الدنيا ، حتى يجريك في المجرى الذي أجرى فيه زكريا ، ويجريك يا فاطمة في المجرى الذي أجرى فيه مريم ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا** ﴾ . خرجه الحافظ الدمشقي في الأربعين الطوال [١] .

أقول : قصة إنزال مائدة رواها الفريقان بعدة ألفاظ متقاربة [٢] .

تقريب الاستدلال :

ما تقدم في الطائفة التاسعة من احيائهم للموتى يؤيد ما ورد هنا من إعطائهم التصرف وقدرتهم في الخلق ، لأن الإحياء صحيح هو إحياء لميت كان مخلوق إلّا انه في النهاية خلق جديد لاستحالة اعادة المعدوم .

وإعطاؤهم الرزق تقدم ما يدل عليه في كثير من الطوائف ، نعم كان بألفاظ

---

١ - ذخائر العقبى : ٤٦ ـ ٤٧ ذكر ما ظهر لها من الكرامة .

٢ ـ كشف الغمة : ٢ / ٩٦ فضائل فاطمة ، والمطالب العالية ٤ / ٧٣ ـ ٧٤ ح ٤٠٠١، وفرائد السمطين : ٢ / ٥٢ ، وأهل البيت : ١٢٢، والفضائل الخمسة : ٣ / ١٧٨ ـ ١٧٩ ، وقصص الأنبياء: ٣٧٢ مجلس في قصة زكريا و مريم ـ باب مولد مريم ط . دار الرائد العربي بيروت المصورة عن ط . مصر الحلبي ١٣٧٤ الرابعة ، وتفسير الزمخشري مورد الآية .

إعطائهم مصاديق الرزق ، كالغيث ونبات الأرض والشجر، اما هنا فإن فيه ألفاظ أصرح ، فإن أرزاق العباد على أيديهم تجري ، ومن عندهم تصدر ، وأنهم الوسيلة الى الله في كل الأمور .

وإعطاؤهم القدرة والتي لم ترد إلّا في رواية واحدة (رواية أمير المؤمنين عليه السلام) فهي مؤيدة بما تقدم ويأتي من طوائف التي تثبت مصاديق هذه القدرة ، وبمجموع تلك المصاديق تثبت القدرة المطلقة لآل محمد عليهم السلام في التصرف .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى الآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة الحادية عشر:
قدرتهم على تطهير النفوس وهدايتها وعلمهم بالضمائر

في الزيارة الجامعة : « *جعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا وطهارة لأنفسنا* » [١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم » [٢].

وعنه عليه السلام قال : « إن جويرية بن عمر العبدي خاصمه رجل في فرس انثى فدعيا جميعاً الفرس ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أَلِواحد منكما البينة ؟.

فقالا : لا .

فقال لجويرية : أعطه الفرس .

فقال له : يا أمير المؤمنين بلا بينة؟!

فقال له : « *والله لأنا أعلم بك منك بنفسك* أتنسى صنيعك بالجاهلية الجهلاء، فأخبره بذلك » [٣].

* أقول: أخبار أهل البيت عليهم السلام بما في الضمائر والنفوس من الأمور القطعية وقد تواترت الروايات فيها [٤].

---

١ ـ بحار الأنوار : ١٠٢ / ١٤٤ .

٢ ـ الإنسان الكامل : ١٢٥ باب ٤ .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٢٤٧ باب أنهم يخبرون شيعتهم بأفعالهم ـ ح ١١ .

٤ ـ بصائر الدرجات : ٢٣٥ الى ٢٥٣ باب أنهم يعرفون الاضمار وحديث النفس و٢٥٧ باب أنهم يعلمون من يأتي ابوابهم .

وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل جاء فيه : « *جعلهم الله عمد الإسلام ورابطة على سبيل هداه ، لا يهتدي هاد إلّا بهداهم ، ولا يضل خارج عن الهدى بتقصير عن حقهم* » [1].

وعن الزيات قال : قلت للرضا عليه السلام : ادع الله لي ولأهل بيتي .

فقال : « *أولست أفعل*؟ والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة .

قال : فاستعظمت ذلك فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ قال : هو والله علي بن أبي طالب » [2].

ويؤيد هذه الطائفة روايات عرض الأعمال على آل محمد وهي كثيرة يأتي بعضها في الطائفة الثالثة عشر [3].

تقريب الاستدلال :

تفيد هذه الروايات أن آل محمد عليهم السلام لديهم القدرة على تطهير النفوس وهداية القلوب واخراجها من الظلمات الى النور.

وهذا من الأمور الداخلية المتعلقة بميولات الإنسان وهي من الأمور المظهرية أو التكوينية.

وقد تقدم في دليل الآيات قدرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله على هداية البشرية وإمكان التأثير على التحولات الداخلية للإنسان ، وانه من باب الولاية التي منحها الله له .

---

١ ـ أصول الكافي : ١ / ١٩٨ باب أنهم اركان الأرض ح ٣ .

٢ ـ أصول الكافي : ١ / ٢١٩ باب أن الأعمال تعرض عليهم ج ٤ .

٣ ـ بصائر الدرجات : ٤٢٤ الى ٤٣١ عدة أبواب .

* وصحة مضامين هذه الطائفة واضحة، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان القطع بصحتها.

الفرق بين الهداية التشريعية والمظهرية

الهداية من الله منها ما لا يتخلل سبب بينه وبين العبد، وهي التي لا تتخلف.

ومنها ما تخلل أسباب بين الله وبين العبد والاسباب قد تتخلف.

ثم إن الهداية لله تعالىٰ على أقسام:

١ ـ الهداية التي تشمل كل شيء قال تعالىٰ: ﴿ **الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ [١]

وقال تعالى: ﴿ **الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى** ﴾ [٢].

فهذه الهداية تشمل كل المخلوقات، والله أعطاها لخلقه باعتبار خالقيته.

٢ ـ هداية الله الشاملة للمؤمن والكافر، والتي بمعنى إراءة الطريق قال تعالىٰ: ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ [٣].

فهذه الهداية عامة لكل صاحب شعور وعقل، وهي أخص من الهداية الأولى.

٣ ـ الهداية لغير الظالمين قال تعالىٰ: ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾[٤].

وقال: ﴿ **إن الله لا يهدي من هو كاذب** ﴾ [٥].

---

١ ـ طه: ٥٠.

٢ ـ الاعلى: ٣.

٣ ـ الدهر: ٣.

٤ ـ الجمعة: ٥.

٥ ـ الزمر: ٣.

وقال تعالىٰ : ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (١) .

وقال عز من قائل : ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (٢) .

فهذه الهداية مختصة بغير الفاسقين والظالمين أي مختصة بالمسلمين بشكل عام .

٤ ـ الهداية للمؤمنين قال تعالىٰ : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾ (٣) .

٥ ـ الهداية لخواص المؤمنين قال تعالىٰ : ﴿ قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيماً ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ اولئك الذي هداهم الله واولئك اولوا الالباب ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ ومن ذرية إبراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا ﴾ (٦) .

وقال : ﴿ نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ (٧) .

وهذه الاقسام من الهداية منها ما هو هداية تكوينية من الله تعالىٰ ، كالقسم الأول ، والثاني اعم من المظهرية أو التكوينية والتشريعية ، حيث إن إعطاء الله العقل للمخلوقات هداية تكوينية، اما ارسال الأنبياء فهداية تشريعية .

والخلاصة الهداية المظهرية أو التكوينية لا تتخلف اما التشريعية فقد

---

١ ـ الصف: ٥ .

٢ ـ الحجرات: ١٧

٣ ـ البقرة: ٢٥٧ .

٤ ـ الأنعام: ١٦١ .

٥ ـ الزمر: ١٨ .

٦ ـ مريم: ٥٨ .

٧ ـ النور: ٣٥ .

تتخلف .

هذه بالنسبة لله تعالىٰ .

أمّا بالنسبة لرسول الله وآل بيته الأطهار صلوات المصلين عليهم ، فقد أعطاهم الله الهداية المظهرية أو التكوينية والتشريعية للخلق، اما التشريعية فهي ما يأتي في ذيل الكتاب .

أمّا التكوينة فتقدم في أدلة الآيات ـ الآية الثالثة ـ إن الله أعطاهم هداية الخلق تكويناً ، وأنهم مارسوا هذه الكرامة والولاية في كثير من حياتهم ، ولم تتخلف مرة واحدة ، لأن الهداية المظهرية أو التكوينية لا تتخلف .

لا يقال: كان أهل البيت يهدون بعض الناس فلا يهتدوا .

لأنا نقول: هذا من باب الهداية التشريعية والوعظ .

معنى الهداية وكيفيتها

والهداية هي نتيجة الإيمان والعمل الصالح فمن كان في الضلالة نتيجة المعاصي والذنوب فإنه بعد التوبة والإستغفار وإصلاح أعماله وأموره وترك الباطل والالتزام بالأعمال الصالحة فإنه يدخل حكماً في هداية الله تعالى .

قال السيد الطباطبائي في قوله تعالىٰ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ : الهداية إراءة الشيء الطريق الموصل إلىٰ مطلوبه، أو إيصاله إلىٰ مطلوبه. ويعود المعنيان في الحقيقة إلىٰ معنىً واحد، وهو نوع من إيصال الشيء إلىٰ مطلوبه: إمّا بإيصاله إليه نفسه أو إلىٰ طريقه الموصل إليه.

وقد أُطلق الهداية من حيث المهديّ والمهديّ إليه، ولم يسبق في الكلام إلّا الشيء الذي أُعطي خلقه، فالظاهر أنّ المراد هداية كلّ شيء ـ المذكور قبلاً ـ إلىٰ

مطلوبه، ومطلوبه هو الغاية التي يرتبط بها وجوده وينتهي إليها، والمطلوب هو مطلوبه من جهة خلقه الذي أُعطيه، ومعنىٰ هدايته له إليها تسييره نحوها، كلّ ذلك بمناسبة البعض للبعض.

فيؤول المعنىٰ إلىٰ إلقائه الرابطة بين كلّ شيء بما جهّز به في وجوده من القوىٰ والآلات وبين آثاره التي تنتهي به إلىٰ غاية وجوده؛ فالجنين من الإنسان مثلاً ـ وهو نطفة مصوّرة بصورته ـ مجهّز في نفسه بقوىً وأعضاء تناسب من الأفعال والآثار ما ينتهي به إلَى الإنسان الكامل في نفسه وبدنه، فقد أُعطيت النطفة الإنسانيّة ـ بما لها من الاستعداد ـ خَلْقها الذي يخصّها وهو الوجود الخاصّ بالإنسان، ثمّ هُديت وسُيّرت بما جُهّزت به من القوىٰ والأعضاء نحو مطلوبها؛ وهو غاية الوجود الإنسانيّ والكمال الأخير الذي يختصّ به هذا النوع.

ومن هنا يظهر معنىٰ عطف قوله: ﴿هَدىٰ﴾ علىٰ قوله: ﴿أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ بـ «ثُمّ» وأنّ المراد التأخّر الرتبيّ، فإنّ سير الشيء وحركته بعد وجوده رتبة، وهذا التأخّر في الموجودات الجسمانيّة تدريجيّ زمانيّ بنحو.

وظهر أيضاً أنّ المراد بالهداية الهداية العامّة الشاملة لكلّ شيء دون الهداية الخاصّة بالإنسان، وذلك بتحليل الهداية الخاصّة وتعميمها بإلقاء الخصوصيّات؛ فإنّ حقيقة هداية الإنسان بإراءته الطريق الموصل إلَى المطلوب، والطريق رابطة القاصد بمطلوبه، فكلّ شيء جهّز بما يربطه بشيء ويحرّكه نحوه فقد هدي إلىٰ ذلك الشيء، فكلّ شيء مهديّ نحو كماله بما جهّز به من تجهيز، والله سبحانه هو الهادي.

فنظام الفعل والانفعال في الأشياء ـ وإن شئت فقل: النظام الجزئيّ الخاصّ بكلّ شيء، والنظام العامّ الجامع لجميع الأنظمة الجزئيّة من حيث ارتباط أجزائها وانتقال الأشياء من جزء منها إلىٰ جزء ـ مصداق هدايته تعالىٰ، وذلك

بعناية أُخرىٰ مصداق لتدبيره. ومعلوم أنّ التدبير ينتهي إلَى الخلق بمعنىٰ أنّ الذي ينتهي وينتسب إليه تدبير الأشياء هو الذي أوجد نفس الأشياء فكلّ وجود أو صفة وجود ينتهي إليه ويقوم به.

فقد تبيّن أنّ الكلام ـ أعني قوله: ﴿الّذِي أعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾ ـ مشتمل علَى البرهان علىٰ كونه تعالىٰ ربّ كلّ شيء لا ربّ غيره ؛ فإنّ خلقه الأشياء وإيجاده لها يستلزم ملكه لوجوداتها ـ لقيامها به ـ وملك تدبير أمرها.

وعند هذا يظهر: أنّ الكلام علىٰ نظمه الطبيعيّ، والسياق جارٍ علىٰ مقتضَى المقام ؛ فإنّ المقام مقام الدعوة إلَى التوحيد وطاعة الرسول، وقد أتىٰ فرعون بعد استماع كلمة الدعوة بما حاصله التغافل عن كونه تعالىٰ ربّاً له، وحمل كلامهما علىٰ دعوتهما له إلىٰ ربّهما، فسأل: من ربّكما؟ فكان من الحريّ أن يجاب بأنّ ربّنا هو ربّ العالمين ليشملهما وإيّاه وغيرهم جميعاً، فأُجيب بما هو أبلغ من ذلك فقيل: ﴿ربُّنا الّذِي أعْطىٰ كُلَّ شيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾، فأُجيب بأنّه ربّ كلّ شيء، وأُفيد مع ذلك البرهان علىٰ هذا المدّعىٰ، ولو قيل: ربّنا ربّ العالمين أفاد المدّعى فحسب دون البرهان، فافهم ذلك.

وإنّما أُثبت في الكلام الهداية دون التدبير مع كون موردهما متّحداً ـ كما تقدّمت الإشارة إليه ـ لأنّ المقام مقام الدعوة والهداية، والهداية العامّة أشدّ مناسبة له[1].

---

(١) تفسير الميزان : ١٤ / ١٦٦ .

الطائفة الثانية عشر:
قدرة آل محمد على كشف الحجب والأبصار ورؤية الملكوت وفك القيود واخفاء انفسهم

عن ابن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحوض.

فقال عليه السلام: « *هو حوض ما بين بصرى الى صنعا أتحب ان تراه؟*

فقلت له: نعم.

قال: فأخذ بيدي وأخرجني الى ظهر المدينة، ثم ضرب برجله فنظرت الى نهر يجري من جانبه هذا ماء أبيض من الثلج، ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج، وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت » [١].

ـ وعن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: « تريد ان تنظر بعينك الى السماء »؟

قلت: نعم. فمسح يده على عيني فنظرت الى السماء [٢].

* أقول: هناك روايات كثيرة في كشف بصر وبصيرة أبا بصير ورؤيته الأمور على حقيقتها فلتراجع في مصادرها [٣].

ـ وعن جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله الله عزّ وجلّ: ﴿ وكذلك نُري

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٨١ باب غرائب افعالهم ح ٣٥.

٢ ـ بصائر الدرجات: ٢٧٠ باب أنهم يحيون الموتى، والخرايج والجرايح: ٢٤٥ الباب السادس.

٣ ـ بصائر الدرجات: ٢٦٩ الى ٢٧٢، ومناقب آل أبي طالب: ٤ / ١٨٤، والهداية الكبرى: ٢٤٤ ـ ٢٤٣ باب ٧.

إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ قال : فكنت مطرقاً الى الأرض فرفع يده الى فوق ، ثم قال لي : ارفع رأسك .

فرفعت رأسي فنظرت الى السقف قد انفجر حتى خَلُص بصري الى نور ساطع حار بصري دونه .

ثم قال لي: « *رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض هكذا؟!!* » [١] .

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام تستطيع ان تصعد السماء؟

فقال : « نحن صنعناها فكيف لا نستطيع ان نصعد الى ما صنعناه !!، نحن حملة العرش ونحن على العرش والعرش والكرسي لنا ، ثم أعطاني طلعاً في غير أوانه» [٢].

وقيل للإمام الهادي عليه السلام تستطيع ان تصعد الى السماء تأتي بشيء ليس في الأرض حتى نعلم ذلك (بامامتك) .

فارتفع عليه السلام في الهواء وأنا انظر إليه حتى غاب ، ثم رجع ومعه طير من ذهب، فقال : هذا من طيور الجنة ، ثم سيبه فرجع [٣] .

وفي الباب صعود أمير المؤمنين عليه السلام الى السماء [٤] .

وكشفه عليه السلام عن الجنة والنار لاصحابه [٥] .

وكشف الإمام الحسين عليه السلام عن بصر أم سلمة حتى رأت كربلاء ومقتل آل محمد فيها [٦] .

---

١ ـ بصائر الدرجات : ٤٠٥ باب أنهم يسيرون في الأرض من شاؤوا .

٢ ـ دلائل الإمامة : ٨٦ معاجزه .

٣ ـ دلائل الإمامة : ٢١٨ معاجزه .

٤ ـ مشارق أنوار اليقين : ٢١٨ .

٥ ـ الخرايج والجرايح : ١٦٦ الباب الثاني .

٦ ـ الخرايج والجرايح : ٢٣١ الباب الرابع .

وكشف النبي صلى الله عليه وآله عن بصر أبي بكر وهو من الأمور المشهورة [١].

وكشف الإمام العسكري عليه السلام عن أبصار شيعته [٢].

ومسح الإمام زين العابدين علي عليه السلام عيني أبا خالد ورؤيته الجنة [٣].

والإمام الباقر عليه السلام ضرب بيده الأرض فإذا دجلة والفرات تحت قدميه [٤].

والإمام الصادق عليه السلام أرى داود الرقي الجنة وأهل البيت عليهم السلام فيها [٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لعمر: « *الإمام يرى الأرض ومن عليها ولا يخفى عليه من أعمالهم شيء* » [٦].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « *إن الإمام لا يخفى عليه شيء مما في الأرض ولا مما في السماء، وإنه ينظر في ملكوت السموات فلا يخفى عليه شيء، ولا همهمة ولا شيء فيه روح، ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بامام* » [٧].

وفي قصة عروج رسول الله صلى الله عليه وآله الى قاب قوسين أو أدنى ما يفصح عن الحق، حيث قال الباري لنبيه في حجب النور: « انظر تحتك ».

قال النبي صلى الله عليه وآله: « فنظرت الى الحجب قد انخرقت والى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت الى علي عليه السلام وهو رافع رأسه إليّ فكلمني وكلمته، وكلمني ربي».

قال لي: « يا محمد إني جعلت علياً وصيك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأعلمه فيها هو يسمع كلامك ».

---

١ ـ الهداية الكبرى: ٨٥ الباب الأول.

٢ ـ الهداية الكبرى: ٣٣٣.

٣ ـ دلائل الإمامة: ٩١ معاجزه.

٤ ـ دلائل الإمامة: ١١٣ معاجزه.

٥ ـ دلائل الإمامة: ١٤٢ معاجزه.

٦ ـ الهداية الكبرى: ١٧١ باب ٢.

٧ ـ الأنوار النعمانية: ١ / ٣٣.

« فأعلمته وأنا بين يدي ربي ، فقال لي عليه السلام : قد قبلت وأطعت أمر الله » .

الى أن قال النبي صلى الله عليه وآله : « *فعلمت إني لم أطأ موطأً إلّا وقد كشف لعلي عنه حتى نظر إليه* » [١] .

وعن صالح بن سعيد قال : دخلت الى أبي الحسن عليه السلام فقلت : جعلت فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أُنزلت هذا الخان الأشنع خان الصعاليك .

فقال : « هيهنا أنت يا ابن سعيد ، ثم أومأ بيده فقال : انظر » .

فنظرت فإذا بروضات أنقات وروضات ناضرات فيهن خيرات عطرات ، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون ، وأطيار وظباء وأنهار تفور ، فحار بصرى وإلتمع وحسرت عيني .

وقال عليه السلام : « حيث كنا فهذا لنا عتيد ولسنا في خان الصعاليك » [٢] .

وعن المسيب قال سمعته (الإمام الكاظم عليه السلام) يدعو ففقدته عن مصلاه فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيته قد عاد الى مكانه ، وأعاد الحديد الى رجليه ، فخررت لله ساجداً [٣] .

وعن الزهري قال : شهدت علي بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة الى الشام فأثقله حديداً ، ووكل به حفاظاً في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له ، فأذنوا لي ، فدخلت عليه وهو في قبة والاقياد في رجليه والغل في يديه ، فبكيت وقلت : وددت إني في مكانك وأنت

---

١ ـ الأنوار النعمانية : ١ / ٣٢ ـ ٣٣ .

٢ ـ اعلام الورى : ٣٤٨ ، وبصائر الدرجات : ٤٠٦ ، وأصول الكافي : ١ / ٤٩٨ باب مولد أبي الحسن علي بن محمد ح ٢،

٣ ـ عيون أخبار الراضا : ١ / ٨٤ باب وفاة الكاظم ح ٦ ، ومناقب آل أبي طالب :٤ / ٣٠٣ باب امامة الكاظم ـ خرقه للعادات .

سالم.

فقال لي: «*يا زهري أوتظن هذا مما ترى علي وفي عنقي مما يكربني؟ أما لو شئت ما كان*، وانه ان بلغ بك وبأمثالك غمرٌ [1] ليذكر عذاب الله».

ثم أخرج يده من الغل ورجليه من القيد [2].

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما سئل أن يريهم العلامات.

قال عليه السلام لتسعة منهم: «اكشفي غطاءك»، فإذا كل ما وصف الله في الجنة نصب أعينهم مع رَوحها وزهرتها [3].

وقال المفضل: كان بين أبي عبد الله عليه السلام وبين بعض بني أمية شيء فدخل أبو عبد الله عليه السلام على الديوان.

فقام الى البوابين فقال: من أدخل علي هذا؟

قالوا: لا والله ما رأينا أحداً [4].

أقول: الروايات عدة في إمكان إخفاء أنفسهم فلتراجع [5].

ومن هذا الباب إلانة الحديد لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقطيعه، وكذلك للإمام الكاظم عليه السلام [6].

---

١ – شدة.

٢ ـ كشف الغمة: ٢ / ٢٨٨ ذكر الإمام علي بن الحسين، ودلائل الإمامة: ١٧٢ ـ ١٥٢ معاجزه، وجامع كرامات الأولياء: ٢ / ٢٥٦، والمحجة البيضاء: ٤ / ٢٤٢.

٣ ـ الاختصاص: ١٢ / ٣٢٦ ـ ٣٢٥ غرائب احوالهم.

٤ – بصائر الدرجات: ٤٩٤.

٥ ـ بصائر الدرجات: ٤٩٤ ـ ٤٩٥ باب أنهم إذا دخلوا على سلطان وأحبوا ان يحال بينهم وبينه فعلوا.

٦ ـ الهداية الكبرى: ٦٧ ـ ٦٨ الباب الأول و ٢٦٦ الباب التاسع.

فذلكة

أقول: قد يقال أيهما أفضل كشف الحجب والسموات من الأرض، كما حصل لأميرالمؤمنين عليه السلام حتى نظر الى رسول الله صلى الله عليه وآله بين يدي ربه.

أم كشف الحجب والسموات من العرش، كما حصل لرسول الله صلى الله عليه وآله حتى نظر الى علي وهو في الأرض؟!

وفي كليهما نظر، والأوفق بحال سيد البشر وأخيه أن يقال بعدم الفرق بين الكشفين، لأن القرب في قوله تعالىٰ: ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ قرب معنوي وليس بمكاني، فكما يكون الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قريب من جلال عظمة الله، وهو في حجب النور، كذلك يكون علي عليه السلام قريب من جلال نور الله وهو في منزله أو مسجده.

نعم لعروج رسول الله صلى الله عليه وآله فضيلة حيث إنه عرج الى مكان لم يصل إليه أحد، حتى أن جبرائيل قال: « لو دنوت أُنملة لاحترقت » كما تقدم.

وفي المقابل الكشف من الأرض وبلا عروج أشرف من الكشف بعده لمكان القرب والبعد المكانيين والزمانيين.

هذا إضافة الى أن علي عليه السلام أيضاً نظر من مكان وإلى مكان لم يُنظر إليه أحد.

نعم الكشف بانضمام العروج والاسراء أفضل.

على أن عروج النبي الأعظم صلى الله عليه وآله قد تكرر أكثر من مرة فقد روى ابن

العربي أنه أربعة وثلاثين مرة [١].

وعلى كل حال يأتي في ذيل الكتاب الثاني، وتقدم بعضها هنا أحاديث المساواة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمير المؤمنين عليه السلام، فبمقتضاها يساوى بين الكشفين.

وهذا بحث نظري فتدبر، إذ لا مجال ولا محصل للجزم به.

تقريب الاستدلال :

وهذه الطائفة واضحة في قدرتهم على فعل الأمور المذكورة في الروايات، وهي من المصاديق الواضحة على التصرف في الأمور الكونية، ونموذجاً معروفاً للولاية المظهرية أو التكوينية.

* أما صحة مضامين هذه الطائفة، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى المتقدمة والآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف.

---

١ - اليواقيت والجواهر: ٢ / ٣٥ مبحث ٣٤، والمواهب اللدنية: ٢ / ٣٤١ الاسراء والمعراج، وتاريخ الخميس: ١ / ٣٠٧ ولوامع الأنوار: ٢ / ٢٨٩.

الطائفة الثالثة عشر:
رؤية الأموات لآل محمد وحضورهم عند كل ميت

قال الإمام الصادق عليه السلام : « إذا بلغت نفس أحدكم هذه قيل له: أما ما كنت تحزن مِن هَمِ الدنيا وحزنها فقد أمِنت منه ويقال له : أمَامَك رسول الله وعلي وفاطمة عليهم السلام »[١].

وفي حديث آخر عنه : « أمامك رسول الله وعلي والأئمة عليهم السلام »[٢].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله .. وذكر الحديث الى أن يقول : ثم يقول ملك الموت : ارفع رأسك وطرفك وانظر فيرى دون العرش محمداً على سرير بين يدي عرش الرحمان ، ويرى علياً على كرسي بين يديه ، وسائر الأئمة عليهم السلام على مراتبهم الشريفة بحضرته، ثم يرى الجنان »[٣].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : *والذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة أو من شجر الزقوم، وحتى يرى ملك الموت ويراني ويرى علياً وفاطمة والحسن والحسين*، فإن كان يحبنا قلت : يا ملك الموت ارفق به فإنه كان يحبني وأهل بيتي . وإن كان يبغضني ويبغض أهل بيتي قلت : يا ملك الموت شدد عليه فإنه كان يبغضني ويبغض أهل

---

١ - بحار الأنوار : ٦ / ١٨٤ ح ١٧ باب ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت ، والكافي : ٣ / ١٣٤ ح ١٠ .
٢ - بحار الأنوار : ٦ / ١٨٤ ح ١٨ .
٣ - بحار الأنوار : ٣ / ١٩٠ ح ٣٣ .

بيتي، لا يحبنا إلّا مؤمن ولا يبغضنا إلّا منافق شقي »[١].

وفي قصة السيد الحميري ورؤيته لأميرالمؤمنين عليه السلام عند موته ما يؤيد ذلك وأنشد في ذلك شعراً:

كذب الزاعمون أن علياً ... لم ينجي محبه من هنات

قد وربي دخلت جنة عدن ... وعفا لي الإله عن سيئآتي

فأبشروا اليوم أولياء علي ... وتولوا علي حتى الممات

ثم من بعده تولوا بنيه ... واحداً بعد واحد بالصفات[٢]

وهو في ذلك يشير الى ما سلف منه حيث كان كيسانياً يقول برجعة ابن الحنفية، ثم تاب ورجع الى القول بالأئمة الاثنى عشر ، ففي يوم وفاته وعند خروج روحه إسْودَّ وجهه شيئاً فشيئاً حتى اسود بأكمله ففرح النواصب الحاضرون ، ثم ظهرت نقطة بيضاء حتى ابيض وجهه ففرح وضحك وانشد هذا الشعر .

وعن أسماء بنت عميس قالت : إنَّا لعند علي بن أبي طالب عليه السلام بعد ما ضربه ابن ملجم إذ شهق شهقة ، ثم أغمي عليه ثم أفاق فقال : « مرحباً مرحباً *الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الجنة* » .

فقيل له: ما ترى؟!

قال : « هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون يسلمون علي ويبشروني .

---

١ – أهل البيت لتوفيق أبو علم: ٦٨ ـ ٦٩ الباب الثاني ، وبشارة المصطفى : ٦ ح ٧ مع تفاوت بسيط .

٢ – كشف الغمة : ٢/٠ ٣٩ ـ ٤٠ مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، والبحار : ٦ / ١٩٢ ح ٤٢ باب ما يعاني المؤمن والكافر عند الموت .

وهذه فاطمة عليها السلام قد طاف بها وصائفها من الحور ، وهذه منازلي في الجنة لمثل هذا فليعمل العاملون » (١).

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام حضور أصحاب الكساء : رسول الله وعلي وفاطمة والحسن عند استشهاد الإمام الحسين عليه السلام (٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « ويمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام » (٣).

وعن الفضل بن يسار عن أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام أنهما قالا : « *حرام على روح ان تفارق جسدها حتى ترى الخمسة: محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً* » (٤).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه لا يموت ميت حتى يشاهده عليه السلام حاضراً عنده وأنشد عليه السلام للحارث الهمداني:

يا حارِ همدان من يمت يرني *من مؤمن أو منافق قبلاً*
يعرفني طرفه واعرفه بعينه (٥) واسمه وما فعلا [عملا] (٦)
أقول للنار وهي توقد (٧) لا تعرضِ ذريه لا تَقْرَبي الرَّجُلا (٨)
ذَريه لا تقربيه ان له حبلاً بحبل الوصي متصلاً

---

١ - ربيع الابرار : ٤ / ٢٠٨ ذيل باب الموت وما يتصل به من ذكر القبر والنعش .
٢ - الهداية الكبرى : ٢٠٦ الباب الخامس ، والأنوار النعمانية : ٣ / ٢٥٥ .
٣ - بحار الأنوار : ٦ / ١٩٦ ح ٤٩ .
٤ - كشف الغمة : ٢ / ٤٠ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام .
٥ - من بحار الأنوار .
٦ - من بحار الأنوار .
٧ - في بحار الأنوار بنعته .
٨ - في بحار الأنوار حين توقف دعيه لا تقتلي .

وأنت يــــا حــــار ان تـمت تـرني فـــــلا تــــخف عــــثرة ولا زللا
اســـــقيك مـــن بــــارد عــلى ظـمأ تـــخاله فـــي الحــلاوة العَسَــلا [1]

وروى ابن أعثم رؤية معاوية عند موته لأمير المؤمنين عليه السلام قال : « ثـم رحل معاوية عن ذلك المكان حتى صار الى الشام فدخل منزله ، واشـتد عـليه مرضه وكان في مرضه يرى أشياء لا تسره ، ... فكان يشرب الماء الكـثير فـلا يروى ، وكان ربما غشي عليه اليوم واليومين ، فإذا أفاق مـن غشـوته يـنادي بأعلى صوته : « *مالي ومالك يا بن أبي طالب إن تعاقب فبذنوبي وإن تغفر فـإنك غفور رحيم* » [2].

وعن سليم في خبر طويل فيه ندم الخليفة الأول والثاني عند الموت جاء فيه:

فقال له عمر : يا خليفة رسول الله لم تدعو بالويل والثبور .

قال أبو بكر : هذا رسول الله ومعه علي بن أبي طالب يبشرانني بالنار ومعه الصحيفة التي تعاهدا عليها في الكعبة وهو يقول صلى الله عليه وآله :

«*لقد وفيت بها وظاهرت على ولي الله فأبشر أنت وصاحبك بالنار في أسفل السافلين* » [3].

وعن نخلة بنت عبد الله قالت : رايت بعد ان قتل زيد بن علي وصلب بثلاثة أيام فيما يرى النائم كأن نسوة من السماء نزلن عليهن ثياب حسنة حتى احدقن

---

١ – شرح النهج لابن أبي الحديد : ١ / ٢٩٩ الخطبة ٢٠، ورسائل الشريف المرتضي : ٣ / ١٣٣ اجوبة مسائل متفرقة (٣٢) ، وبحار الأنوار : ٦ / ١٧٩ ـ ١٨٠ ح ٧ باب ما يعاني المؤمن عند الموت ، وبشارة المصطفى : ٥ ح ٤ .

٢ – الفتوح لابن أعثم : ٢ / ٦١ ذكر انصراف معاوية عن مكة وما يلي به في سفره من المرض وخبر وفاته .

٣ – ارشاد القلوب : ٢ / ٣٩٢ خبر وفاة أبي بكر ومعاذ .

بجذع زيد بن علي ، ثم جعلن يندبنه وينحن عليه كما ينوح النساء في المأتم .

قالت : ونظرت الى أمرأة قد أقبلت وعليها ثوب لها أخضر يلمع منه نور ساطع حتى وقفت قريباً من أولئك النساء ، ثم رفعت رأسها وقالت : « يا زيد قتلوك يا زيد صلبوك يا زيد سلبوك يا زيد أنهم لن تنالهم شفاعة جدك عليه الصلاة والسلام غداً في يوم القيامة » .

قالت نخلة : فقلت لإحدى النسوة تلك: من هذه المرأة الوسيمة من النساء؟

فقالوا : هذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله [١] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « *يا علي إن محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم ، وعند المساءلة في القبور وأنت هناك تلقنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرفهم* » [٢] .

- هذه جملة من روايات حضور الأئمة عليهم السلام عند الميت ، وهناك روايات مستفيضة في هذا الباب عليك بمراجعة مصادرها [٣] .

تقريب الاستدلال :

هذه الروايات تثبت حضور أصحاب الكساء عند كل ميت ، ولكن يبقى الإشكال من جهة إمكان حضورهم في آن واحد عند أكثر من ميت وفي أكثر من

---

١ - الفتوح لابن الاعثم : ٣ / ٢٩٥ ذيل خبر زيد بن علي .

٢ - بحار الأنوار : ٦ / ٢٠٠ ح ٥٦ .

٣ - راجع الكافي : ٣ / ١٢٨ ح ١ الى ١٣ باب ما يعاين المؤمن والكافر ، وبحار الأنوار : ٦ / ١٧٣ ح ١ الى ٥٦ باب ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت من كتاب العدل والمعاد، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٣١١ ـ ٣١٢ سورة يونس قوله تعالىٰ : لهم البشرى ، وتفسير الميزان : ١٠ / ٩٩، ومشارق أنوار اليقين : ١٩٠ .

مكان، وأيضاً في إمكان رؤيتهم بروحهم وجسدهم وبمثاله.

أمّا بالنسبة للإشكال الثاني، فقد جوّز ابن العربي رؤية النبي محمد صلى الله عليه وآله بجسمه وروحه وبمثاله الآن [١].

ولتكن هذه الروايات المتقدمة دليلاً على ذلك في آل محمد عليهم السلام.

أمّا بالنسبة للإشكال الأول، فقال تاج الدين السبكي لمن سأله عن رؤية القطب في أكثر من مكان: الرجل الكبير (القطب) يملأ الكون. وأنشد بعضهم:

كالشمس في كبد السماء وضوؤها
يغش البلاد مشارقاً ومغارباً [٢].

وصرح السيوطي بإمكان رؤية الأنبياء يقظة [٣].

وقال في الذخائر المحمدية: إن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ممكن لعامة أهل الأرض في ليلة واحدة [٤].

وأجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال له في آنٍ واحد من اقطار متباعدة مع أن رؤيته صلى الله عليه وآله حق: بأنه صلى الله عليه وآله سراج ونور الشمس في هذا العالم، مثال نوره في العوالم كلها، وكما أن الشمس يراها من في المشرق والمغرب في ساعة واحدة وبصفات مختلفة، فكذلك النبي صلى الله عليه وآله. ولله در القائل:

كالبدر من أي النواحي جئته
يهدي الى عينيك نوراً ثاقباً [٥]

واستدل عليه الحافظ البرسي في مشارقه ببعض الآيات القرآنية فلتراجع [٦].

---

١ - الحاوي للفتاوى: ٢ / ٤٥٠.

٢ - الحاوي للفتاوي: ٢ / ٤٥٤.

٣ - الرسائل العشرة: ١٨، وشرح الشمائل المحمدية: ٢ / ٢٤٦.

٤ - الذخائر المحمدية: ١٤٦.

٥ - المواهب اللدنية: ٢ / ٢٩٧ خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦ - مشارق أنوار اليقين: ١٤٢.

هذا ، وتواتر حديث: « من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل مكاني ـ لا يستطيع أن يتمثل بي ـ لا يتكون في صورتي ـ لا يتشبه بي »[١].

وفي لفظ: « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة »[٢].

وقال العلماء في معناه: هو في الدنيا قطعاً ولو عند الموت لمن وفق لذلك[٣].

وروى الإمام الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « *من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي* »[٤].

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي: رؤيته صلى الله عليه وآله بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال، فإن الصواب ان الأنبياء لا تغيرهم الأرض ، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة ، وإدراك الصفات إدراك المثال[٥].

وقال القسطلاني : فإن قلت : كثيراً يرى على خلاف صورته المعروفة ويراه شخصان في حالة واحدة في مكانين والجسم الواحد لا يكون إلّا في مكان واحد.

---

١ - المواهب اللدنية : ٢ / ٢٩٣ الى ٣٠١ ذكر خصائصه وذكر جملة من المصادر، وكشف الغمة : ٢ / ٢٦٩، وبستان العارفين : ١٨، ومسند أبي يعلى : ١١ / ٣٧٢ ح ٦٤٨٨ و ٢ / ١٨٤ ح ٨٨١، وتاريخ البخاري : ٤ / ٢٩٥، والفردوس بمأثور الخطاب : ٣ / ٦٣٥ ح ٥٩٨٩ ، ومسند احمد : ١ / ٤٦١ ـ ٦٦١ و ٢ / ٤٦٢ و ٢٣٢ و ١ / ٢٨٠ و ٤٠٠ ط . م، والمعجم الكبير : ١٢ / ٣١ ـ ١٦٥.

٢ - المعجم الكبير : ١٩ / ٢٩٧ ح ٦٦٠ منه .

٣ - الذخائر المحمدية : ١٤٧ .

٤ - كشف الغمة : ٣ / ١٢٠ فضائل الرضا ، والأنوار النعمانية : ٤ / ٥٤ .

٥ - المواهب اللدنية : ٢ / ٢٩٤ خصائص النبي صلى الله عليه وآله ، وارشاد الساري : ١٤ / ٥٠٢ كتاب التعبير باب من رأى النبي في المنام .

أجيب : بأنه في صفاته لا في ذاته ، فتكون ذاته عليه الصلاة والسلام مرئية ، وصفاته متخيلة غير مرئية ، فالادراك لا يشترط فيه تحديق الأبصار ولا قرب المسافة، فلا يكون المرئي مدفوناً في الأرض ولا ظاهراً عليها ، وإنما يشترط كونه موجوداً [١] .

ومن حال كثير من العلماء وقصصهم يعلم إمكان رؤية النبي وأهل بيته عليهم السلام ، وكما ذكر ذلك في محله [٢] .

قال الشيخ المرسي: لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وآله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين [٣] .

وبذلك يتضح إمكان رؤية آل محمد عليهم السلام الآن وفي كل مكان ، وتقدم أنهم أحياء عند ربهم ، يرزقون ، بلحمهم وجسدهم وروحهم .

---

١ - ارشاد الساري : ١٤ / ٥٠٣ كتاب التعبير باب من رأى النبي في المنام .

٢ - راجع المواهب اللدنية : ٢ / ٢٩٧ ـ ٣٠١ ، وينابيع المودة : ٢ / ٥٥١ ـ ٥٥٤ ، وكشف الغمة : ١ / ٢٣٩ ـ ٣٨٣ ، وإلزام الناصب : / ٣٤٠ الى ٤٢٧ ، ودلائل الإمامة : ٢٧٣ الى ٢٨٨ و ٢٩٤ الى ٣٢٠ معاجز المهدي ومن رآه ، ، واعلام الورى : ٣٩٦ ـ ٤٢٥ ، وارشاد الساري : ١٤ / ٥٠٢ ٥٠٤ كتاب التعبير باب من رأى النبي في المنام ..

٣ - المواهب اللدنية : ٢ / ٣٠٠ خصائص النبي صلى الله عليه وآله .

تنوير وتطوير

بعد هذه الطائفة من الروايات يتضح إمكان تنقل آل محمد عليهم السلام من مكان الى مكان وحضورهم عند كل ميت، وعند عرض الأعمال على الله ، وفي قبر الميت في عالم البرزخ .

وهذا يدل أن الإمام حاضر عند كل إنسان لا يغيب عنه شخص من الاشخاص، لذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « *إن للشمس وجهين وجه يلي أهل السماء ووجه يلي أهل الأرض ، فالإمام مع الخلق كلهم لا يغيب عنهم ولا يحجبون عنه* »[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « *الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق* »[2].

ويأتي في كتاب العلم أحاديث عمود النور الذي يرى به الإمام العباد وأعمالهم، وروايات إحاطته بكل شيء وانه لا يعزب عنه مثقال ذرة .

ويشهد بما ذكرنا روايات عرض الأعمال على محمد وآل محمد:

فعن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال لمن سأله ان يدعو له : « أولست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة »[3].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام « تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله كل صباح » .

---

١ – مشارق أنوار اليقين : ١٣٩ .

٢ – كمال الدين : ١ / ٢٢١ باب ٢٢ ح ٥ ، والإنسان الكامل : ٨٧ .

٣ – أصول الكافي : ١ / ٢١٩ عرض الأعمال على النبي ح ٤ .

وفي رواية : « ﴿ اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ قال عليه السلام : هم الأئمة » [١].

وأخرج عبدالرزاق عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « أنتم تعرضون علي بأسمائكم وسيمائكم » [٢].

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي ذر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «*عرضت علي أعمال أمتي ـ حسنها وسيئها ـ فوجدت محاسن أعمالهم*»[٣].

وأخرج الحارث والبزار عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « حياتي خير لكم تحدثون ونحدث لكم وموتي خير لكم تعرض علي أعمالكم » [٤].

* أقول : الروايات في عرض الأعمال كثيرة وفي مصادرها مستفيضة [٥].

ويؤيد ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال : « *سلوني قبل أن تفقدوني ، اسألوني عن طرق السموات ، فإني أعرف بها مني بطرق الأرض* » .

فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين أين جبرائيل هذا الوقت؟

فقال : « دعني انظر ، فنظر الى فوق والى الأرض يمنة ويسرة، فقال عليه السلام : «أنت جبرائيل » .

فطار من بين القوم شق سقف المسجد بجناحه، فكبر الناس وقالوا : الله أكبر يا أمير المؤمنين من أين علمت ان هذا جبرائيل .

فقال : « *إني لما نظرت الى السماء بلغ نظري ما فوق العرش والحجب، ولما*

---

١ - أصول الكافي : ١ / ٢١٩ عرض الأعمال على النبي ح ٢ ـ ١ .

٢ - المصنف : ٢ / ٢١٤ ح ٣١١١ عن مجاهد .

٣ - الادب المفرد: ٨٠ ح ٢٣١ باب اماطة الاذى (١١٦) .

٤ - المطالب العالية : ٤ / ٢٢ ح ٣٨٥٣ .

٥ - راجع جامع الأصول: ٦ / ٦٤٨ ح ٤٩٣٦، والرسائل العشرة للسيوطي: ١٩٨ ، والسنن الكبرى: ٣ / ٢٤٩، والفردوس بمأثور الخطاب : ٢ / ١٣٨ ح ٢٧٠١، وصلح الاخوان : ٧٥ .

نظرت الى الأرض خرق بصري طبقات الأرض الى الثرى، ولما نظرت يمنة ويسرة رأيت ما خلق ولم أرَ جبرائيل في هذه المخلوقات ، فعلمت أنه هو » [١].

وهذا يدل على إمكان إحاطة الأمير بالكون بأجمعه في لحظة واحدة ، وتقدم عدة روايات مشابهة في كشفه لحجب السموات وهو في الأرض [٢].

وقال الإمام الصادق في حق الإمام الكاظم عليهما السلام : « بلغ ما بلغه ذو القرنين وجازه بأضعاف مضاعفه ، فشاهد كل مؤمن ومؤمنة » [٣].

الإنكار على انكار علم الهدى

لم ينكر أحد من أصحابنا رؤية آل محمّد لكل ميّت، نعم أوّل السيّد الأجل علم الهدى ذلك بأن معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام للحارث : « من يمت يرني » انه يعلم في ذلك الحال ثمرة ولايته أو انحرافه عنه ، وذلك لاستحالة وجود الأمير في أكثر من مكان .

وقد عرفت في ما تقدّم إمكان تنقل آل محمّد ووجدهم في أكثر من مكان في آن واحد ، وإن أبيت فإن الروايات المتقدّمة تثبته وكفى بها .

وهل يرى مثال أمير المؤمنين عليه السلام [٤] ، أم يرى ببدنه الحقيقي وصورته

---

١ - الأنوار النعمانية : ١ / ٣٢ .

٢ - في الطائفة السابقة : ١٢ .

٣ - الهداية الكبرى : ٢٧٠ باب ٩ .

٤ - فرق المثال عن الجسم اللطيف البرزخي أن المثال يرى فيه الرائي شخص الإمام أو النبي ببدنه وروحه على أوصاف تشير الى الإمام وتدل عليه، ويظن الرائي أنها صورته الحقيقة .
أما جسد البرزخ فهو بدن شفاف بين بدن الدنيا وبدن الآخرة على شكل ما يقال في الأشباح الخيالية.

الأصلية، أم بروحه[١]، أم يرى على شكل الأنوار، أم على نحو الأجسام اللطيفة كما في عالم البرزخ، أم ان رؤية آل محمّد تختلف باختلاف حال الأشخاص؟ وجوه واحتمالات.

وأُستدل للأوّل بما تقدّم في حديث: «ويمثل له رسول الله وعلي وفاطمة عليهم السلام»[٢].

واستدل للثاني بالروايات المتقدمة التي تنص على حضور رسول الله وآله. وللثالث ببعض كلام الفلاسفة، وللرابع ببعض القصص والمنامات، وللخامس أن آل محمّد الآن في عالم البرزخ.

والصحيح القول الثاني ثم الأخير، اما الثاني فللروايات المستفيضة والتي منها ما يصف شخص الإمام أو النبي وبعض أوصافهما.

والأخير لأن حال الرائي يختلف فيكون عدم رؤية الإمام بجسمه الأصلي لا لعدم إمكان ذلك، بل لعدم تأهّل الرائي.

إن قيل: يستحيل تعدد بدن الإنسان.

قلنا: أما في الدنيا فإن للاستحالة وجهاً إذا لم تكن من باب المعجزة أو الكرامة.

أما في الآخرة أو عالم البرزخ والقبر فلا دليل على الاستحالة.

أما إمكانه فقدرة الله غير عاجزة عنه، وهو القائل: ﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾[٣].

أما الوقوع فالروايات المتقدمة تدل عليه.

---

١ - رؤية الروح يراد بها احساس الرائي بروح النبي.

٢ ـ الأنوار النعمانية: ٤ / ٢١٢.

٣ - قَ: ٢٢.

النحو الثاني من الأدلة

وهذا النحو من الأدلة ليس بلسان إثبات مصاديق ولايـة آل مـحمدعليهم السلام المظهرية أو التكوينية، إنما يثبت لهم الولاية المطلقة في التصرف لكل مصداق ممكن أرادوه وأحبوه.

وأيضاً هو على طوائف وألسن :

الطائفة الأولى:

ما جاء بلسان التفويض المطلق

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الإمام: « *فهو الصدق والعدل يطلع على الغيب ويعطى التصرف على الاطلاق* » [١].

- وعن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: « يا محمد ان الله تبارك وتعالىٰ لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها *وفوض أمورها إليهم*، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلّا ان يشاء الله تبارك وتعالىٰ.

ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها محق ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد » [٢].

هذا لفظ الكافي وفي رياض الجنان جاء بلفظ:

« إن الله لم يزل متفرداً في الوحدانية، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء واشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء، *وفوض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة*؛ فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوابه وحجّابه

---

١ – مشارق أنوار اليقين: ١١٥.

٢ – أصول الكافي: ١ / ٤٤١ مولد النبي من أبواب التاريخ ح ٥، وبحار الأنوار: ٢٥ / ٣٤٠ ح ٢٤.

يحللون ما شاء ويحرمون ما شاء ولا يفعلون إلّا ماشاءُ ، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . الى أن يقول : خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم و مكنونه »[1].

وسواء أخذنا باللفظ الأول أم الثاني ، فإن الرواية شاملة للولاية التشريعية والتكوينية ، اما التشريعية فواضح ويأتي تفصيله .

أمّا التكوينية فلقوله « فوّض أمر الأشياء إليه » وهذا يشمل كل الأمور التكوينية .

ولقوله في الرواية الثانية: « فوّض أمر الأشياء في التصرف » ، وقوله: «لهم الهداية» وقوله : « هم أبوابه » ، فالتصرف لا يطلق إلّا على الأمور الكونية، والهداية أمر كوني ، وهي التصرف بالميولات الداخلية للإنسان ، وكونهم أبوابه إشارة الى كونهم الوسائط وسوف يأتي .

هذا ، وسوف يأتي زيادة توضيح في تقريب الاستدلال بهذه الطائفة .

قال المولى المازندراني شارحاً للحديث المتقدم: قوله (فأجريت اختلاف الشيعة) لعل المراد اختلاف مذاهبهم.

قوله (ألف دهر) الدهر اسم للزمان الطويل ومدة حياة الدنيا، وقيل الدهر إذا عرف باللام يراد به الزمان الطويل وإذا نكّر يراد به مدة الدنيا.

قوله (فأشهدهم خلقها) فهم كانوا يشاهدون خلقها وانتقالها من طور إلىٰ طور ويعظمون الله على كمال قدرته.

قوله (وفوض أمورها اليهم) ضمير التأنيث راجع إلى الأشياء فإما أن يراد بها جميعها وبالأُمور أعم من الأحكام وغيرها من التدبير في المحركات والساكنات، أو يراد بها المكلّفون منها وبالأُمور الأحكام، زيادة ونقصاناً، أمراً

---

١ – بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٩ باب نفي الغلو من كتاب الإمامة ح ٢١ .

ونهياً، وهذا أنسب بسياق الكلام.

قوله (هذه الديانة التي من تقدمها مرق) مرق السهم عن الرمية مروقاً إذا خرج من الجانب الآخر، وفيه إشارة إلىٰ أن الناس في حقهم على ثلاثة أصناف الأول من وصفهم فوق وصفهم وجاوز عن حدهم وهم الغلاة. والثاني من تخلف عنهم ولم يصفهم بوصفهم ولم يقر بحقهم وهم النواصب وأضرابهم، والثالث من لزمهم قولاً وفعلاً وعقداً وتبعهم في جميع الأمور وهم شيعتهم وأهل ديانتهم، والأولان في طرف الإفراط والتفريط والأخير في الوسط المسمى بالعدل[1].

- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: « يا ابن أبي يعفور ان الله أحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره، *فخلق خلقاً فقدرهم لذلك الأمر*، فنحن هم يا ابن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده وخزانه على علمه والقائمون بذلك »[2].

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قال تعالىٰ: ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾.

« ولا يعطي هذه الروح إلّا من فوّض إليه الأمر والقدر، وأنا أحيي الموتى وأعلم ما في السموات والأرض »[3].

- وفي موثقة محمد بن عبد الجبار عن أبي جعفر عليه السلام قال: « إن الله خلق محمداً عبداً فأدبه حتى إذا بلغ اربعين سنة أوحى إليه، وفوض إليه الأشياء فقال: ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[4].

---

١ ـ شرح أصول الكافي: ٦ / ٥٣.

٢ ـ أصول الكافي: ١ / ١٩٣ باب أنهم ولاة الأمر ح ٥.

٣ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٦١.

٤ ـ بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٣١ باب نفي الغلو ح ٦، وبصائر الدرجات: ٣٧٨ باب التفويض الى الرسول.

وفي رواية عنه عليه السلام : « وان الله فوّض الى محمد نبيه فقال : ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

فقال رجل : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مفوضاً إليه في الزرع والضرع .

فلوى جعفر الصادق عليه السلام عنه عنقه مغضباً فقال عليه السلام :

« *في كل شيء والله في كل شيء* » [١].

- وعن جابر الجعفي في حديث طويل مع الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه: قلت يا ابن رسول الله ومن المقصر؟

قال : « ***الذين قصروا في معرفة الأئمة ، وعن معرفة ما فرض الله عليهم من أمره وروحه*** » .

قلت : يا سيدي وما معرفة روحه؟

قال عليه السلام : « إن يعرف كل من خصه الله تعالىٰ بالروح فقد فوّض إليه أمره، يخلق بإذنه ويحيي بإذنه ، ويعلم الغير بما في الضمائر ، ويعلم ما كان وما يكون الى يوم القيامة، وذلك ان هذا الروح من أمر الله فمن خصه الله تعالىٰ بهذا الروح فهو كامل غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن الله ، ***يسير من المشرق الى المغرب في لحظة واحدة ، يعرج به الى السماء وينزل به الى الأرض ، ويفعل ما شاء وأراد*** » [٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل بعد قدرته على هزّ الأرض وخوف الناس قال لجابر : « ***اختارنا الله من نور ذاته ، وفوض إلينا أمر عباده ، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ، ونحن لا نشاء إلّا ما شاء الله ، وإذا أردنا أراد الله ، فمن أنكر من***

---

١ - بصائر الدرجات : ٣٨٠ باب التفويض الى الرسول ح ٩ ، وبحار الأنوار : ١٧ / ٩ ح ٦١ باب وجوب طاعته صلى الله عليه وآله .

٢ - بحار الأنوار : ٢٦ / ١٤ ـ ١٥ باب نادر في معرفتهم ح ٢ ، والهداية الكبرى : ٢٣٠ باب ٦ مع تفاوت عما في بحار الأنوار .

ذلك شيئاً ورده فقد رد على الله »[١].

ـ وعن زيد الشحام قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب** ﴾ قال : « أعطي سليمان ملكاً عظيماً ، ثم جرت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله فكان له أن يعطي ما شاء و يمنع ما شاء ، وأعطاه أفضل مما أعطى سليمان لقوله :﴿ **ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[٢].

* *أقول* : يفهم من هذه الرواية ان الله أعطى الولاية المظهرية أو التكوينية لسليمان وللنبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، وانه اختص رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام بالولاية التشريعية ، كما في ذيل الرواية .

ويؤيد ذلك ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « *لا والله ما فوّض الله الى أحد من خلقه إلّا الى الرسول والى الأئمة* فقال : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ وهي جارية في الأوصياء »[٣].

فهذه صريحة في نفي الولاية التشريعية والتفويض في أمر الدين لأيّ كان، سوى أهل البيت عليهم السلام ، نعم التفويض في بعض الأمور الكونية ثابت كما تقدم لغير أهل البيت عليهم السلام .

ـ وفي رواية: سألته عن الإمام فوّض الله إليه كما فوّض الى سليمان .

قال عليه السلام : « نعم »[٤].

ـ وعنه أيضاً عليه السلام : « إن الله أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال :

---

١ – الهداية الكبرى : ٢٢٩ ـ ٢٣٠ باب ٦ .

٢ – أصول الكافي : ١ / ٢٦٨ باب التفويض إليهم ح ١٠ .

٣ – بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٤ ح ١١ ، وبصائر الدرجات : ٣٨٦ ح ١٢ .

٤ – بصائر الدرجات : ٣٨٧ ح ١٣ .

﴿انك لعلى خلق عظيم﴾ ، *ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده ...* »[١] .

فتفويض أمر الدين يشير الى الولاية التشريعية الآتية، أما أمر الأمة فهو أعم من الأمور الدينية ، بل لعله إشارة فقط الى الأمور التي تتعلق بالأمة من ناحية الكون والكونيات ، سواء منها العطاء والرزق أم غيرها من الأمور التي تقدمت في القسم الأول من الأدلة .

- وفي رواية أُخرى قال عليه السلام : « ثم فوّض إليه فقال : ﴿ **وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وان نبي الله فوّض الى علي وائمته فسلمتم وجحد الناس ، فوالله لنحبكم ان تقولوا إذا قلنا وان تصمتوا إذا صمتنا ، *ونحن فيما بينكم وبين الله عزّ وجلّ ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا* »[٢] .

فقوله : نحن فيما بينكم وبين الله » يشير الى توسطهم في الفيض والعطاء وهذا في غير الأمور الشرعية كما سوف يأتي في الطائفة الثالثة .

وعنه عليه السلام : « إذا رأيت القائم قد أعطى رجلاً مائة ألف درهم وأعطاك درهماً فلا يكبرنّ ذلك في صدرك ، فإن الأمر مفوض إليه »[٣] .

- وعنه أيضاً في حديث موثق : « إن الله فوّض الى نبيه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ... »[٤] .

* أقول : الروايات كثيرة في إثبات التفويض المطلق لأهل البيت عليهم السلام فلتراجع[٥] .

---

١ - أصول الكافي : ٢٦٦ ح ٤ ، وبحار الأنوار : ١٧ / ٤ ح ٣ .

٢ - أصول الكافي : ١ / ٢٦٥ ح ١ ـ ٢ ، والاختصاص : ١٢ / ٣٣٠ في أنهم محدثون ، وبحار الأنوار : ٢٥ ٣٣٥ح ١٣ ، والوسائل : ١٨ / ٩١ح ٣٣٣٧٥ .

٣ - الاختصاص : ١٢ / ٣٣٢ أنهم مفوض إليهم ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٦ح ١٥ .

٤ - بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٢ باب نفي الغلو ح ٧ ، وبصائر الدرجات : ٣٨٠ح ١٠ .

٥ - يراجع بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٠ الى ٣٤٠ باب نفي الغلو من كتاب الإمامة ، وبصائر

تقريب الاستدلال بروايات التفويض :

مما لا شك فيه ان هذه الطائفة هي أم الطوائف لاشتمالها على لفظة: «التفويض التكويني والتشريعي » اما التشريعي فخارج عن كلامنا ويأتي مفصلاً .

أمّا التفويض التكويني فهو المدعى في هذا الباب ، وعليه مدار الأدلة نفياً وإثباتاً، ويأتي شرح معنى التفويض وانه ليس هو تفويض بعرض قدرة وتصرف الله ولا حتى بطولهما كما تقدم .

وهذه الطائفة بعضها كان يعطي التفويض لآل محمدعليهم السلام في بعض الأمور الكونية، وبعضها كان بلسان إعطائهم التفويض أو التصرف بلا تقييده بأمر تكويني معين ، فبمقتضى الاطلاق يشمل كل الأمور المظهرية أو التكوينية وهو المطلوب .

هذا وبعض الأدلة المتقدمة فيها تصريح بالاطلاق ، كرواية الإمام الباقرعليه السلام الذي قال بعد ان أثبت لصاحب الروح الأمرية إمكان التصرف بالإحياء والإماتة والعلم بما كان ويكون قال : « فمن خصه الله بهذا الروح فهو كامل غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن الله » .

وكذلك قول الصادقعليه السلام في الرواية الأُخرى : « مفوض إليه في كل شيء».

=الدرجات : ٣٧٨ الى ٣٨٧ باب التفويض الى الرسول وآله، وأصول الكافي : ١ / ٢٦٥ ـ ٤٤١ ـ ١٩٣ : وبحار الأنوار : ١٧ / ١ الى ١٤ باب وجوب طاعة النبي والتفويض إليه من تاريخ النبي، والوسائل : ١٨ / ٥٠ ح ٣٣٢١٨ .

وهذا نصّ في التفويض المطلق لآل محمد عليهم السلام إما للفظة « يفعل ما يشاء » واما لكونه كاملاً غير ناقص .

والإمام بقرينة ما تقدم في الرواية يعتبر ان من لا يمتلك التصرف بالأمور الكونية كالإحياء ونحوه ، يعتبر ناقصاً غير كامل، وعليه فمن باب تنزيه آل محمد عليهم السلام عن النقص يجب القول بقدرتهم المظهرية أو التكوينية المطلقة .

وهذا من الأدلة العقلية والنقلية معاً .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى المتقدمة والآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة الثانية:
قدرة آل محمد على ما يريدون وأن إرادتهم إرادة الرب

قال العلامة الحلي : إن إرادة النبي صلى الله عليه وآله موافقة لإرادة الله تعالىٰ ، وكراهته موافقة لكراهته [١].

- وعن جابر الجعفي في حديث طويل فيه معاجز كونية قال الإمام الباقر عليه السلام : « يا جابر ما سترنا عنكم أكثر ما أظهرنا لكم ... *ان الله اقدرنا على ما نريد فلو شئنا أن نسوق الأرض بأزمتها لسقناها* » [٢].

وقال علي بن الحسين عليه السلام بعد كلام طويل قال فيه بعض المخالفين : عجباً لهؤلاء يدعون مرة أن السماء والأرض وكل شيء يطيعهم ، وان الله لا يردهم عن شيء من طلباتهم ، ثم يعترفون أخرى بالعجز عن إصلاح حال خواص إخوانهم .

فقال عليه السلام : « جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه، إن المراتب الرفيعة لا تنال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه ، وترك الاقتراح عليه والرضا بما يدبرهم به ، إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لم يساوهم فيه غيرهم فجازاهم الله عزّ وجلّ بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلّا ما

---

١ - الرسالة السعدية : ٧٠ البحث الثامن .

٢ - الاختصاص : ١٢ / ٢٧٢ الكميت وابو جعفر،و بصائر الدرجات : ٣٧٦ باب أنهم أعطوا خزائن الأرض ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٧٢ ح ٢٣ .

يريده لهم »[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خبر طويل جاء فيه: « يا سلمان ويا جندب: *أنا أحيي وأميت بإذن ربي ، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي* عليهم السلام *يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا ، لأنا كلنا واحد أولنا محمد آخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد ، فلا تفرقوا بيننا ، ونحن إذا شئنا شاء الله ، وإذا كرهنا كره الله ، الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا ، لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزّ وجلّ ومشيته فينا* »[٢].

ونحوه عن الإمام الباقر عليه السلام يأتي في الطائفة الرابعة.

وفي الحديث الشريف: « لا يشاؤون إلّا ما شاء الله »[٣].

وفي لفظ: « إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريده »[٤].

وتقدم حديث أمير المؤمنين في تحويل الجواهر: « لو أردنا لكان »[٥].

وقول علي بن الحسين عليه السلام في القيود: « أما لو شئت ما كان »[٦].

- وخرج عن أبي الحسن الثالث عليه السلام انه قال: « إن الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته ، *فإذا شاء الله شاؤوا* ، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿ وما تشاؤون إلّا ان يشاء الله ﴾[٧].

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: « إن الله جعل قلب وليه وكراً لإرادته فإذا شاء

---

١ - أمالي الصدوق: ٥٣٩ مجلس ٦٩، وبحار الأنوار: ٤٦ / ٢١ - ٢٢ تاريخ علي بن الحسين ح ١.

٢ - بحار الأنوار: ٢٦ / ٦ - ٧ باب نادر في معرفتهم بالنورانية من كتاب الإمامة ح ١.

٣ - بحار الأنوار: ٢٤ / ٣٠٥.

٤ - مشارق أنوار اليقين: ١٨١.

٥ - الاختصاص: ١٢ / ٢٧١.

٦ - كشف الغمة: ٢ / ٢٨٨ فضائل زين العابدين.

٧ - بصائر الدرجات: ٥١٧ باب النوادر في الأئمة واعاجيبهم ح ٤٧.

الله شئنا »[١].

وعن أبي محمد عليه السلام قال: « كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء شئنا»[٢].

ـ وفي الزيارة المطلقة للإمام الحسين عليه السلام التي رواها ابن قولويه باسناد صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام: « بكم فتح الله وبكم يختم الله، وبكم يمحو الله ما يشاء وبكم يثبت، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها ... إرادة الرب في مقادير أموره تهبط اليكم وتصدر من بيوتكم »[٣].

ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل جاء فيه: « الإمام كلمة الله وحجة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله، يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه، *فهو وليّه في سماواته وأرضه ... فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء*، ... مفزع العباد في الدواهي والحاكم والآمر والناهي، مهيمن الله على الخلائق[٤] ...

خلقهم الله من نور عظمته وولاهم أمر مملكته، فهم سرّ الله المخزون وأولياؤه المقربون وأمره بين الكاف والنون ـ وفي نسخة ـ لا بل هم الكاف والنون، الى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون، ... مبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيئه وام الكتاب وخاتمته، ... فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية في سماء العظمة المحمدية ... »[٥].

ـ وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: « لو أُذن لنا ان نعلم الناس حالنا عند

---

١ - بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٥٦ باب جوامع مناقبهم ح ٣١، والهداية الكبرى: ٣٥٩.
٢ - بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٣٧ باب نفي الغلو ح ١٦.
٣ - كامل الزيارات: ٢٠٠ باب ٧٩.
٤ - بالهامش: المهيمن بمعنى المؤتمن والشاهد والقائم على الخلق باعمالهم وأرزاقهم.
٥ - بحار الأنوار: ٢٥ / ١٦٩ الى ١٧٤ باب آخر في دلالة الإمامة ح ٣٨.

الله ومنزلتنا منه لما احتملتم » .

فقال له (المفضل) في العلم؟

فقال عليه السلام : « العلم أيسر من ذلك، ان الإمام وكر لإرادة الله عزّ وجلّ لا يشاء إلّا يشاء الله » [١] .

وعن الإمام الباقر عليه السلام : « اختارنا الله من نور ذاته وفوض إلينا أمر عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ، ونحن لا نشاء إلّا ما شاء الله ، وإذا أردنا أراد الله، فمن أنكر من ذلك شيئاً ورده فقد ردّ على الله » [٢] .

تقريب الاستدلال:

هذه الطائفة تعلق إرادة أهل البيت عليهم السلام على إرادة الله وأنه أعطاهم هذه الإرادة والمشيئة ، وبما ان الله يقول في ولايته وأمره التكويني: ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء** ﴾ [٣] .

فيكون الثابت لأهل البيت عليهم السلام أنهم إذا أرادوا لشيء ان يكون ويوجد بعد إعدام يقولون له : كن ، فلابد ان يكون بإذن الله تعالىٰ .

وليعلم ان إرادة آل محمد عليهم السلام مطابقة لإرادة الله تعالىٰ ، وإرادة الله هي عين أمره ، وامر الله هو عين إرادته، فكل ما أمر به أمراً تكوينياً فلابد من وقوعه ، وكذا كل ما أراد وقوعه إرادة ذاتية أزلية فيجب تحققه » [٤] .

---

١ – بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٨٥ باب غرائب افعالهم ح ٤١ .

٢ – الهداية الكبرى : ٢٣٠ باب ٦ .

٣ – يٰس : ٨٤ .

٤ – كلام لصدر المتألهين: تفسير القرآن ٣٨٦ سورة يٰس آية ٨٢ المسألة الثالثة .

فينتج ان إرادة آل محمد مطابقة أو موافقة لأمر الله تعالىٰ .

ويأتي في الطائفة الرابعة الكلام عن الأمر .

هذا إضافة الى أن بعض ألسنة هذه الطائفة كان بلفظ: «لو أردنا لكان» فيدل أن قدرتهم على التصرف بالأمور الكونية معلقة على إرادتهم وبالتالي تدل هذه الألسنة على ولاية آل محمد عليهم السلام المظهرية أو التكوينية وهو المطلوب .

ولا تنسى ان لفظ الطائفة كان على نحوين :

١ ـ لا نريد حتى يريد الله .

٢ ـ إذا اردنا أراد الله .

والمعنى واحد لمن تأمله وتقدم ذلك في مسألة الإذن في مطلع الكتاب.

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد روينـاها مـن عـدة طـرق ومـن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هـذا المـضمون وإذا لاحـظنا الطـوائـف الأُخرى المتقدمة والآتية فإنا نصل الى حد القطع بـصدق المـضامين وعـندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة الثالثة:

ما جاء بلسان كونهم وسائط الفيض وأسباب العطاء وأبواب الله ويده ولسانه

عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿ **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾ فقال : « أنا هو الذي عنده علم الكتاب، وقد صدقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصية، ولا تخلىٰ أمة من وسيلته إليه والى الله فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ [(١)].

ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل: « نحن يمين الله ونحن أُمناء الله ... من آمن بنا آمن بالله ، ومن ردّ علينا ردّ على الله، ومن شك فينا شك في الله، ومن عرفنا عرف الله ، ومن أطاعنا أطاع الله، ونحن الوسيلة الى الله والوصلة الى رضوان الله ، ولنا العصمة والخلافة والهداية » [(٢)].

ـ وجاء في دعاء الندبة: « أين باب الله الذي منه يؤتي، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء » [(٣)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « *نحن السبب بينكم وبين الله تعالىٰ* » [(٤)].

ـ وعنه عليه السلام في حديث يصف به آل محمد: « نحن علة الوجود وحجة

---

١ – بصائر الدرجات : ٢١٦ باب ما عندهم من الإسم الأعظم ح ٢١ .

٢ – بحار الأنوار : ٢٥ / ٢٢ ـ ٢٣ باب بدء خلقهم ح ٨٣.

٣ – بحار الأنوار : ١٠٢ / ١٠٤ .

٤ – بشارة المصطفى : ٩٠.

المعبود لا يقبل الله عمل عامل جهل حقنا » [١].

- وعن أبي جعفر عليه السلام : « نحن حجة الله ، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله ، ونحن وجه الله ، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده.

ثم قال : يا أسود بن سعيد إنّ بيننا وبين كل ارض ترّاً مثل ترّ البناء ، فإذا أمرنا في أمرنا جذبنا ذلك التر فأقبلت إلينا الأرض بقلبها وأسواقها ودورها حتى ننفذ فيها ما نؤمر فيها من أمر الله تعالىٰ » [٢].

قال ابن أبي الحديد:

تقبلت افعال الربوبية التي عذرت بها من شك إنك مربوب

ويا علة الدنيا ومن بدأ خلقها إليه سيتلو البدأ في الحشر تعقيب [٣].

- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « *إن الله انتجبنا لنفسه ، فجعلنا صفوته من خلقه ولسانه الناطق بإذنه وأمناؤه على ما نزل من عذر ونذر وحجة* » [٤].

- وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « أنا علم الله وأنا قلب الله الواعي ولسان الله الناطق وعين الله الناظر، وأنا جنب الله وأنا يد الله » [٥].

وفي رواية : « أنا عين الله ولسانه الصادق ويده ، وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة » [٦].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « إن لله عزّ وجلّ خلقاً من رحمته خلقهم من نوره ورحمته ، من رحمته لرحمته ، فهم عين الله الناظرة وأُذنه السامعة ولسانه

---

١ - بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٥٩ ح ٣٦.

٢ - بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٨٤ باب غرائب افعالهم ح ٤٠ ، وبصائر الدرجات : ٦١ مختصراً.

٣ - مشارق أنوار اليقين : ٤٤.

٤ - بصائر الدرجات : ٦٢ باب أنهم حجة الله وبابه ح ٧.

٥ - بصائر الدرجات : ٦٤ ح ١٣ ، والتوحيد : ١٦٤ ح ١ باب ٢٢ ، والمراقبات : ٢٥٩.

٦ - التوحيد للصدوق : ١٦٥ باب ٢٢ ح ٢.

الناطقة في خلقه بإذنه ، وأمناؤه على ما أنزل من عذر أو نذر أو حجة فبهم يمحو السيئات وبهم يدفع الضيم ، وبهم ينزل الرحمة وبهم يحيي ميتاً وبهم يميت حياً، وبهم يبتلي خلقه وبهم يقضي في خلقه قضيته » .

قلت : جعلت فداك من هؤلاء؟

قال : « الأوصياء عليهم السلام » [١] .

* *أقول :* الأحاديث في كونهم وجه الله وعينه ويده وجنبه كثيرة [٢] .

تقريب الاستدلال :

أحاديث كون آل محمد الواسطة في الفيض من الأحاديث المشهورة ، والتي منها ما تقدم في توسل الأنبياء عليهم السلام بآل محمد عليهم السلام ، ومنها كل أدلة التوسل التي تذكر في محلها.

ومنها ما تقدم من روايات ان الأرض تنبت بفضلهم ، والسماء تمطر بهم ، وما شابه من هذه الأحاديث .

ومنها ما تقدم في كونهم واسطة في الرزق ، ومنها أيضاً ما تقدم من تنزيل الرحمة وصرف العذاب ببركة آل محمد عليهم السلام ، وان الهداية منحصرة بهم، كل ذلك تقدم في الطوائف السابقة (النحو الأول) .

واما هذه الروايات المتقدمة هنا ، والتي تجعل آل محمد عليهم السلام واسطة

---

١ - التوحيد للصدوق : ١٦٧ باب ٢٤ ح ١ .

٢ - كمال الدين : ١ / ٢٣١ باب ٢٢ ح ٣٤ ، والتوحيد : ١٥٠ ـ ١٦٥ - ١١٧ ح ٤ ـ ٢١ ، والكافي : ١ / ١٤٣ ح ٣ وبحار الأنوار : ٧ / ١٥٩ ، ونور الثقلين : ٤ / ٤٩٥ ، وبصائر الدرجات : ٢٦ ، وامالي الشيخ : ٦٦٦ المجلس ٣٤ ح ٤ ، وإثبات الوصية : ١٥١ .

وسبباً بين الله تعالىٰ وبين عباده ، وان من أراد الوفود على الله وعبادته والتقرب إليه ، فلابد ان يأتيه من بابه الذي أمرنا به .

هذه الطائفة تفيد ان عطاءات الله وفيوضاته لا تصل إلّا بتوسط آل محمد «فهم واسطة على سبيل هداة » ولا يهتدي هاد لا بفضلهم.

وهذا معناه أنهم مصدر هذه الأمور ، ليس بعرض ولا بطول مصدرية الله ، إنما هم مظهر لمصدرية وعطاءات الله ، وهذا ما قدمناه في معنى ولاية آل محمد عليهم السلام على الأمور الكونية .

وما تقدم ويأتي من أنهم أسباب العطاءات وعلله ، لا يحمل على أكثر من هذا، ومن المسلم أنهم ليسوا العلة التامة ، بل ولا الناقصة لهذه الفيوضات ، بل هم علة مظهرية وتقدم ما يدل على ذلك .

هذا وقال الحكيم السبزواري: ... فلابد من للحادثين السائرين الى الله الطالبين له من جالس بين الحدين ذي حظ من الجانبين ، ومسافر من الخلق الى الحق ليقودهم إليه ويدلهم عليه (١) .

وقال صاحب كتاب غوالي اللآلي بعد كلام في معنى العقل وانه أول الخلق، وشرح إدباره وإقباله والاثابة به والعقاب : فيمكن ان يكون المراد بالعقل نور النبي صلى الله عليه وآله الذي انشعبت منه أنوار الأئمة صلوات الله عليهم ، لأن أكثر ما أثبتوه لهذه العقول قد ثبت لأرواح النبي والأئمة عليهم السلام في أخبارنا المتواترة على وجه آخر، فإنهم أثبتوا القدم للعقل ، وقد ثبت التقدم في الخلق لارواحهم على جميع المخلوقات أو على سائر الروحانيين في أخبار متواترة .

وأيضاً أثبتوا لهم التوسط في الايجاد أو الاشتراط في التأثير، وقد ثبت في الأخبار كونهم عليهم السلام علة غائية لجميع المخلوقات ، وانه لولاهم لما خلق الله

---

١ - شرح دعاء الصباح : ٦٥ ـ ٦٦ .

الأفلاك وغيرها .

وأثبتوا لها كونها وسائط في إفاضة العلوم والمعارف على النفوس والأرواح، وقد ثبت في الأخبار ان جميع العلوم والحقائق والمعارف بتوسطهم يفيض على سائر الخلق حتى الملائكة والأنبياء ... فكلما يكون التوسل بهم والاذعان لفضيلتهم أكثر كان فيضان الكمالات من الله تعالىٰ أكثر [١] .

ان قيل: كونهم واسطة الفيض كيف يدل على ولايتهم المظهرية أو التكوينية؟

قلت: كونهم الواسطة معناه أن الفيض كل الفيض لا يصل إلّا بتوسطهم ، فبهم يرزق الله العباد ، ويحيي الموتى ويميت الأحياء ، وعليه دلت الرواية الأخيرة ، وهذا تفويض من الله لهم في الإحياء ونحوه ، لأن معنى التفويض إليهم ليس أنهم هم الفاعلون بالاستقلال ، بل معناه ان فعلهم مظهرٌ لفعل الله ومرآة له كما تقدم .

هذا؛ وفي الحديث المستفيض عن رسول الله صلى الله عليه وآله عند الفريقين :

«*لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي*» [٢] .

وفي الحديث : « أحببني أجعلك مثلي » [٣] .

وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على قدرة العبد المطيع لله تعالىٰ حتى يصبح فعله فعل الله تعالىٰ ينسب إليه .

---

١ – عوالم العلوم والمعارف : ٤٩ ـ ٥٠ قسم العقل .

٢ – جامع الاسرار : ٢٠٤ ح ٣٩٣ ، وراجع المعجم الكبير للطبراني : ٨ / ٢٠٦ ، والمعجم الاوسط : ١٠ / ١٦٣ ، وكنزالعمال : ٧ / ٧٧٠ح ٢١٣٢٧ ، ونور الأبصار : ٧٥ ، وصفة الصفوة : ١ / ٩ ط مصر ، وأصول الكافي : ٢ / ٣٥٢ح٧ ، علل الشرائع : ١ / ٢٢٧ باب ١٦٢ .

٣ – جامع الاسرار : ٢٠٤ ح ٣٩٣.

قال الشيخ حسن زاده آملي : بل ان هذا الشخص ولأن الحق يكون عينه التي يرىٰ وأُذنه التي بها يسمع ، وعين جوارحه وقواه الروحية والجسمية ؛ فإن تصرفه الفعلي أيضاً يكون كالحدس والجذبة الروحية ، حتى يصير قوله وفعله واحداً ، ولا يحتاج الى الامتداد الزماني في حركاته وانتقالاته ، بل يصير محلاً لمشيئة الله ومظهراً لـ(*إنما قولنا لشيء إذا اردناه أن نقول له كن فيكون*) حيث يتحد عندها القول والفعل[١].

ـ وقال الخواجة نصير الدين الطوسي : العارف إذا انقطع عن نفسه واتصل بالحق رأى كل قدرة مستغرقة في قدرته المتعلّقة بجميع المقدورات، وكل علم مستغرق في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكل إرادة مستغرقة في إرادته التي يمتنع ان يتأتى عليها شيء من الممكنات .

بل كل وجود فهو صادر عنه فائض عن لدنه فصار الحق حينئذٍ بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها يفعل وعلمه الذي به يعلم ووجوده الذي به يوجد، فصار العارف حينئذٍ متخلّقاً بأخلاق الله في الحقيقة [٢] .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى المتقدمة والآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

---

١ - الإنسان الكامل : ١٧٣ .

٢ ـ شرح الإشارات والتنبيهات : ٣ / ٣٨٩ عنه السير إلى الله : ٧٩ .

الطائفة الرابعة:
آل محمد ولاة الأمر وإعطاؤهم الروح الأمرية

قال الإمام الصادق عليه السلام : « كلنا واحد من نور واحد ، وروحنا من أمر الله، أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلنا محمد » (١).

ـ وعن أبي جعفر عليه السلام : « *نحن ولاة أمر الله في عباده ان بيننا وبين كل أرض تراً مثل تر البناء ، فإذا أمرنا في أمرنا جذبنا ذلك التر فأقبلت إلينا الأرض بقلبها وأسواقها ودورها حتى ننفذ فيها ما نومر من أمر الله* » (٢).

ـ ونحوه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام (٣).

ـ وعنه عليه السلام : « إن الله واحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره ، فخلق خلقاً ففرّدهم لذلك الأمر، فنحن هم » (٤).

ورواه في الكافي بلفظ: « فخلق خلقاً فقدّرهم لذلك الأمر» (٥).

وهذا صريح بأنهم ولاة الأمر ، الأمر الذي به يتصرف الله في عباده وكونه، يتصرف به كيفما يشاء لقوله تعالىٰ ﴿ **كن فيكون** ﴾ .

ـ وعن جابر الجعفي في حديث طويل مع الإمام الباقر عليه السلام جاء فيه: قلت :

---

١ ـ بحار الأنوار : ٢٦ / ١٦ ح ، وإلزام الناصب : ١ / ٢٤ .

٢ – بحار الأنوار ٢٥ / ٣٨٤ باب غرائب افعالهم ح ٤٠ وبصائر الدرجات ٦١ باب أنهم حجة الله ح ١ ، وإثبات الوصية : ١٥١ باختصار .

٣ – بصائر الدرجات ٦١ ح ٣ و ١٥ وأصول الكافي ١ / ١٩٢ باب أنهم ولاة أمر الله ح ١ .

٤ – بصائر الدرجات ٦١ ح ٤ .

٥ – الكافي ١ / ١٩٣ باب أنهم ولاة الأمر ح ٥ .

يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن المقصر؟

قال: «الذين قصروا في معرفة الأئمة وعن معرفة ما فرض الله عليهم من أمره وروحه».

قلت: يا سيدي وما معرفة روحه؟

قال عليه السلام: «*إن يعرف كل من خصّه الله بالروح فقد فوّض إليه أمره يخلق بإذنه ويحيي بإذنه ويعلم الغير ما في الضمائر، ويعلم ما كان وما يكون الى يوم القيامة.*

وذلك ان هذا الروح من أمر الله تعالىٰ، فمن خصّه الله تعالىٰ بهذا الروح فهذا كامل غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن الله يسير من المشرق الى المغرب في لحظة واحدة يعرج به الى السماء وينزل به الى الأرض، ويفعل ما شاء وأراد. الى أن يذكر الإمام الآية: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾» [1].

- وعن أبي جعفر في قوله تعالىٰ: ﴿ وكذلك اوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: «منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيه ما صعد الى السماء وانه لفينا» [2].

الروايات كثيرة في ذلك [3].

- وفي حديث صحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ قال: «هو شيء أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله يوفقه وهو معنا أهل البيت».

---

١ - بحار الأنوار ٢٦ / ١٤ ـ ١٥ باب نادر في معرفتهم بالنورانية ح ٢، والهداية الكبرى: ٢٣٠ باب ٦.

٢ - بصائر الدرجات: ٤٥٧.

٣ - بصائر الدرجات ٤٥٧ ح ١٣ وما قبله باب الروح في الآية المذكورة.

وفي لفظ: « يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده ».

وفي رواية صحيحة: « هي من الملكوت من القدرة » [١].

والروايات كثيرة في هذا المعنى [٢].

- وفي رواية عنه عليه السلام: « وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها.

قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟

قال: « نعم وما دون العرش » [٣].

* أقول: روايات روح القدس وانه معهم يسددهم كثيرة وبعضها صحيح السند [٤].

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ ولا يعطي هذه الروح إلّا من فوّض إليه الأمر والقدر، وأنا أحيي الموتى» [٥].

- وفي حديث: « *لم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش، ولو شاء أن يبلع السماوات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل* » [٦].

---

١ - بصائر الدرجات: ٤٧٥ ج ٩ باب ١٦ ح ٢، وتفسير نور الثقلين: ٣ / ٢١٦ ح ٤٢٨، والكافي: ١ / ٢٧٣ ح ٣.

٢ - بصائر الدرجات: ٤٦١ - ٤٦٢ ح ٦ و ٩ باب الروح في الآية المذكورة، والأنوار النعمانية: ١ / ٢٠٦، ونور الثقلين: ٣ / ٢١٥ - ٢١٦ ح ٤٢٢ وما بعده مورد آية الاسراء ٨٥.

٣ - بصائر الدرجات ٤٥٤ ح ١٣ باب أنهم روح القدس يتلقاهم إذا احتاجوا إليه.

٤ - أصول الكافي: ١ / ٢٧٣ ح ٤، وبصائر الدرجات: ٤٥١ - ٤٤٥، ونور الثقلين: ٤ / ٥١٣ ح ٢٣ مورد آية المؤمن ١٥.

٥ - مشارق أنوار اليقين: ١٦١.

٦ - الأنوار النعمانية: ١ / ٢٠٦.

تقريب الاستدلال :

هذه طائفة من الروايات تثبت ان أهل البيت عليهم السلام هم ولاة أمر الله والروح ، نعم هي لا توضح معنى الأمر وكيفيته إلّا بما تتضمنه من مصاديق .

لذا لا بأس بتسليط الضوء على الآيات القرآنية التي تشير الى أمر الله تعالى:

آيات أمر الله

قال تعالىٰ في محكم كتابه :

﴿ أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ﴾ [١] .

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايـمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ [٢] . ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ [٣].

﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا ﴾ [٤].

﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [٥] ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ... ﴾ [٦] ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ [٧] .

﴿ ولتجري الفلك بأمره ﴾ [٨] .

ثم عرف الله سبحانه هذا الأمر وحدوده بقوله تعالىٰ :

---

١ – المجادلة: ٢٢ .

٢ – الشورى: ٥٢ .

٣ – الاسراء: ٨٥.

٤ – النحل: ٢ .

٥ – المؤمن (غافر)ك ١٥ .

٦ – القدر ٤ .

٧ – الأعراف: ٥٤ .

٨ – الروم: ٤٦ .

﴿ وما أمرنا إلاّ واحد كلمح بالبصر ﴾ [١].

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ [٢].

قال العلامة الطباطبائي : الناس على اختلافهم الشديد قديماً وحديثاً في حقيقة الروح لا يختلفون في أنهم يفهمون منه معنى واحداً وهو: « ما به الحياة التي هي ملاك الشعور والإرادة » [٣].

وقال في مورد آخر: فظهر بذلك كله ان الأمر هو كلمة الايجاد السماوية وفعله تعالىٰ المختص به الذى لا تتوسط فيه الاسباب ، ولا يتقدر بزمان أو مكان وغير ذلك، ثم بين ثانياً ان أمره في كل شيء هو ملكوت ذلك الشيء ، والملكوت أبلغ من الملك .

معنى الأمر في الروح الأمرية

فقد بأن بما مرّ ان الأمر هو كلمة الايجاد وفعله الخاص به الذي لا يتوسط فيه الاسباب الكونية بتأثيراتها التدريجية ، وهو الوجود الأرفع من نشأ المادة وظرف الزمان ، وان الروح بحسب وجوده من سنخ الأمر من الملكوت [٤].

وقال في موضع ثالث بعد كلام يشبه ما تقدم: والحاصل ان الأمر هو الايجاد سواء تعلق بذات الشيء أو بنظام صفاته وافعاله، والخلق هو الايجاد عن

---

١ – القمر ٥٠ .

٢ – يٰس: ٨٤.

٣ – تفسير الميزان ١٢ / ٢٠٥ النحل ٢ .

٤ – تفسير الميزان ١٥ / ١٩٧ ـ ١٩٨ الاسراء ٨٥ البحث الفلسفي .

تقدير وتأليف ، سواء كان ذلك بنحو ضمّ شيء الى شيء كضم أجزاء النقطة ... أم من غير أجزاء مؤلفة ، كتقدير ذات الشيء البسيط وضم ما له من درجة الوجود وحده وما له من الآثار والروابط التي له مع غيره، فالأصول الأولية مقدرة مخلوقة ، كما أن المركبات مقدرة مخلوقة .

ولذا كان الخلق يقبل التدريج كما قال : ﴿ **خلق السماوات والأرض في ستة أيام** ﴾ بخلاف الأمر ، قال تعالىٰ : ﴿ **وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ .

الى أن يقول : فتلخص أن الخلق والأمر يرجعان بالآخرة الى معنى واحد ، وإن كانا مختلفين بحسب الاعتبار، فإذا انفرد كل من الخلق والأمر صحّ ان يتعلق بكل شيء، كل بالعناية الخاصة به، وإذا اجتمعا كان الخلق أحرى بأن يتعلق بالذوات ، لما أنها أوجدت بعد تقرير ذواتها وآثارها؛ ويتعلق الأمر بآثارها والنظام الجاري فيها بالتفاعل العام بينها ، لما أن الآثار هي التي قدرت للذوات ولا وجه لتقدير المقدر فافهم ذلك [١] .

وقال في البحث الروائي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله « من زعم ان الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله: ﴿ **إلا له الخلق والأمر** ﴾ أقول: المراد بنفي كون شيء من الأمر للعباد نفي الجعل بنحو الاستقلال دون التبعي من الملك والأمر ... » [٢] .

وله كلام آخر كالدرر في مواضع مختلفة [٣] .

فمن خلال ذلك وما تقدم من الأحاديث ؛ يتبين ان أمر الله يشمل الأمر التكويني والتشريعي ، وتقدم في المدخل توضيح الأمرين لله، ويتبين أيضاً ان

---

١ - تفسير الميزان ٨ / ١٥١ ـ ١٥٢ الأعراف ٥٤ .

٢ - تفسير الميزان ٨ / ١٧٢ الأعراف ٥٨ ذيل البحث الروائي ...

٣ - تفسير الميزان ١٩ / ٨٧ القمر ٥٠ .

امر الله بيد أهل البيت عليهم السلام وهم ولاته، اما الأمر التشريعي فلما يأتي، واما الأمر التكويني فلإطلاق الروايات، بل في بعضها تصريح انه تكويني كما في الرواية الأولى.

وفي الآيات المتقدمة إثبات ان لله أمر، وهذا الأمر الإلهي عام يشمل التشريعيات والكونيات على حد سواء، والذي الروح من هذا الأمر.

وان شئت سميتها « بالروح الأمرية » وان شئت سميتها « روح الله »، ولندع الكلام قليلاً لأصحاب هذه الروح، من بلغ من هذه الروح ما بلغ، اعني سيد الموحدين ومولى المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام قال بعد حديث طويل مع سلمان وجندب: « وصرت أنا صاحب أمر النبي صلى الله عليه وآله قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ *وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلّا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس، وفوض إليه القدرة واحيى الموتى، وعلم بما كان وما يكون وسار من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق في لحظة عين، وعلم ما في الضمائر والقلوب وعلم ما في السموات والأرض* »[١].

وقريب منه ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام[٢].

❊ *أقول*: هذا نص صريح في ان ولاة أمر الله وروحه هم آل محمد عليهم السلام، وانه أعطاهم مطلق التصرف في أمره التكويني، بل الحديث مختص بالأمور المظهرية أو التكوينية، إما لقوله: « إن الله لا يعطي هذه الروح إلّا لنبي أو وصي أو ملك » وقد تقدم أن الولاية التشريعية مختصة بالأئمة، وإما لأن ما ذكر من أمثلة خاليةٍ عن التشريعيات.

---

١ – بحار الأنوار ٢٦ / ٥ باب نادر في معرفتهم بالنورانية من كتاب الإمامة ح ١.

٢ – الهداية الكبرى ٢٣٠ ـ ٢٣١.

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد روينـاها مـن عـدة طـرق ومـن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون خاصة بملاحظةالطوائف الأُخرى .

الفرق بين الأرواح الخمسة وجبرائيل والمحدث

فذلكة :

١ ـ في الرواية الأخيرة المتقدمة ذكر أن الروح الأمرية في الآية «من أمره» هي روح الله .

وفي بعض الروايات أن الأئمة هم روح الله ، كالمروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث تقدم : « نحن روح الله وكلماته وبنا احتجب عن خلقه»[١].

فينتج من خلال ذلك أن الأئمة هم الروح الأمرية ، لا ان الله يعطيهم الروح الأمرية للتصرف ، فهم أنفسهم الروح الأمرية التي بيدها التصرف ، وهذا أصرح في الدلالة على الولاية المظهرية أو التكوينية .

وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : « أنا أمر الله والروح »[٢].

٢ ـ وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: « إن على حافتي النهر (الذي دون عرش الله) : روحين مخلوقين روح القدس وروح من أمره »[٣].

---

١ – بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٩١ ح ٥١ باب تفضيلهم على الأنبياء .

٢ – مشارق أنوار اليقين : ١٧٠ .

٣ – بصائر الدرجات : ٤٤٦ ح ١ باب جعل الأرواح .

وروح القدس ورد انه هـو الروح الأول [١] ، وتـقدم أن أول الخـلق أرواح الأئمة عليهم السلام فينتج : إن روح القدس هو الأئمة ، لا أن الله أيدهم بروح القدس كما تقدم.

وأيضاً هذا أصرح في الدلالة على الولاية فافهم .

٣ ـ وورد في الحديث « إن الروح خلق من خلق الله أعـظم مـن جـبرائـيل وميكائيل » [٢] .

وورد أن المحدث « ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله وهو مع الأئمة » [٣] .

فينتج أن الروح هو المحدث .

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أنا أمر الله والروح » [٤] .

فأمير المؤمنين هو المحَدِث نفسه لا أنه وأهل بيته محدَثون كما تـقدم ، فتأمل .

---

١ – رسالة المشاعر : ٣٣١ .

٢ – بصائر الدرجات : ٤٥٥، ودلائل الإمامة : ١٤٧ .

٣ – بحار الأنوار : ٤٨ / ٢٤٢ ح ٥٠ تاريخ الإمام الكاظم .

٤ – تفسير الميزان ١٥ / ١٩٧ ـ ١٩٨ الاسراء ٨٥ البحث الفلسفي .

الطائفة الخامسة:

آل محمد عليهم السلام لا يقاس بهم أحد

روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: «*نحن أهل البيت لا نقاس بالناس*»[١].

وفي لفظ: «لا يقاس بهم بشر»[٢].

وفي ثالث: «نحن أهل البيت لا يوازينا أحد»[٣].

وفي رابع: «لا يقابل بنا أحد»[٤].

وفي خامس: «*لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم*»[٥].

* *أقول*: أحاديث عدم قياس البشر بهم من الأحاديث المتواترة رواها كل من الفريقين[٦].

---

١ - بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٨٤ باب غرائب افعالهم ح ٣٩، والفردوس بمأثور الخطاب: ٤ / ٢٨٣ ح ٦٨٣٨ وبالهامش زهر الفردوس بمأثور الخطاب: ٤ / ١٢١.

٢ - إلزام الناصب: ١ / ٤٠.

٣ - الفضائل الخمسة: ٢ / ٧٩.

٤ - ارشاد القلوب: ٢ / ٤٠٤.

٥ - شرح النهج لابن أبي الحديد: ١ / ١٤٠ ـ ١٣٨ شرح الخطبة ٢.

٦ - جواهر المطالب: ١ / ٢٤٤ باب ٣٦، والاختصاص: ١٣، وينابيع المودة: ١ / ٣٠١ ـ ٣٠٢ ـ ٢٠٨ ـ ٢١٤، وشواهد التنزيل: ٢ / ٢٧١، وبحار الأنوار: ٢٦ / ١٢ و ٢٤ / ٢٧٤، وكشف اليقين: ٢٣٢، وكنوز الحقائق: ٤٨٥، وذخائر العقبى: ١٧، وكنزالعمال: ١٢ / ١٠٤ ح ٣٤٢٠١، ونهج الحق: ٢٥٣، والفردوس بمأثور الخطاب: ٤ / ٢٨٣ ح ٦٨٣٨، وأهل البيت لتوفيق: ٦٧ ـ ٢٩ ـ ٢٢٩، وفرائد السمطين: ٢ / ٦٨.

وكان الإمام أحمد إذا سئل عن علي وأهل بيته قال: أهل بيت لا يقاس بهم أحد [١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «جل مقام آل محمد عن وصف الواصفين ونعت الناعتين، وأنى يقاس بهم أحد من العالمين؟ وكيف وهم النور الأول...»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «اجعلونا عبيداً مخلوقين وقولوا فينا ماشئتم».

وزاد في رواية: «... فلن تبلغوا» [٣].

وفي لفظ: «لا تقولوا فينا رباً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا» [٤].

وفي ثالث: «نزهونا عن الربوبية وارفعوا عنا حظوظ البشرية» [٥].

وفي رابعة: «فقولوا بفضلنا ما شئتم فلن تدركوه» [٦].

وفي رواية: «*فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله قد أعطانا أكبر وأعظم ما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون*» [٧].

وفي الزيارة الرجبية: «انه لا فرق بينك وبينهم إلّا أنهم عبادك» [٨].

وقال سيد الأولياء عليه السلام: «*إن لله تعالىٰ شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا، وإذا سكروا طربوا، وإذا طربوا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا*

---

١ – التبصرة: ٤٥٣ مجلس ٣١.

٢ – مشارق أنوار اليقين: ١١٦.

٣ – بصائر الدرجات: ٢٤١ ـ ٢٣٦ باب أنهم يعرفون الاضمار ح ٥ و ٢٢.

٤ – بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٤٧ باب نفي الغلو.

٥ – مشارق أنوار اليقين: ٦٩.

٦ – الهداية الكبرى: ٤٣٢.

٧ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ٢ كتاب الإمامة باب نادر في معرفتهم.

٨ – مشارق أنوار اليقين: ١٣٤، والإنسان الكامل: ١٢٨، والرسائل الثمانية: ٨٨.

طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتصلوا ، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم » [١].

هذا وقد قال الباري عز وعلا : « *يا عبدي أحببني أجعلك مثلي ، وليس كمثلي شيء* » [٢].

تقريب الاستدلال :

فهذه الطائفة تفيد إجازة قول كل قائل في عظيم فضلهم ومنزلتهم وقدرتهم وتصرفهم مشروط ذلك بعدم ادعاء الربوبية لهم .

وإثبات الولاية المظهرية أو التكوينية المطلقة لهم عليهم السلام ليس فيه هذا المحذور ، لبداهة ان كونهم واسطة في الفيض ، أو أنهم يرزقون العباد ويحيون الأموات وما شابه من هذه الأمور ، ليس خارجاً عن قدرة ومشيئة وأذن الله، نظير إعطاء الإحياء والإماتة للملائكة وكذلك الرزق ، وليس المدعى بأكثر من ذلك ، كما يأتي تفصيله في مفاد الأدلة فارتقبه .

وأحاديث : « لا يقاس بهم أحد » تفيد أيضاً إعطاءهم الكثير من الولايات المظهرية أو التكوينية ، لأنهم لا يقاسون بإبراهيم عليه السلام مع انه كان يخلق بإذن الله، ولا يقاسون بعيسى عليه السلام مع انه كان يحيي ويبرء المرضى بإذن الله ، ولا يقاسون بآصف مع انه كان يتصرف بالأرض ، ولا يقاسون بمريم والخضر عليهما السلام مع ما تقدم لهم من الولاية المظهرية أو التكوينية .

وكذلك لا يقاسون بجبرائيل ولا بميكائيل ولا بإسرافيل ولا بعزرائيل مع

---

١ - جامع الاسرار : ٦٧٦ رسالة نقد النقود .

٢ - جامع الاسرار : ٢٠٤ ح ٣٩٣ الأصل الأول .

كونهم وسائط في التدبير ـ كما يأتي ـ في الإحياء والإماتة والرزق والخلق وتصريف أمور الله تعالىٰ ، فمع كل هذه الولايات التكوينية للملائكة فان آل محمد عليهم السلام لا يقاسون بهم ، ولا ولاية محمد وآله عليهم السلام تقاس بولايتهم ، فهم أفضل وأكمل ، وولايتهم المظهرية أوسع وأشمل .

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون ، وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى المتقدمة والآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف .

الطائفة السادسة:

إعطاؤهم الإسم الأعظم

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث طويل جاء فيه: «أنا أحيي وأميت بإذن ربي ....والأئمة من أولادي عليهم السلام ... لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله، ... *لقد أعطانا ربنا عزّ وجلّ علمنا للاسم الأعظم الذي لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنة والنار، ونعرج به الى السماء ونهبط به الأرض ونغرّب ونشرق، وننتهي به الى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عزّ وجلّ، ويطيعنا كل شيء حتى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنة والنار.*

أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم الذي علمنا وخصنا به، ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا، ونحن عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وجعلنا معصومين مطهرين وفضلنا على كثير من عباده المؤمنين ...» [1].

وقال ابن عباس: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن من وراء قاف عالم لا يصل إليه أحد غيري، وأنا المحيط بما وراءه، والعلم به كعلمي بدنياكم هذه، وأنا الحفيظ الشهيد عليها، ولو اردت ان أجوب الدنيا بأسرها والسموات السبع كالارضين في أقل من طرفة عين لفعلت؛ *لما عندي من الإسم الأعظم*» [2].

---

١ - بحار الأنوار: ٢٦ / ٦ ـ ٧ باب نادر في معرفتهم بالنورانية ح ١.

٢ - مشارق الأنوار اليقين: ٤٣، وبحار الأنوار: ٥٧ / ٣٣٦ ح ٢٦.

وعن أبي جعفر والإمام الهادي عليهما السلام : « إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ، ثم عادت الأرض كما كانت اسرع من طرفة عين ، ونحن عندنا من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عند الله تعالىٰ استأثر به في علم الغيب عنده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» [١] .

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : « إن عيسى ابن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما ، وأعطي موسى أربعة أحرف ، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف ، وأعطي نوح خمسة عشر حرفا ، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً ، وان الله تعالىٰ جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه وآله ، وان اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطى محمد اثنين وسبعين حرفاً ، وحجب عنه حرف واحد [٢] .

وفي رواية زاد : « *وأعطي منها عيسى حرفين ، وكان يحيي الموتى ويبرء بهما الأكمه والأبرص* » [٣] .

* أقول : الروايات كثيرة في إعطائهم الإسم الأعظم وكم حرف هو وبعضها صحيح السند [٤] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قصة إرجاع الشمس بعد غروبها قال : « يا جوير ان الله يقول ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ » فإني سألت الله باسمه العظيم

---

١ - أصول الكافي : ١ / ٢٣٠ باب ما أعطوا من الإسم الأعظم ح ١ ، ودلائل الإمامة : ٢١٩ معاجز الهادي.

٢ - أصول الكافي : ١ / ٢٣٠ ح ٢ .

٣ - بصائر الدرجات : ٢٠٨ ـ ٢٠٩ باب أنهم أعطوا الإسم الأعظم ح ٣ .

٤ - يراجع الكافي : ١ / ٢٣٠ ، وبصائر الدرجات : ٢٠٨ الى ٢١٢ ـ ٢٢٩ ج ٤ باب ١٢ ح ٤ ، وكشف الغمة : ٢ / ٤٠٣ معاجز الصادق ، وبحار الأنوار : ٤٦ / ٢٣٥ ح ٤ باب معجزات الباقر .

فرد علي الشمس »[١].

وعن الإمام الصادق في حديث صحيح: «*كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله أعطى، وإذا دعا به أجاب، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا*»[٢].

تقريب الاستدلال:

أحاديث الإسم الأعظم من أصرح الأدلة على الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام، لأنها تنص ان الله أعطاهم ما يتصرفون فيه بالأمور الكونية، كالإحياء والإماتة وطي الأرض والعروج الى السماء وخرق السماء والأرض، واطاعة كل شيء حتى السماء والجنة والبحار والشمس والنجوم والشجر والدواب، وإبراء الأكمه والأبرص، كما في الروايات المتقدمة.

بل قد يستفاد أكثر من ذلك، لأن عيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام كان عندهم بعض أحرف الإسم الأعظم، وكانوا يحيون الموتى ويتصرفون بالأمور التكوينية، فكيف بمن يمتلك جلّ أحرف الإسم الأعظم، وهو لا محال يدل عن قدرتهم على التصرف بما هو أعظم وأكبر وأصعب من إحياء الموتى، وما ذكر من أمثلة أُخرى هي أقل صعوبة وقدرة من إحياء الموتى.

* أما صحة مضامين هذه الطائفة، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى المتقدمة والآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف.

---

١ - بصائر الدرجات: ٢١٧ باب أن الإمام عنده الإسم الأعظم ح ١ و ٤.

٢ - بصائر الدرجات: ٢٣١ ج ٤ باب نادر من باب ١٢ ح ٢.

الطائفة السابعة:
كونهم الأسماء الحسنى والإسم الأعظم

وهنا مطلبان:

الأول: في ذكر ما ورد أنهم الأسماء الحسنى.

الثاني: في ذكر قدرة هذه الأسماء على التصرف.

* المطلب الأوّل:
آل محمّد هم الأسماء الحسنى والإسم الأعظم

فعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ قال: « نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا ».

رواه الكليني بسند حسن [1].

وفي حديث قريب رواه العياشي: « نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلّا بمعرفتنا.

قال عليه السلام: فادعوه بها » [2].

---

١ ـ أُصول الكافي: ١ / ١٤٣ باب النوادر من كتاب التوحيد ح ٤.

٢ ـ تفسير العياشي: ٢ / ٤٢ ح ١١٩، والبرهان: ٢ / ٥٢.

وقريب منه عن الإمام الباقر عليه السلام [١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: « *إني لأعرف بطرق السماوات من طرق الأرض، نحن الإسم المخزون المكنون ونحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عزّوجلّ بها أجاب، نحن الأسماء المكتوبة على العرش ولأجلنا خلق الله عزّوجلّ السماء والأرض والعرش والكرسي، والجنّة والنار، ومنّا تعلّمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير، ونحن الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه* »[٢].

وقال عليه السلام: « *أنا الأسماء الحسنى* » [٣].

وأخرج المفيد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: « إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزّوجلّ وهو قوله ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ »[٤].

-وفي عيون الأخبار ان أمير المؤمنين عليه السلام مر في طريق فسايره خيبري فمرى بواد قد سال، فركب الخيبري مرطه وعبر على الماء، ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام: يا هذا لو عرفتَ كما عرفتُ لجريت كما جريت.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: « مكانك »، ثم أومأ الى الماء فجمد ومر عليه.

فلما رأى الخيبري ذلك أكب على قدميه وقال: يا فتى ما قلت حتى حولت الماء حجراً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « فما قلت أنت حتى عبرت على الماء؟ »

فقال الخيبري: أنا دعوت الله باسمه الأعظم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « وما هو؟ »

---

١ ـ البحار: ٢٥ / ٤ ح ٧.

٢ ـ البحار: ٢٧ / ٣٨ ح ٥.

٣ ـ شرح دعاء الجوشن: ٥٧٦.

٤ ـ الاختصاص: ٢٥٢.

قال: سألته باسم وصي محمد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « أنا وصي محمد ».

فقال الخيبري: أنه الحق. ثم أسلم [١].

وقريب منه قصة جرت مع أمير المؤمنين عليه السلام وعمار في تحويل الحجر الى ذهب حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: « ادع الله بي حتى تلين، فإنه اسمي ألان الله الحديد لداود » [٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: « *وباسمي تكوّنت الأشياء* » [٣].

ويؤيّد ذلك كونهم قدرة الله، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام [٤].

* المطلب الثاني:
قدرة الأسماء الحسنى والإسم الأعظم

امّا قدرة الإسم الأعظم وأثره فتقدّم في الطائفة السابقة ويأتي بعضها هنا، لأن الإسم الأعظم من الأسماء الحسنى في الجملة بل هو أفضلها.

وامّا قدرة الأسماء الحسنى:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: « *اللّهم إني .. أسألك باسمك الذي تعلم به ما في السماوات وما في الأرض .. وباسمك القادر به على كل شيء ...* ».

« وأسألك باسمك الذي تقول به للشيء كن فيكون بقدرتك يا الله ..

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٧٢ ـ ١٧٣.

٢ ـ مشارق أنوار اليقين: ١٧٣.

٣ ـ مشارق أنوار: ١٥٩.

٤ ـ الهداية الكبرى: ٤٣٤.

وأسألك باسمك الذي هو على كل شيء وفوق كل شيء وقبل كل شيء.

وأسألك باسمك الذي تنزل به قطر السماء..

وأسألك باسمك الذي تتفتح به أبواب السماوات.

وأسألك باسمك الذي خلقت بـه الشـمس والقـمر والنـجوم المسـخرات بأمرك.

وأسألك باسمك الذي خلقت وأحييت جميع خلقك، بعد أن كانوا أمـواتـاً بذلك الإسم »[1].

وروى الكفعمي في دعاء النجاح: « اللهم وأسألك باسمك الأعظم الذي به تقوم السماء والأرض وتحيي الموتى وترزق الأحياء »[2].

وفي المصباح عن الإمام الصادق عليه السلام: « اللّهم إني أسألك باسمك الذي به ابتدعت عجائب الخلق في غامض العلم بجود جمال وجهك.. وأسألك بـاسمك الذي تجلّيت به للكليم على الجبل العظيم فلما بدا شعاع نور الحجب من حجاب العظمة أثبت معرفتك في قلوب العارفين بمعرفة توحيدك[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: « وأسألك باسمك الذي نتقت به الجبل فوقهم كأنه ظلّة »[4].

وروي في أدعـية الأيّـام: « اللّـهم إنّـي أسألك بـاسمك الذي يـمشي بـه المقادير، وبه يمشي على ظلل الماء كما يمشى به عـلى جـدد الأرض، وأسألك باسمك الذي تهتز به أقدام ملائكتك »[5].

---

١ ـ بحار الأنوار: ٩٣ / ٢٥٤ إلى ٢٦١ باب أسماء الله الحسنى من كتاب الذكر.

٢ ـ البلد الأمين: ١٨، والبحار: ٨٦ / ٧٥ ح ١٠.

٣ ـ مصباح المتهجد: ٣٠١.

٤ ـ الدروع الواقية لابن طاووس: ٢٣٨، والبحار: ٩٧ / ٢١٨.

٥ ـ العدد القوية للحلي: ٣٠٥، والبحار: ٩٧ / ٢٨٣.

* *أقول* : هناك روايات مستفيضة في قدرة الأسماء الحسنى مذكورة في كتب الادعية [١].

تقريب الاستدلال:

بعد أن تبيّن قدرة الأسماء الحسنى وأنها تملك التصرّفات الكونية بقدرة الله وذكرنا ان الأسماء الحسنى في الواقع هم آل محمّد، يثبت جلياً ان آل محمّد يملكون هذه التصرّفات الكونية .

ـ قال الشيخ حسن زاد آملي : *إن الإسم الذي يكون موجباً لارتقاء واعتلاء الجوهر الإنساني والذي بارتقائه درجة درجة يصل إلى منزلة يكون قادراً فيها على التصرّف بمادّة الكائنات هو الإسم العيني، حيث إن الإنسان وبحسب الوجود والعين إذا اتصف بأي اسم من الأسماء الإلهية، والتي هي كلمات «كن» الباري، فإن سلطان ذلك الإسم وخواصه العينية تظهر فيه، فيصبح هو الإسم، وعندها يمكنه أن يفعل ما كان يفعله المسيح* عليه السلام [٢].

* أما صحة مضامين هذه الطائفة ، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى المتقدمة والآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام ، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل عليه .

---

١ ـ راجع بحار الأنوار : ٨٩ / ٢٣٤ و ٨٦ / ٧٥ ـ ٥٩ و ٥٢ / ٣٩٢ ، ومهج الدعوات : ٦١ ـ ٦٨ ، ومصباح المتهجد : ٢٥٨ ـ ٢٣١ ـ ٣٠١ .

٢ ـ الإنسان الكامل : ٩٩ .

الطائفة الثامنة :

إعطاء آل محمد علم الكتاب وتمكينهم في كل ما يعلمون

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث نفي علمهم للغيب قال: « يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ »

قلت : بلى .

قال عليه السلام : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ **قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾ [(١)] » .

قلت : جعلت فداك قد قرأته .

قال عليه السلام : فهل عرفت الرجل وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ »

قلت : أخبرني به؟

قال عليه السلام : « *قدر قطرة من الماء في البحر الاخضر ، فما يكون ذلك من علم الكتاب ؟!* »

قلت: جعلت فداك ما أقل هذا .

فقال عليه السلام : « يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً: ﴿ **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾[(٢)] .

قلت : قد قرأته جعلت فداك .

قال : « أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ »

---

١ – النمل: ٤٠ .

٢ – الرعد : ٤٣ .

قلت : لا ، بل من عنده علم الكتاب كله .

قال : فأومأ بيده الى صدره وقال : « *علم الكتاب والله كله عندنا علم الكتاب والله كله عندنا* » [١] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في الآية قال : « أنا هو الذي عنده علم الكتاب وقد صدقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصية ولا تخلى امة من وسيلته إليه والى الله ﴿ فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ [٢] .

* أقول: الروايات كثيرة في إعطائهم علم الكتاب أكثرها صحيح السند [٣]، اقتصرنا على هذا [٤] .

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر ، وأنا صاحب العصا والميسم ، ولقد اقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا لمحمد صلى الله عليه وآله ، ... ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي: علم المنايا والبلايا والانصاب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني ، انشر بإذن الله وأؤدي عنه كل ذلك ، مناً من الله ؛ **مكنني فيه بعلمه** » [٥] .

وتقدم قول أمير المؤمنين عليه السلام في الطائفة السابقة « ... *ولقد أعطانا ربنا عزّ*

---

١ - أصول الكافي : ١ / ٢٥٧ باب نادر ذكر الغيب ح ٣ ، وبصائر الدرجات : ٢١٣ باب أن عندهم علم الكتاب ح ٣ .

٢ - بصائر الدرجات : ٢١٦ ح ٢١ .

٣ - راجع أصول الكافي : ١ / ٢٢٩ ح ٦ ، وبصائر الدرجات : ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٢ - ٢٣٦ ح ١٢ - ١٥ - ١٤ - ١ - ١٧ .

٤ - بصائر الدرجات : ٢١٢ الى ٢١٦ ح ١ الى ٢١ باب ما عندهم من الإسم الأعظم وعلم الكتاب، والوسائل : ١٨ / ١٣٤ ح ٣٣٥٢٣ وما بعده .

٥ - بصائر الدرجات : ٢٠١ باب أنهم جرى لهم ما جرى للرسول ح ٣ و ٤ .

وجلّ علمنا للاسم الأعظم الذي لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنة والنار، ونعرج به الى السماء ونهبط به الأرض ونغرّب ونشرق، وننتهي به الى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عزّ وجلّ، ويطيعنا كل شيء حتى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنة والنار».

وفي رواية: «لقد فتحت لي السبل وعلمت الأنساب وأجري لي السحاب ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي»[1].

* أقول: وهناك روايات كثيرة في هذا المضمون تقدم بعضها، إنما المهم في تسليط الضوء على قوله: «مكنني فيه بعلمه» و «علمت للاسم الأعظم» وهذا ما سوف نذكره في تقريب الاستدلال، نعم هنا ينفتح بحثاً جديداً وهو سعة علمهم وحقيقته، فلابد من التعرض له بالتفصيل وفي كتاب مستقل.

تقريب الاستدلال:

هذه الروايات سواء منها روايات إعطاؤهم علم الكتاب كله، أم روايات تمكين الله لهم بكل ما يعلمون، تفيد قدرتهم على التصرف في أمور تكوينية لشمول علمهم لها.

وفي روايات إعطاؤهم علم الكتاب تصريح ان من عنده علم من الكتاب كان يستطيع ان يتصرف بالأرض، وهو في قصة عرش بلقيس، وقد تقدم توضيحه في كثير من الروايات؛ فكيف مَنْ يمتلك الكتاب نفسه والذي مقتضاه أنه لا يوجد شيء خارج عن علم الكتاب، أو لا أقل تفيد نفس ما تقدم في الطائفة السادسة من إعطائهم جلّ أحرف الإسم الأعظم.

---

١ – بصائر الدرجات: ٢٠١ باب أنهم جرى لهم ما جرى للرسول ح ٣ و ٤.

وعليه: فنفس إعطاؤهم علم الكتاب يكون دليلاً على تصرفهم بالكون، وان أبيت فنتمسك بروايات تمكين الله لهم في الأمور التي يعلمونها.

وان لم تسلم كل ذلك فإنا نقول لك: إن العلم الواقعي بالأمور بنفسه يقتضي إمكان التصرف في ما يعلم وذلك:

ان علمهم من الله تعالىٰ فعلمهم علم الله، ومعلوم ان علم الله هو أمره ومشيئته [1]، فمن يمتلك علم الله فقد امتلك أمره ومشيئته وإرادته، وهم الذين لا يريدون إلا ما أراد الله وتقدمت الإشارة إليه في أول الكتاب وتمامه في كتاب علم أهل البيت عليهم السلام.

* أما صحة مضامين هذه الطائفة، فقد رويناها من عدة طرق ومن مجموعها يحصل للإنسان استفاضة هذا المضمون وإذا لاحظنا الطوائف الأُخرى المتقدمة والآتية فإنا نصل الى حد القطع بصدق المضامين وعندها يصح القول بتواتر ثبوت الولاية المظهرية أو التكوينية لآل محمد عليهم السلام، خاصة مع ما تقدم من آيات تدل على هذه الطوائف.

---

١ - كما قال السبزواري: شرح دعاء الصباح ٩٧ ـ ٩٨.

أثر العلم على القدرة

ويدل على أنّ القدرة نتيجة العلم آيات وروايات:

قال تعالىٰ: ﴿ **ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو كلم به الموتى**﴾ [١].

وقال عزَّ من قائل: ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ [٢].

قال الإمام الصادق عليه السلام: وان الله يقول في كتابه: ﴿ **ولو ان قرانا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى** ﴾ *وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحييٰ به الموتى* » [٣].

وعنه عليه السلام في حديث تبيين ان علمهم من القرآن قال: « فعندنا ما يقطع به الجبال ويقطع به البلدان ويحيى به الموتى بإذن الله » [٤].

٣ ـ وقال عزَّ من قائل: ﴿ **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ**

---

١ ـ الرعد: ٣١.

٢ ـ الحشر: ٢١.

٣ ـ إلزام الناصب: ٢ / ٣٣١ الآيات القرآنية المشعرة بالرجعة عموماً عن الكافي.

٤ ـ بصائر الدرجات: ١٥ ح ٣ باب أنهم ورثوا علم آدم.

لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِيٌّ كَرِيمٌ. قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[١]

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث نفي علمهم للغيب قال: «يا سدير ألم تقرأ القرآن ؟».

قلت: بلى .

قال عليه السلام: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك﴾»[٢].

قلت: جعلت فداك قد قرأته.

قال عليه السلام: فهل عرفت الرجل وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب ؟ »

قلت: أخبرني به ؟

قال عليه السلام: «قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر ، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟!».

قلت: جعلت فداك ما أقل هذا .

فقال عليه السلام: « يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزوجل أيضاً: ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[٣].

قلت: قد قرأته جعلت فداك .

قال: «أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه ؟»

قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله .

قال: فأومأ بيده الى صدره وقال: «علم الكتاب والله كله عندنا علم الكتاب

---

(١) سورة النمل: ٣٨ ـ ٤١ .

(٢) النمل: ٤٠ .

(٣) سورة الرعد: ٤٣.

والله كله عندنا»[١].

وتقدم حديث: أعطانا الله ذلك كله بالإسم الأعـظم الذي عـلمنا وخـصنا به..[٢].

في رواية روح القدس يقول الإمام الصادق عليه السلام: «بروح القدس علموا ما دون العرش الى ما تحت الثرى، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها».

قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟

قال: «*نعم وما دون العرش ورؤيتهم لما فيهم*»[٣].

وهذا تصريح أن روح القدس الذي يعطيهم العلم أو الذي يأخذون العلم بواسطته أقدرهم على التصرف التكويني بما في المشرق والمغرب الى ما دون العرش.

هذا وروي عنهم عليهم السلام: « وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة »[٤].

وسئل الحسن عن ذي القرنين في قوله تعالىٰ: ﴿وأتيناه من كل شيء سبباً﴾ قال: *أي علماً أن يطلب أسباب المنازل*[٥].

وقد قال الإمام الصادق في حق الإمام الكاظم عليهما السلام: « بلغ ما بلغه

(١) أُصول الكافي: ١ / ٢٥٧ باب نادر ذكر الغيب ح ٣، وبصائر الدرجات: ٢١٣ باب أن عندهم علم الكتاب ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦ / ٦ ـ ٧ باب نادر في معرفتهم بالنورانية ح ١.

(٣) بصائر الدرجات: ٤٥٤ ح ١٣ باب أن روح القدس يتلقاهم.

٤ – بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٦٥ و٧٥ / ٣٧٨.

(٥) تاريخ دمشق: ١٧ / ٣٣٩ ترجمة ذي القرنين رقم ٢١٠٦.

ذو القرنين وجازه أضعافاً مضاعفة فشاهد كل مؤمن ومؤمنة »[(١)] .

فبواسطة العلم شاهد البشرية.

قال الحكيم السبزواري: والإرادة في إرادته الثاقبة وقوتها أن يكون الروح القدسي بحيث كل ما تعلق تصوره به وقع بمجرد تصوره ، وتطيعه مادة الكائنات فيتصرف فيها كتصرفه في بدنه[(٢)] .

وعن أبان قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل اليمن فقال أبو عبد الله : « يا يماني أفيكم علماء؟

قال : نعم .

قال : فأي شيء يبلغ من علم عالمكم؟

قال : انه يسير في ليلة واحدة مسير شهرين ويزجر الطير ويقفو الأثر .

فقال له عليه السلام : « عالم المدينة أعلم من عالمكم » .

قال له : فأي شيء يبلغ من عالم علم المدينة؟

فقال له عليه السلام : « *يسير في صباح واحد مسيرة سنة للشمس إذا مرت ، فأما اليوم فهي ما يوده ، وإذا مرت تقطع اثنى عشر مغرباً واثنى عشر مشرقاً* »[(٣)] .

---

(١) الهداية الكبرى : ٢٧٠ .

(٢) شرح دعاء الصباح : ٨٢ .

٣ – دلائل الإمامة : ١٣٥ ـ ١٣٦ معاجز الصادق عليه السلام .

مفاد كل الأدلة على الولاية المظهرية لآل محمد عليهم السلام

هذه طوائف النحو الثاني والتي تثبت جميعها إعطاء الله تعالىٰ لآل محمّد عليهم السلام مطلق التصرف في الأُمور الكونية، وما كان مفاد النحو الأوّل من الأدلة هو إعطاؤهم مصاديق من هذا التصرّف التكويني، وإن كان بمجموعها قد يصل إلى مفاد النحو الثاني.

وما تقدّم من أدلّة في الآيات القرآنية وإن كان بعضه مختصاً بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلّا أن الروايات كثيرة في تساويهم مع النبي صلى الله عليه وآله [1].

هذا إضافة إلى الروايات التي فسّرت الآيات المتقدّمة بآل محمّد عليهم السلام أيضاً.

ومجمل ما تعطينا هذه الأدلة (النحو الأول والثاني والآيات) ان الله بقدرته المتعالية وبفضله على سيّد البشر وآل بيته عليهم السلام أعطاهم التصرّف بالأُمور الكونية وذلك كلّه تحت إرادته وبإذنه تعالىٰ.

فتكون هذه القدرة لآل محمّد عليهم السلام ليست بمعنى القدرة لله التي هي عين الذات والتي هي من صفات واجب الوجود؛ بل القدرة لهم هي إجازة من واجب الوجود لهم بهذا التصرّف لمصلحة ما.

---

١ ـ البحار: ٢٥ / ٣٥٧ و ٣٨٤ ـ ٣٦٠ و ٢٦ / ٦٦ ح ١٤٩، والبصائر: ٥١٥.

سعة الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام

* *امّا سعة هذه الولاية*: اما بالنسبة لغير أهل البيت عليهم السلام فمن ثبتت له ولاية تكوينية، فإنّه يؤخذ بالقدر المتيقن منها.

امّا آل محمّد عليهم السلام فإن ولايتهم المظهرية أو التكوينية أوسع وأعظم من جميع الولايات، بل كل ولايات الأنبياء من ولايتهم.

كما صرّح الإمام الخميني (قده) في تعليقاته على فصوص الحكم: بأن كل الولايات ظل لولاية النبي المطلقة [1].

وقال الحكيم السبزواري في كلام تقدّم: إن جميع الأنبياء والرسل مظهر من مظاهر خاتم الأنبياء محمّد، وجميع الأوصياء والأولياء مظهر من مظاهر سيّد الأولياء علي عليه السلام [2].

وقال الحكيم: كلام في رؤية النبي صلى الله عليه وآله من خلقه: وآية حضور المسموعات والمبصرات لوجوده تعالىٰ وجود نبيّنا صلى الله عليه وآله حيث كان يرى من خلفه، فكان هو صلى الله عليه وآله بحسب وجوده الجسماني البشري بصراً كلّه مثلاً، فإن من يقدر على إيجاد جليدية هي بقدر العدسه أو روح بخاري له مقدار مخصوص، يقدر على إيجاد أعظم منه وأكبر.

فان الصغر والكبر لا يغيّر حال الشيء في الامكان والامتناع والفاعل

---

١ ـ تعليقات الإمام: ٤٨.

٢ ـ شرح دعاء الجوشن: ١٠٤.

تعالىٰ شأنه في كمال القدرة ؛ فبدنه صلى الله عليه وآله البشري كان له خاصّية الجليدية والروح البخاري.

وكيف لا؟! وهو مجاور الروح النوري الإلهي ، فكان روحاً مجسداً وجسداً مروحاً .

وقد مرّ أن إخوان التجريد يشرق عليهم أنوار فبها ما يخطفون به ويعلقون في الهواء ويجذبون ويمشون إلى السماء .

فما ظنّك بمن هو أطهر الطاهرين وأشدّ تجرّداً من كل المجردين بعد الحق، كما قال صلى الله عليه وآله : « أنا النذير العريان » .

وبالهامش قال الحكيم: أنا النذير العريان، أي المجرّد الحقيقي كتجرّد العقل الكلّي، لأنّه صلى الله عليه وآله بروحانيته هو العقل الكلّي، ومعلوم ان ليس المراد به العريانية الصورية [(١)] .

ومن هنا يعلم أن الغلو وما يكفّر به القائل هو ادعاء الولاية المظهرية أو التكوينية التي بمعنى القدرة لواجب الوجود ، فمن قال ان الله فوّض أمره بالأُمور التكوينية إلى آل محمّد عليهم السلام بالاستقلال فقد كفر لإعطائه صفة واجب الوجود لغير الله .

أما مَنْ قال أن الله مكّن آل محمّد عليهم السلام بعلمه وبإذنه وبقدرته من الأُمور الكونية ؛ فقد قال بفضل آل محمّد عليهم السلام ولم يبلغ، ولا يصدق عليه أنّه قال بالغلو ولا بالتفويض المحرم .

وإليك توضيح ذلك :

---

١ ـ شرح دعاء الجوشن : ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .

معنى الغلو والتفويض

الغلو هو تجاوز الحدّ، وأطلق في القرآن الكريم على من ادعى الألوهية لغير الله أو ادعى ان لله شريكاً، قال تعالىٰ: ﴿ **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح** ﴾ إلى أن قال ﴿ **قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم** ﴾ [1].

وقال تعالىٰ: ﴿ **الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلك من شيء** ﴾ [2].

فمن ادعى أن المسيح أو غيره هو الله فقد كفر وصدق في حقّه الغلو لأنه تجاوز الحد في قوله في عيسى عليه السلام.

ومن قال ان لله شركاء يخلقون كما يخلق، ويرزقون كما يرزق، ويحيون كما يُحيي؛ فقد كفر وصدق في حقّه الغلو، ونريد بكما، الاستقلالية في التصرف على حد تصرف الله في كائناته.

أمّا مَنْ قال أن الله أعطى لبعض عباده قدرة الإحياء والإماتة والرزق فإن الآيات لم تتعرّض له.

ودليل ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿ **هل من شركائكم** ﴾ فحكمت على القائل بمقولة الغلو أنّه يجعل لله شريكاً، فهو يعطيه قدرة الرزق والإحياء في عرض قدرة الله

---

١ ـ المائدة: ٧٢ و٧٧.

٢ ـ الروم: ٤٠.

وبالاستقلال، ولا يعطيه الرزق والاماتة في طول [١] رزق الله وإماتته، كيف والله قد فوّض الاماتة لملك الموت وللملائكة في طول ان الله هو المميت كما يأتي قريباً.

هذا في الآيات القرآنية.

ـ *اما في الروايات*: فاطلق الغلو على من ادعى الالوهية لأمير المؤمنين أو أحد أبنائه: أو ان الله فوّض إليهم الأُمور بالاستقلال.

والمتتبّع للروايات يدرك ذلك، وسوف أنقل لك كلام العلّامة المجلسي الذي وقف على جلّ هذه الروايات وخرج بالنتيجة التالية:

فذلكة

قال العلامة المجلسي قدس سره: اعلم أن الغلو في النبي والأئمّة: إنّما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالىٰ في المعبودية أو في الخلق والرزق أو ان الله تعالىٰ حلّ فيهم أو اتحد بهم، أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالىٰ، أو بالقول في الأئمّة: إنّهم كانوا أنبياء أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض أو القول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي.

والقول بكل منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين، كما دلّت عليه الأدلّة العقلية والآيات والأخبار السالفة وغيرها، وقد عرفت ان الأئمّة عليهم السلام تبرؤوا منهم وحكموا بكفرهم وأمروا بقتلهم وإن قرع سمعك شيء من الأخبار الموهمة

١ ـ مرادنا بالطولية هنا أنّه ليس شريكاً وإلّا تقدّم ان حقيقة الولاية هي المظهرية.

لشيء من ذلك فهي إما مأوّلة أو هي من مفتريات الغلاة.

ولكن أفرط بعض المتكلّمين والمحدّثين في الغلو لقصورهم عن معرفة الأئمّةعليهم السلام وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شؤونهم فقدحوا في كثير من الرواة الثقات لنقلهم بعض غرائب المعجزات حتى قال بعضهم: من الغلو نفي السهو عنهم أو القول بأنّهم يعلمون ما كان وما يكون وغير ذلك.

مع أنّه قد ورد في أخبار كثيرة: « لا تقولوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا » وورد: « إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان » وورد: « لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله »، وغير ذلك ممّا مرّ وسيأتي [1].

وقال في موضع أخر: (*قد عرفت مراراً ان نفي علم الغيب عنهم معناه أنّهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالىٰ بوحي أو إلهام وإلّا فظاهر أن عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من هذا القبيل*) [2].

وللعلّامة الأميني كلام مشابه جميل لا بأس بالرجوع إليه [3].

التفويض زمن الأئمة عليهم السلام

ولا بأس بالإشارة إلى اختلاف الشيعة في زمن الإمام الباقر عليه السلام بالتفويض، وكذا في زمن الإمام المنتظر عجل الله فرجه وعصر الغيبة.

فعن علي بن أحمد الدلّال قال: اختلف جماعة من الشيعة في ان الله

١ ـ البحار: ٢٥ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧ باب نفي الغلو.

٢ ـ بحار الأنوار: ٢٦ / ١٠٣ باب أنّهم لا يعلمون الغيب ح٦.

٣ ـ الغدير: ٥ / ٥٢ إلى ٦٥ وسوف نذكره في كتاب علم أهل البيت عليهم السلام.

عزّوجلّ فوّض إلى الأئمّة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا؟

فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله تعالىٰ.

وقال آخرون: بل الله أقدر الأئمّة عليهم السلام على ذلك وفوّض إليهم فخلقوا ورزقوا.

فتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً.

فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان فتسألونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه، فإنّه الطريق إلى صاحب الأمر عجّل الله فرجه، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله.

فكتبوا المسألة وانفذوها إليه فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: «*إن الله هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق، لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.*

فامّا الأئمّة عليهم السلام فإنّهم يسألون الله فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقّهم»[1].

فروحي فداه نفي التفويض المساوق لصفات واجب الوجود (ليس بجسم ـ ليس كمثله شيء) فالله هو الرازق وهو المحيي والمميت، نعم الأئمّة عليهم السلام يسألون الله بإذنه أن يحيي فيُحيي الميّت فيكون المحيي هو الله، وإن كان أيضاً الأئمّة يطلق عليهم أنّهم أحيوا الأموات كما تقدم. قال تعالىٰ: ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ففي نفس أنّه هو الرامي ﴿ إذ رميت ﴾ الله هو الرامي.

وكذلك آيات نسبة الاماتة لجبرائيل، وفي نفس الوقت تنسب آيات أُخرى الاماتة لله عزّوجلّ كما يأتي.

---

١ ـ الاحتجاج: ٢٦٤، والبحار: ٢٥ / ٣٢٩.

وعن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال عليه السلام : « *إن الله لم يزل فرداً متفرّداً في الوحدانية ثم خلق محمّداً وعلياً وفاطمة: فمكثوا ألف دهر ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما يشاء ، وفوّض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرّف والإرشاد والأمر والنهي والخلق، لأنّهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية فهم أبوابه ونوّابه وحجاجه يحلّلون ما شاء ويحرّمون ما شاء ولا يفعلون إلّا ما شاء عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون* »[1].

التفويض المنفي وتأويله

أقول : ما تقدم من روايات في إثبات التفويض للأئمة في الأُمور الكونية بكل طوائفه أكبر دليل على ما ذكرنا .

وامّا ما ورد في نفي التفويض عنهم كالمروي عن الإمام الرضا عليه السلام : « إن الله فوّض إلى نبيّه أمر دينه .. فامّا الخلق والرزق فلا ـ ثم قال : إن الله عزّوجلّ خالق كل شيء وهو يقول عزّوجلّ ﴿ **الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يُحييكم هل من شركائكم من يفعل ذلكم** ﴾ »[2].

فان هذه الرواية وأمثالها واضحة ان الإمام ينفي التفويض الذي يؤدي إلى القول بألوهية صاحبِهِ وأنّه شريك لله تعالى، خاصة مع استشهاده بهذه الآية القائلة أن صاحب الإحياء شريك لله .

وفي رواية القائم المنتظر عليه السلام للذي جاء يسأله عن المفوّضة قال عجل الله

---

١ ـ البحار : ٢٥ / ٣٣٩ .

٢ ـ البحار : ٢٥ / ٣٢٨ .

فرجه: «*كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء شئنا*» [١].

فالإمام ذمّ المفوّضة الذين يقولون ان الأئمّة مفوّض إليهم بالاستقلال، وبلا مشيئة الله وإذنه، واستدل الإمام بقوله: إذا شاء شئنا» للاشارة لما قدمناه.

وفي رواية الإمام الرضا عليه السلام: «*اللّهم من زعم أنّا أرباب فنحن منه براء ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براء منه، كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى*» [٢].

فالإمام نفىٰ كونهم يرزقون بغير إذن الله ونفى كونهم يحيون بغير إذن الله، أمّا الإحياء بإذنه فإنّه لم ينفه، بل أثبته بقوله: «كبراءة عيسى من النصارى» فعيسى لم يتبرأ من الذين نسبوه إلى الرزق والإحياء بإذن الله، بل هو صحيح مذكور في القرآن، كما تقدم.

إنّما عيسى عليه السلام تبرأ من الذين نسبوا إليه الرزق أو الإحياء بالاستقلال فادعوا له الربوبية، ولعلّ هذه الرواية تحل أصل روايات نفي التفويض فتأمل.

وعن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن التفويض الذي يقول به بعض من ينتسب لعبد الله بن سبأ؟

فقال عليه السلام: «ما التفويض؟».

قلت [زرارة]: أن الله خلق محمّداً وعلياً ففوّض إليهما، فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا.

فقال عليه السلام: «كَذِب عدو الله إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية:

---

١ ـ البحار: ٢٥ / ٣٣٧.

٢ ـ البحار: ٢٥ / ٣٤٣.

﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق ﴾ »[١].

وهذا نصّ أوضع فالإمام لم يجب حتى سأله عن مراده من التفويض، فلما فَهِم منه أنّه يريد التفويض بالاستقلال المساوق للقول بوجود شريك لله ، نفاه عنهم واستدل بآية تنص أن صاحب التفويض يعتبر شريكاً لله ﴿ أم جعلوا لله شركاء ﴾ فالمنفي التفويض الذي يؤدي إلى القول بأن لله شريكاً ، والذي يعتبر خلقه مشابهاً ومتساوياً مع خلق الله ؛ أما من يُعتبر خلقَه مظهراً لخلق الله تعالىٰ فلم ينفه .

وفي دعاء الجوشن الكبير : « *يا من لا يعلم الغيب إلّا هو ... يامن لا يدبر الأمر إلّا هو يا من لا ينزل الغيث إلّا هو يا من لا يبسط الرزق إلّا هو يا من لا يحيي الموتى إلّا هو سبحانك ..* » .

فمطلع الدعاء انحصار علم الغيب بالله ، إلّا أن الصحيح أنه ينفي علم الغيب لغير الله بالاستقلال وبلا تعليمه ؛ بقرينة تدبير الأُمور والرزق والإحياء والإماتة، فمع كونها منحصرة بالله فقد فوّضها الله تعالىٰ للملائكة وجبرائيل والأنبياء ، كما تقدم ويأتي على سبيل الظلية والمرآتية .

وعن أبي عبد الله عليه السلام : « إن الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم ان الله عزّوجلّ أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله في حكمه فهو كافر .

ورجل يزعم ان الأمر مفوّض إليهم ، فهذا قد أوهن الله في سلطانه فهو كافر.

ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون وإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ»[٢] .

---

١ ـ البحار : ٢٥ / ٣٤٣ح ٢٥ .

٢ ـ التوحيد : ٣٦٠ باب نفي الجبر والتفويض ح ٥ باب رقم ٥٩ .

* أقول : ما نفاه روحي فداه هو التفويض الذي يؤدي إلى توهين سلطان الله تعالىٰ ؛ فحكم بكفره، وما أثبتناه من الظلية والمرآتية وان الله هو الفاعل بالحقيقة لا يوهن سلطان الله وعظمته ، بل يحفظ له عزت آلاؤه قدرته وسلطانه ، والذي يدل عليه أنّه جعل التفويض في مقابل الجبر، وما قلناه هو الأمر بين أمرين فتأمّل تبصر .

* *والخلاصة* : فالأدلّة المدعاة لنفي التفويض بإذن الله ليست إلّا أدلّة تنفي التفويض الاستقلالي، بل بعضها كما عرفت مؤيّداً للأدلّة المتقدّمة على التفويض لآل البيت عليهم السلام والذي هو بإذن الله ومشيئته .

خلاصة ودليل

وجدت بعد ذكر الأدلّة رواية يدّعي فيها الجاثليق ان من أحيى الموتى فهو ربٌّ مستحق أن يُعبد ، ولذلك قالوا بربوبية عيسى عليه السلام .

فأجابه الإمام الرضا عليه السلام بأن إحياء الموتى لا يؤدي للقول بالربوبية وذلك لأنّه يحيي بإذن الله تعالىٰ .

قال الإمام الرضا عليه السلام : « ... فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى مشى على الماء وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم يتخذه أُمته رباً ولم يعبده أحدٌ من دون الله .

ولقد صنع حزقيل النبي مثل ما صنع عيسى ابن مريم عليهما السلام فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة » .

وساق الحديث وذكر إحياء النبي محمد صلى الله عليه وآله للموتى وإبراء الأكمه والأبرص فقال : « لقد أبرأ (النبي محمد) الأكمه والأبرص والمجانين وكلمه

البهائم والطير والجن والشياطين ولم نتخذه رباً من دون الله عزّ وجلّ »[١].

وقوع التفويض في القرآن الكريم

خلصنا إلى القول أن الغلو المنفي في الآيات والروايات هو المساوق لادعاء الألوهية أو الشريك لله .

وأن التفويض إلى الأئمّة مع عزل الله نفسه كفر، لأنّه إثبات لشريك لله .

ويبقى ما دلّت عليه الأدلّة السابقة وهو التفويض لآل محمّد في التصرّف بالأُمور الكونية في طول قدرة الله تعالىٰ أو في ظل مشيئته تعالىٰ .

وهذا التفويض في القرآن كثير منها قوله تعالىٰ :

١ ـ **﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر﴾**[٢] وقال :ـ **﴿نزل به الروح الأمين ﴾**[٣] .

فالله فوّض ـ في الآية الأولى ـ إلى جبرائيل انزال القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وفي نفس الوقت الله هو الذي أنزل القرآن عليه ـ كما في الآية الثانية ـ ، وهذا التفويض ليس استقلالياً، بل هو بإذن الله وتحت قدرته .

٢ ـ **﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾**[٤] .

فالآية نفت الرمي في عين إثباته وأثبتته في عين نفيه، وهذا تفويض للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله في الرمي، وفي نفس الوقت الله هو الذي رمى حقيقة ، فرمي الرسول في طول رمي الله تعالىٰ .

---

١ ـ التوحيد للصدوق : ٤٢٣ باب ذكر مجلس الرضا ح ١ باب ٦٥ .

٢ – الحجر : ٩ .

٣ ـ الشعراء : ٩٣ .

٤ ـ الأنفال : ١٧ .

وبتعبير أدق : كان رمي رسول الله مظهراً لرمي الله ودالّاً عليه [١] .

٣ ـ ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم ﴾ وقال : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ ﴿ طيبين ﴾ [٢] .

وقال تعالىٰ : **﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾** [٣].

ففي عين نسبة الاماتة لملك الموت نسبها للملائكة ثم نسبها لنفسه تعالىٰ. وهذا تفويض لملك الموت في الإماتة وليس هو بعرض إماتة الله للأنفس .

وأيضاً هنا تفويض آخر وهو تفويض جبرائيل الإماتة للملائكة أو الله للملائكة.

٤ ـ ﴿ والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبرات أمراً ﴾ [٤] .

فأسند الله عزّوجلّ تدبير أُمور الكون إلى الملائكة عموماً أو إلى الملائكة الأربعة المدبرة ، فجبرائيل يدبر الرياح والجنود والوحي ، وميكائيل يدبّر أمر القطر والنبات ، وعزرائيل موكّل بقبض الأرواح ، وإسرافيل يتنزل بالأمر عليهم وهو صاحب الصور ، وقيل إسرافيل موكّل بالإحياء [٥] .

قال صدر المتألهين : ولا شك لمن له قدم راسخ في العلم الإلهي والحكمة التي هي فوق العلوم الطبيعية، أن الموجودات كلّها من فعل الله بلا زمان ولا مكان، ولكن بتسخير القوى والنفوس والطبائع، وهو المحيي والمميت والرازق

---

١ ـ تقدّم الحديث عن معنى المظهرية في الولاية المظهرية أو التكوينية في مطلع البحث .

٢ ـ السجدة : ١١ ـ النحل : ٢٨ ـ ٣٢ .

٣ ـ الزمر : ٤٢ .

٤ ـ النازعات : ١ ـ ٥ .

٥ ـ يراجع تفسير الميزان : ٢٠ / ١٨٠ ، والأربعون حديثاً للإمام الخميني : ٤٩٠ .

والهادي والمضل، ولكن المباشر للاحياء ملك اسمه اسرافيل، وللإماتة ملك اسمه عزرائيل يقبض الأرواح من الأبدان، وللأرزاق ملك اسمه ميكائيل يعلم مقادير الأغذية ومكائيلها، وللهداية ملك اسمه جبرائيل، وللإضلال دون الملائكة جوهر شيطاني اسمه عزازيل، ولكل من هذه الملائكة أعوان وجنود من القوى المسخّرة لأوامر الله [١].

وقال الحافظ البرسي: .. فمظهر ركن الحياة إسرافيل ومظهر ركن العلم جبرائيل ومظهر ركن الإرادة ميكائيل، ومظهر ركن القدرة عزائيل [٢].

وقد تقدّم ما يوضح ذلك في مطلع الكتاب عند الكلام عن المظهرية.

وهذا تفويض مطلق للملائكة المدبّرة الأربعة وليس بتفويض منفي، لأنّه لا يؤدي إلى القول بألوهية الملائكة، أنّما الله عزّوجلّ فوّض إليهم هذه الأُمور بقدرته فهم يتصرّفون فيها بإذن الله تعالىٰ.

* *أقول*: الآيات كثيرة في كون الملائكة وسائط في التدبير كتوسطهم في العذاب والسؤال وثواب القبر ونفخ الصور والحشر وإعطاء الكتب ووضع الموازين والحساب والسوق إلى الجنّة والنار ونحو ذلك [٣].

٥ ـ **﴿ إذ تخلق من الطين كهيئة الطير ﴾** [٤].

ففوّض الله تعالىٰ الخلق إلى النبي عيسى عليه السلام مع ان الله هو الخالق، قال تعالىٰ: **﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء**

---

١ ـ شرح دعاء السحر: ٩٤.

٢ ـ مشارق أنوار اليقين: ٣٢.

٣ ـ راجع تفسير الميزان: ٢٠ / ١٨٢ النازعات: ١ ـ ٤١، والغدير: ٥ / ٥٩.

٤ ـ المائدة: ١١٠.

وهو الواحد القهّار ﴾ [١].

فتبين أن المنفي هو التفويض المساوق للقول بألوهية صاحبه أو كونه شريكاً لله تعالىٰ.

٦ ـ **﴿ قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً ﴾** [٢].

وهذا نص في التفويض لإبراهيم عليه السلام في الخلق، وتقدم ان الله هو الخالق.

٧ ـ ومن الآيات قوله تعالىٰ: **﴿ تبارك الله أحسن الخالقين ﴾** [٣].

فدل سبحانه أنّه أحسن الخالقين وأثبت الخلق لغيره، وإليه أشار الإمام الرضا عليه السلام للفتح عندما سأله عن وجود خالق غير الله قال عليه السلام: « إن الله تعالىٰ يقول: **﴿ تبارك الله أحسن الخالقين ﴾** *فقد أخبر أن في عباده خالقين منهم عيسى ابن مريم خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله* » [٤].

* وينتج: إن التفويض لآل محمّد في الأُمور الكونية بعد دلالة الأدلّة المتقدّمة عليه ليس فيه كفر ولا غلو، بل هو واقع في القرآن صريحاً.

هذا ما أردنا الكلام عنه حول الولاية المظهرية أو التكوينية وأدلّتها.

---

١ ـ الرعد: ١٦.

٢ ـ البقرة: ٢٦٠.

٣ ـ المؤمنون: ١٤.

٤ ـ التوحيد للصدوق: ٦٣ ح١٧ باب ٢ باب التوحيد وفي التشبيه.

الولاية التشريعية لآل محمد صلى الله عليه وآله

تعريفها: هي كون زمام الأمور الشرعية بيد شخص يمكنه التصرف به متى أراد وشاء، فيكون الولي مالكاً ومتسلطاً على الغير في نفسه وماله .

وينتج عن ذلك وجوب طاعة الولي ، وامتثال أوامره في الحياة الدينية، الادارية والسياسية والاجتماعية، بل وكل الأشياء والأمور التي تحصل في محيط حياة الإنسان بشكل لو لم يكن الإنسان لما طرحت هذه الأمور أصلاً .

وليعلم أن الولاية التشريعية عين رسالة الأنبياء عليهم السلام وذلك أن هناك:

١ ـ التقنين . ٢ ـ التنفيذ . ٣ ـ والابلاغ والهداية .

فالتقنين أصله بيد الله ، وضمن ولايته التشريعية الشاملة لكل إنسان على حدّ سواء ، المؤمن والكافر ، بل وغير الإنسان كالجن والشيطان كما يأتي .

والتنفيذ والابلاغ والهداية بيد صاحب التشريع من نبي وإمام عليهم السلام .

وما يأتي من إثبات التفويض التشريعي للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة لا يعد تقنيناً صادراً فيه ، إنما هو معناه إذن الله للنبي في أمور تشريعية ، وتسليمه هذه القوانين بالوحي الإلهي وتبليغها للإنسان : ﴿ **وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى** ﴾ [1] .

فليس مرادنا عند إثبات التشريع للنبي وأهل بيته عليهم السلام أن نثبت لهم ذلك بالاستقلال ، بل لهم أن يشرعوا بإذن الله تعالى وتحت سلطانه .

---

١ - النجم : ٣ ـ ٤ .

مراتب الولاية

والولاية التشريعية في الواقع منحصرة بالله تعالىٰ ، بيد انه سبحانه اسندها الى أوليائه وأنبيائه ، فمن أجل ذلك لا بأس بعرض مراتب الولاية التشريعية .

ولاية الله التشريعية

قال تعالىٰ : ﴿ أن الحكم إلا لله ﴾ [١] ﴿ لا معقب لحكمه ﴾ [٢] ﴿ لا يشرك في حكمه أحد ﴾ [٣] .

وقال : ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي ﴾ [٤] .

وقال : ﴿ ما لكم من دونه ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ [٥] .

﴿ افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء ﴾ [٦] .

﴿ قل اغير الله اتخذ ولياً ﴾ [٧] .

---

١ – الأنعام: ٥٧ .

٢ – الرعد: ٤١ .

٣ – الأنعام : ٥٧ .

٤ – الشورى: ٩ .

٥ – السجدة: ٤ .

٦ – الكهف: ١٠٢ .

٧ – الأنعام: ١٤ .

﴿ ...وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾[١].

وقال : ﴿ لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ [٢].

وهذه الآيات تشير الى انحصار الولاية في الله تعالىٰ ، وان مرجع الأمور جميعا لله ، وان من يعتبر غير الله ولياً فقد كفر .

وولاية الله على مراتب فمنها ما يعم الكافر والمؤمن والجن والإنس والشياطين وهي ولاية الربوبية وان كل مخلوق تحت ولاية الله .

ومنها ولاية المؤمنين عامة قال تعالىٰ : ﴿ الله ولي الذين آمنوا ... ﴾ [٣].

ومنها ولاية لخواص المؤمنين قال تعالىٰ : ﴿ إن وليّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ [٤].

وهذه الولاية والتي قبلها هي رحمة وعناية خاصة من الله تجاه أوليائه وأنبيائه أو محبته ولطفه ونصرته على المؤمنين .

قال تعالىٰ : ﴿ يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾ [٥].

أقسام الولاية

ولاية الله التشريعية على أقسام ، وان شئت قلت على مظاهر : فولاية النبي وآله الأطهار مظهر من مظاهر هذه الولاية .

وولاية الفقهاء والعلماء مظهر أخر من مظاهر هذه الولاية .

---

١ – هود: ٢٠ .
٢ – سبأ: ٢٢ .
٣ – آية الكرسي البقرة : ٢٥٧ .
٤ – الأعراف : ١٩٦ .
٥ – البقرة: ٢٥٧ .

وولاية الوالدين على الاولاد مظهر منها أيضاً .

وولاية الزوج على زوجته وقيوميته كذلك .

نعم فرق بين هذه الولايات وبين الولاية التشريعية .

وولاية النبي وآله الأطهار عليهم السلام هي محط دراستنا هنا ، اما ولاية الوالدين والزوج فقد اتينا على ذكرها في كتابنا فقه الأسرة وآدابها، وهي خارجة على مقصود الكتاب .

إمكان جعل الولاية التشريعية لغير الله

تقدم انحصار الولاية بالله الواحد القهار ، وقلنا أن الولاية على أقسام ومراتب ، فأما ولاية الربوبية فهي غير قابلة للجعل والتفويض لأحد من الخلق ، لأن ما عدا الله لا يستطيع بالاستقلال ان يتولى أمور الربوبية ، وإلّا أشرك بالله تعالىٰ .

أمّا ولاية التقنين فأيضاً غير قابلة للتفويض بالاستقلال ، بمعنى ان الله هو المقنن الوحيد والأول ، نعم الأنبياء يبرزون هذا التقنين : إما بالوحي أو بالالهام أو بالمباشرة .

وتبقى ولاية الهداية والتنفيذ والابلاغ ، فهذه قد أسندها الله تعالىٰ لأنبيائه وأوليائه ، إذ هي الطريق الوحيد لإيصال التشريع الى المخلوقات .

وعليه فالولاية التشريعية في مجال الهداية والابلاغ والتنفيذ، أما التقنين فإن كان بالاستقلال فممنوع لرجوعه الى ولاية الربوبية، وإن كان بإذن الله تعالىٰ ، كأن يفوض الله الى أنبيائه عدد النوافل مثلاً ، فهو مقبول ، بل واقع كما يأتي في روايات التفويض الى رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام .

وعليه فإمكان جعل وتفويض الولاية التشريعية من ضروريات عبودية الله لتوقف الطاعة والاتصال بالله تعالىٰ عليها.

ومن هنا يعلم أن الولاية جعلية، وان الجاعل لها هو الله تعالىٰ، وتوضيح ذلك:

إثبات أن الجاعل للولاية الله

في جاعل الخلافة والإمامة خلاف فبين قائل: إن الجاعل هو الله، ومن قائل: إن الجاعل هو رسول الله ﷺ، ومن قائل: إن الجاعل هو الأمة، ومن قائل: إن الجاعل هم طائفة من الأمة: اما من قريش واما من غيرها.

سوف نثبت وباختصار أن الجاعل هو الله سبحانه وتعالىٰ وذلك من طريقين:

الطريق الأول:

القرآن الكريم

وذلك بآيات:

ـ الآية الأولى قوله تعالىٰ:

﴿ إني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾[1].

حيث جعل سبحانه مسألة خلافة الأرض من شأنه، وهو الذي يجعل الخليفة والإمام، بيده ملكوت كل شيء.

لذا إبراهيم عليه السلام لم يسأل عن هذا الجعل، بل أخذه كمسألة مسلمة، إنما

---

١ - البقرة: ١٢٤.

وعليه فإمكان جعل وتفويض الولاية التشريعية من ضروريات عبودية الله لتوقف الطاعة والاتصال بالله تعالىٰ عليها.

ومن هنا يعلم أن الولاية جعلية، وان الجاعل لها هو الله تعالىٰ، وتوضيح ذلك:

إثبات أن الجاعل للولاية الله

في جاعل الخلافة والإمامة خلاف فبين قائل: إن الجاعل هو الله، ومن قائل: إن الجاعل هو رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قائل: إن الجاعل هو الأمة، ومن قائل: إن الجاعل هم طائفة من الأمة: اما من قريش واما من غيرها.

سوف نثبت وباختصار أن الجاعل هو الله سبحانه وتعالىٰ وذلك من طريقين:

الطريق الأول:

القرآن الكريم

وذلك بآيات:

- الآية الأولى قوله تعالىٰ:

﴿إني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[1].

حيث جعل سبحانه مسألة خلافة الأرض من شأنه، وهو الذي يجعل الخليفة والإمام، بيده ملكوت كل شيء.

لذا إبراهيم عليه السلام لم يسأل عن هذا الجعل، بل أخذه كمسألة مسلمة، إنما

---

١ - البقرة: ١٢٤.

أخذ يسأل هل الجعل هذا يشمل ذريتي؟

فأجابه سبحانه بانه يشملهم إلّا الظالمين .

وسوف يأتي التفصيل في هذه الآية عند الكلام على تواتر كون الأئمة من بني هاشم في الكتاب الخامس .

٢ ـ الآية الثانية قوله تعالىٰ :

﴿ إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [١] .

فأخبر سبحانه وتعالىٰ الملائكة انه سوف يُعمل صلاحيته في جعل الخليفة .

٣ ـ الآية الثالثة قوله تعالىٰ :

﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ [٢] .

فأخبر سبحانه عن داود وانه خاطب قومه الذين أرادوا ان يعترضوا على جعل جالوت قائداً عليهم ، أخبرهم أن الله هو الذي جعله عليكم قائداً ، واصطفاه للخصوصيات الموجودة فيه ، وهي الأفضلية ؛ والأفضل يقدم على المفضول في كل شيء [٣] .

٤ ـ الآية الرابعة :

﴿ واجعلنا للمتقين اماماً ﴾ [٤] .

فطلبوا الجعل من الله سبحانه وتعالىٰ .

---

١ – البقرة: ٣٠.

٢ – البقرة: ٢٤٧ .

٣ – كما يأتي مفصلاً في الكتاب الخامس .

٤ – الفرقان: ٧٤.

الناس ألم تعلموا أني أولى منكم بأنفسكم؟ ».

فقالوا: اللهم نعم.

قال: « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله ».

فقال حذيفة: فوالله لقد رأيت معاوية قام وتمطى وخرج مغضباً واضعاً يمينه على عبد الله بن قيس الاشعري ويساره على المغيرة بن شعبة، ثم قام يمشي متمطئاً وهو يقول: لا نصدق محمداً على مقالته ولا نقر لعلي بولايته.

فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ **فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى** ﴾ [1] فهَمّ به رسول الله صلى الله عليه وآله ان يرده فيقتله، فقال له جبرائيل: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾ [2] فسكت عنه [3].

فالله سبحانه وتعالىٰ هو المتكفل بجعل خليفة رسول الله، وهو الذي أمر رسوله بهذا الأمر ولم يدع الأمة أو بعضها تختار في ذلك لعلمه باختلاف آرائهم وقرب عهدهم بالجاهلية، وعلمه بأصحاب المصالح الشخصية المحيطين برسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك بالمنافقين.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « إن الوصيّة نزلت من السماء على محمد صلى الله عليه وآله كتاباً ولم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرائيل: يا محمد هذه وصيتك في امتك عند أهل بيتك » [4].

فكانه كان مسلماً ان من بيده جعل الإمام والخليفة هو الله تعالىٰ.

---

١ - القيامة: ٣٣.

٢ - القيامة :ذ ١٦.

٣ - شواهد التنزيل: ٢ / ٣٩١ح ١٠٤١.

٤ - أصول الكافي: ١ / ٢٧٩ باب أن الأئمة لم يفعلوا شيئاً إلا بعهد من الله.

أدلة الولاية التشريعية لرسول الله وآله الأطهار عليهم السلام

بعد أن ثبت إمكان جعل الولاية التشريعية ، وأنها جعلية من الله وتقدم نموذج من جعلها للأنبياء، وصل بنا الكلام الى التحدث عن ولاية آل محمد وأدلة تلك الولاية وحدودها وسعتها .

فمن الآيات قوله تعالىٰ :

﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ [١] .

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [٢] .

﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [٣] .

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ﴾ [٤] .

فهذه الآيات ونحوها تفيد ان الله قد منح نبيه تحريم بعض الأشياء وتحليل بعض ، أو الحكم بين الناس بما أمره ، وان أمر الرسول وإرادته مقدمة على إرادة المكلف ، ووجوب الالتزام وتنفيذ كل ما يصدر عنه صلوات الله عليه .

---

١ - الأعراف: ١٥٧ .

٢ - النساء: ٦٥ .

٣ - الاحزاب: ٣٦ .

٤ - الحشر: ٧ .

وهذا نوع من التفويض لرسول الله صلى الله عليه وآله في الأمور الشرعية ، وقد طبقه رسول الله صلى الله عليه وآله في الصدر الأول ، فكان يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث بإذن الله تعالىٰ ، وهكذا بالنسبة لكثير من الأمور الشرعية ؛ والتي يأتي بعضها في دليل الروايات .

* *ومن الروايات* : ما تقدم في بحث الولاية المظهرية أو التكوينية من الطوائف التي كانت تثبت لهم التفويض المطلق الاعم من التكويني والتشريعي

- ومنها ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « *كان علي عليه السلام إذا ورد عليه أمر لم ينزل به كتاب ولا سنة رجم فأصاب* » [1] .

وعنه عليه السلام : « *الأئمة مفوض إليهم فما أحلوا فهو حلال وما حرموا فهو حرام* » [2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الله أدب نبيه فأحسن أدبه فلما تأدب فوّض إليه ، فحرم الله الخمر ، وحرم رسول الله كل مسكر ، فأجاز الله ذلك له ، وحرم الله مكة وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ، فأجاز الله ذلك له ، وفرض الله الفرائض من الصلب وأطعم رسول الله صلى الله عليه وآله الجد ، فأجاز الله ذلك له .

ثم قال : يا فضيل حرف وما حرف! ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » [3] .

وفي رواية قريبة زاد: « ولم يفوض الى أحد من الأنبياء غيره » [4] .

وعنه عليه السلام : « *لا والله ما فوّض الله عزّ وجلّ الى أحد من خلقه إلا الى رسول الله صلى الله عليه وآله والى الأئمة عليهم السلام* فقال في كتابه : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين

---

١ - الاختصاص: ٣١٠ .

٢ - الاختصاص: ٣٣٠ .

٣ - الاختصاص: ٣١٠ .

٤ - بصائر ادرجات : ٣٧٨ باب التفويض الى رسول الله ح ٣ .

الناس بما أريك الله ﴾ وهي جارية في الأوصياء »[١].

وعنه عليه السلام : « إذا رأيتم القائم قد أعطى رجلاً مائة ألف درهم وأعطاك درهماً فلا يكبرن ذلك في صدرك فإن الأمر مفوض إليه »[٢].

وعنه أيضاً عليه السلام : إن الله أدب نبيه على أدبه فلما انتهى به الى ما أراد قال له: ﴿ **أنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ففوض إليه دينه »[٣].

وفي لفظ: « إن الله فوّض الى محمد نبيه فقال : ﴿ **ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

فقال رجل : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مفوضاً إليه في الزرع والضرع .

فلوى الإمام جعفر الصادق عليه السلام عنه عنقه مغضباً فقال : « *في كل شيء والله في كل شيء* »[٤].

وعن الإمام الباقر عليه السلام : « وضع رسول الله دية العين ودية النفس ودية الأنف وحرم النبيذ وكل مسكر » .

فقال له رجل : فوضع هذا رسول الله صلى الله عليه وآله من غير ان يكون جاء فيه شيء؟

قال : « نعم ، ليعلم من يطع الرسول ومن يعصيه »[٥].

وعنه عليه السلام : « *إن الله خلق محمداً عبداً فأدبه حتى إذا أبلغ أربعين سنة أوحى إليه وفوض إليه الأشياء* فقال : ﴿ **ما اتاكم الرسول فخذوه** ﴾ »[٦].

وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : « *يا محمد ان الله لم يزل متفرداً بوحدانيته،*

---

١ - الاختصاص : ٣٣١ ، وبصائر الدرجات : ٣٨٦ ح ١٢ .

٢ - الاختصاص: ٣٣٢ .

٣ - بصائر الدرجات : ٣٨٠ باب التفويض ح ٩ .

٤ - بصائر الدرجات: ٣٧٩ باب التفويض ح ٤ .

٥ - بصائر الدرجات: ٣٨١ ح ١٤ .

٦ - بصائر الدرجات : ٣٧٨ ح ١ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣١ ح ٦ باب نفي الغلو .

ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم ، فهم يحللون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالىٰ » [1] .

هذا نموذج من روايات التفويض الى رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام في الأمور الشرعية . وهناك روايات أخرى كثيرة فلتراجع [2] .

بل كثير من الآيات القرآنية التي لم تبين المراد منها ، والتي قام النبي صلى الله عليه وآله بتبينها شاهد على ذلك ، كالصلاة فإنه لم يبين القرآن عدد ركعاتها والزكاة لم يبين مقدارها والحد والتعزيرات وما الى ذلك .

وعلى هذا تكون الأدلة الروائية مستفيضة كما ذكر العلامة المجلسي [3] في إثبات تفويض الأمور الشرعية الى رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام وكل ذلك بإذن الله، بعد ان أدب نبيه وآله الأطهار ، فاصبحوا لا يشاؤون إلا ما شاء الله .

ولا يلزم من ذلك الغلو ولا شيء من صفات الله بعد ان عرفت في بحث الولاية التكوينية بما لا مزيد عليه : أن ولايتهم ترجع الى ولاية الله وانها مظهر لحكومة الحق تعالىٰ .

فكذلك الولاية التشريعية لهم تكون مظهراً لتشريعات الله تعالىٰ ، ويجري فيه أيضاً مسألة الإذن الإلهي في التشريع بنحو ما تقدم في الولاية التكوينية .

واما مسألة سعة وحدود هذه الولاية ، فهو ما نصت عليه الروايات المتقدمة وهو موجود في ألسنتها فلتراجع .

---

١ - بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٤٠ح ٢٤ عن الكافي : ١ / ٤٤٠ .

٢ - يراجع بصائر الدرجات : ٣٧٨الى ٣٨٧باب التفويض ، والاختصاص : ٣٠٩ ٣٣٠ ـ ٣٣١، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٠الى ٣٤٣باب نفي الغلو .

٣ - بحار الأنوار : ٢٥ / ٣٤٨باب نفي الغلو .

ولاية الفقهاء في غيبة المعصوم عليه السلام

قال تعالىٰ: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1].

وقال عز من قائل: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام في الحديث المشهور: بني الإسلام علىٰ خمس: علىٰ الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه ـ يعني الولاية[3].

وعن زرارة في رواية أُخرىٰ فقلت: وأي شيئ من ذلك أفضل؟

فقال عليه السلام: «*الولاية أفضل لأنها مفتاحهنَّ والوالي هوالدليل عليهن*».

إلىٰ أن قال عليه السلام: «*أما لو أنَّ رجلاً قام ليلهُ وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له علىٰ الله جل وعز حقٌ في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان*»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وصلَ الله طاعة ولي الأمر بطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وطاعة رسوله بطاعته تعالىٰ، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله[5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله الأمر فإنه نظام

---

١ ـ النساء: ٥٩.

٢ ـ سورة المائدة ٥٥.

٣ ـ أصول الكافي: ٢ / ١٨ ـ ٢١ ح ٣ باب دعائم الإسلام، والبحار: ٦٥ / ٣٣٢ ..

٤ ـ أصول الكافي: ١٨/٢ ح ٥، ووسائل الشيعة: ٧/١.

٥ ـ الكافي: ٢ / ٤٨ ح ٢ باب خصال المؤمن، والوسائل: ١٤٣/١١ .

الإسلام»[١].

وقال الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز: إعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف،... هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلىٰ الله ويريهم وينقاد إلىٰ الله ويقودهم، تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده[٢].

هذه جملة من الآيات والأحاديث الدالة علىٰ أهمية الولاية وتسلسلها من عند الله تعالىٰ، وكونها امتداداً لولاية الله تعالىٰ ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

ويتبين من ذلك أولاً: عدم الفرق بين الولايات لأن الولاية والطاعة من أجل نظام الإسلام وتنظيم أُمور المسلمين، وهو لايفرق فيه بين زمن النبي إبراهيم عليه السلام ولا زمن النبي موسىٰ ولا بين زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وهكذا في أزمنة الأئمة المعصومين حتىٰ الإمام المهدي(عج)، ولا بين زمن السفراء الأربعة نواب الإمام المفدىٰ، ولا بين ولاية الفقهاء في عصر الغيبة الكبرىٰ؛ لأنها في جميعهم لإقامة حكم الله في الأرض الذي فيه نظام الإسلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصلاح المسلمين.

ثانياً: يتبين أن الولاية ليست من باب تزاحم الإرادات كما ذكره البعض[٣] ومرادهم أن تنفيذ أوامر الفقهاء ليس من باب الولاية من الله والأئمة عليهم السلام للفقهاء، إنما هو من باب التزاحم وتقديم الأهم علىٰ المهم، فمتىٰ وجد أمران ينظر الفقيه من هو الأهم فيأمر به، فمثلاً في المثال المعروف للولاية وجود مسجد في طريق

---

١ ـ الأمالي للمفيد: ٤/١٤ ح ٢ المجلس الثاني، والبحار: ٢٣/٢٩٨ ح ٤٣.

٢ ـ العقد الفريد: ١/٤٤ كتاب اللؤلؤة في السلطان ـ صفة الإمام العادل.

٣ ـ راجع ولاية الأمر للآصفي: ١٢٧.

المسلمين فيستطيع الولي الفقيه أن يزيله لمصلحة الناس ويحوله إلىٰ طريق من باب تزاحم الأمور.

والصحيح ما يستفاد من الأدلة من أن هذا حق للفقيه يعمله كما لو كان الإمام المعصوم موجوداً، ومنه يعرف ضعف من فسَّر الولاية بأنها إجازة للفقيه بالتصرف عند الحاجة ونظم الأمور من باب أنه القدر المتيقن وسوف نأتي علىٰ ذكر ذلك في نتائج الأدلة.

ثالثاً: من قول الإمام الباقر‰: «ويكون جميع أعماله بدلالته إليه» يتبين أنَّ حدود الولاية تشمل كل الأعمال التي يقوم بها المكلف وهو نفس المضمون الذي جاء في توقيع الإمام المهدي(عج): أما الحوادث الواقعة...

رابعاً: إن الولاية التشريعية بالاساس لله تعالىٰ وحده لا شريك له ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ ﴿أم اتخذوا من دون الله أولياء فإنه هو الولي﴾[1] فالله هو مصدر الولاية يمنّ بها علىٰ مَن يشاء من عباده.

ثم أمر سبحانه عباده بالطاعة للأنبياء والرسل وأمرهم باتباع أوامرهم فكانت الولاية ـ والتي هي بمعنىٰ الطاعة ـ لله بما أمر به علىٰ لسان أنبيائه حتىٰ قال عز من قائل: ﴿إنما وليكم الله ورسوله...﴾ ﴿النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم﴾ ﴿أطيعوا الله ورسوله﴾[2] فكانت الولاية التشريعية لرسول الله‰ في حياته حتىٰ إذا ما رفعه الله لملكوته واختار له جواره بدأت ولاية الأئمة المعصومين‰ من أمير المؤمنين علي حتىٰ الإمام المهدي المفدي أرواح العالمين له الفدىٰ[3] فقال تعالىٰ: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم

---

١ ـ سورة هود: ٢٠، والشورىٰ: ٩.

٢ ـ المائدة: ٥٥.

٣ ـ ذكرنا تفصيل النصوص علىٰ الأئمة الاثني عشر في كتابنا: أنواع النصوص.

راكعون﴾[١] وقد فصلنا إجماع الأمة علىٰ كون علي عليه السلام هو المراد بهذه الآية[٢] وقال عزّ من قائل: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[٣].

ثم لما اختار الله لوليه المهدي الغيبة الصغرىٰ كانت الولاية لنوابه الخاصين الأربعة علىٰ فترة السبعين عاماً وهم علىٰ الترتيب: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، وأبو جعفر محمد ابن عثمان بن سعيد العمري، وأبو القاسم الحسين بن روح، وأبو الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنهم[٤].

فكانت الولاية لهؤلاء السفراء والفقهاء الجامعين لشرائط الافتاء المنصوص عليهم من الحجة المهدي(عج).

وكانت الأمة تأتيهم وتسألهم عن معالم الدين ومشكلات الأمر من الأمور السياسية والدينية الاجتماعية والإقتصادية، الفردية منها أم المتعلقة بجماعتهم.

وكانوا يفتون الناس علىٰ أساس ما يصدر من الحضرة المهدوية عليه السلام.

نعم ما يتعلق بأمور الملك والخلافة كانوا يستعملون التقية في غالب الأحيان ـ خوفاً علىٰ الشيعة من الظلمة.

ثم لما اختار الله لوليه المهدي عليه السلام الغيبة الكبرىٰ أعلن صلوات الله عليه انقطاع المشاهدة[٥] العلنية وأصدر التوقيع المستفيض[٦]: «... *وأما الحوادث*

١ ـ المائدة: ٥٥.

٢ ـ في كتابنا انواع النصوص علىٰ الأئمة.

٣ ـ النساء: ٥٩.

٤ ـ الغيبة: ٢١٤ ـ ٢٤١.

٥ ـ قد أتينا علىٰ توضيح ذلك في كتابنا عبرة أولي الالباب (القصص العجيبة لأهل البيت).

٦ ـ علىٰ ما ذكر الفيض الكاشاني في الأصول الأصلية: ٥٠ الأصل الرابع.

الواقعة فارجعوا فيها إلىٰ رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[١] وذكرنا في كتاب ولاية الفقيه رواياتٍ عن رسول الله والأئمة الأطهار بنفس مضمون التوقيع، وأن الفقهاء أُمناء الرسل وخلفاء الأنبياء، وعلىٰ الناس الرجوع إليهم عند فقدان الإمام المعصوم، بل ادّعى الأمين الاستر آبادي‌ﷺ التواتر المعنوي علىٰ ذلك[٢].

وبالجملة فانتقلت الولاية والحكومة إلىٰ الفقهاء الامناء الجامعين للشرائط ليقيموا العدل ويبينوا ويوضحوا الإسلام ويدافعوا عن المسلمين.

ووجب علىٰ الأمة طاعتهم لأن في طاعتهم نظام الإسلام كما تقدم عن رسول الله ﷺ.

وعليه فأصل ولاية الفقهاء مستمدة من ولاية الله والأنبياء والأئمة عليهم السلام، قال الإمام الصادق عليه السلام: *«فأما مَنْ كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»*[٣].

فأهل البيت عليهم السلام هم من أرجعونا الى الفقهاء العظام في حالة غيبتهم عليهم السلام مع علمهم بما ستؤول إليه الأمور في هذه الأزمة ومع علمهم بعدم عصمة الفقهاء وتعددهم.

والحمد لله رب العالمين

---

١ ـ وسائل الشيعة ١٨ / ١٠١ ح ٣٣٤٠٥ باب ١١ من كتاب القضاء.

٢ ـ الأصول الأصيلة: ٥٥ الهامش.

٣ ـ الاحتجاج: ٢٦٣/٢، ووسائل الشيعة: ٩٥/١٨ ح ٣٣٣٨٥، والبحار: ٨٨/٢.

فهرس المطالب

نماذج من إستجابة أدعية أهل البيت عليهم السلام

آثار معرفة أهل البيت عليهم السلام

دليل الآيات القرآنية

آثار وجود أهل البيت عليهم السلام على الكون

دليل الروايات على الولاية المظهرية

النحو الثاني من الأدلة

الولاية التشريعية لآل محمد صلى الله عليه وآله